البيان والتبيين

لأبى عثمان عمرو بن بحر بن محبوب

الجاحظ

كتب الجاحظ تعلم العقل أولا والأدب ثانيا

حققه وشرحه

حسن السندوبى

الجزء الثالث

الطبعة الثانية

وهى تمتاز عن سابقها بدقة التحقيق والضبط والتهذيب وزيادة الشرح

القاهرة فى سنة ١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م

يطلب من المكتبة التجارية الكبرى بأول شارع محمد على بمصر

لصاحبها : مصطفى محمد

المطبعة الرحمانية بمصر

شارع الخرنفش رقم ٣٥ تليفون ٥١٥٢٢

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب العصا

الحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله، وصلى الله تعالى على محمد خاصة، وعلى أنبيائه عامة.

هذا أبقاك الله تعالى الجزء الثالث من القول فى « البيان والتبيين »، وما شَابه ذلك مِن غُرَرِ الأحاديث وشاكله من عُيون الخطب، ومِنَ الفِقَرِ المُستحسنة والنُّتَفِ المُتَخَيَّرَةِ والمقطعات المستخرجة، وبعض ما يجوز فى ذلك من أشعار المذاكرة والجوابات المنتخبة.

ونبدأُ على اسم الله تعالى بذكرمذهب الشُّعوبيَّةِ (١) ومن يتحلَّى باسم التَّسوية (٢)

(١) أجملنا القول فى الشعوبية فى حاشية الصفحة ٤ من الجزء الثانى وهنا نرى أنه لابد من التفصيل والبيان. فنقول: الشعوبية فرقة من الناس يذهبون إلى تحقير شأن العرب والحط من قدرهم وتصغير أمرهم ويرون أن لافضل لهم على غيرهم، ومنهم من يسوى العرب بسواهم من الامم والشعوب، ومنهم من يفضل بعض أنواع العجم على العرب. ومنشأ ذلك كله بعض الموالى وأبناء الاماء. ويقال إن زياد بن ابيه لما استلحقه معاوية بأبي سفيان علم أن العرب لن تقر له بذلك مع علمهم بحقيقة حاله وبعلة ذلك الاستلحاق، فعمل كتاب « المثالب » وألصق فيه بالعرب كل نقيصة، وزعموا ان هشام ابن عبد الملك امر النضر بن شميل وخالد بن سلمة المخزومى فوضعا كتابا فى مثالب العرب ومناقبها، وليس لقريش فى هذا الكتاب ذكر. ثم وضع الهيثم بن عدى، وكان دعيا، كتابا حاول فيه ان يعر اهل الشرف من العرب تشفيا منهم، ووضع ابو عبيدة معمر بن المثنى كتابا فى المثالب بالغ فيه واستقصى لأن اباه كان يهودياً وكان ربما عير بذلك، مع علمه وفضله وسعة إحاطته. ثم نشأ علان ابن الحسن الشعوبي الوراق وكان متزندقا فعمل لطاهر بن الحسين كتابا فى مثالب العرب بدأ فيه بمثالب بنى هاشم ثم بطون قريش ثم سائر العرب، وبهتهم فيه بكل نقيصة ورماهم بكل قبيحة، وقد خرج فى هذا الكتاب عن آداب الاسلام، واجازه طاهر عليه بثلاثين الف درهم. ثم وضع ابن غرسية رسالة بليغة فى تفضيل العجم على العرب. وكل هذه الكتب قد باد ولم يبق منها إلا بعض حكايات منثورة فى كتب الأدب ودواوين التاريخ

(٢) التسوية: يعنى بين العرب والعجم

وبمطاعنهم على خُطباء العرب بأخذ المِخْصَرَةِ (١) عند مُناقلةِ الكلام ومُساجلة الخصوم بالموزُون والمُقفّى والمنثور الذى لم يُقفّ ، وبالأرجاز عند المَتْحِ (٢) وعند مُجاثاةِ الخصم (٣) وساعة المُشاولة (٤) وفى نفس المجادلة والمجاولة (٥) وكذلك الأسجاع عند المُنافرة والمفاخرة (٦) واستعمال المنثور فى خُطب الحَمالَةِ (٧) وفى مقامات الصُلح وسلّ السَخيمَة (٨) والقول عند المُعاقَدَة والمعاهدة (٩) وترك اللفظ يجرى على سجيته وعلى سلامته حتى يخرج على غير صنعة ولا اختلاف تأليف ولا التماس قافية ولا تكلفٍ لوزن ، مع الذى عابوا من الإشارة بالعِصِيّ والاتكاء على أطراف القِسِيّ وخَدِّ وجهِ الأرض بها (١٠) واعتمادها عليها إذا اسحنفرت فى كلامها (١١) وافتَنَّتْ يوم الحفل فى مذاهبها (١٢) ولزومها العمائم فى أيام الجموع وأخذها المخاصر فى كل حال (١٣) وجلوسها فى خطب النكاح ، وقيامها فى خطب الصلح وكل ما دخل فى باب الحَمالة وأكد شأن المُحالفة وحقق حُرْمَةَ المجاورة ، وخطبهم

---

(١) المخصرة : العصا

(٢) المتح : السقى من البئر بالدلاء

(٣) المجاثاة : هي ان يجثو الخصمان على الركب امام بعضهما ثم يأخذان فى صنوف الجدل

(٤) المشاولة : تفرق الكلمة وان يتعرض كل خصم لخصمه بالسب وكل يشول بلسانه على خصمه كما تشول العقرب بذنبها

(٥) فى بعض النسخ : المجادلة والمحاورة . وفى بعضها : المجادلة والمحاولة . وكلاهما غير حسن والجيد ما اثبتناه .

(٦) المنافرة : هى ان يقول الخصم لخصمه : انا اعز منك نفرا واكثر عددا واقوى عضدا . والمفاخرة تكون بالأحساب والأنساب والأفعال والأقوال

(٧) الحمالة : الدية يحملها اهل القاتل إلى اهل المقتول

(٨) سل السخيمة : نزع الضغينة

(٩) كان بالاصول : المعاقرة والمعاهدة . وليس هنا مقام المعاقرة . والصواب ما اثبتناه والمراد عقد الصلح والعهد عليه

(١٠) الخد : الشق

(١١) كان بالاصول : استحفزت . وليست مرادة فى هذا المقام ، والصواب ما اثبتناه . واسحنفر : مضى مسرعا فى قوله

(١٢) افتنت : اخذت فى فنون من القول . يوم الحفل : يوم اجتماع القوم لشأن هام

(١٣) كان بالاصول : ولزومهم العمائم . واخذ المخاصر . والصواب ما اثبتناه كما هو مقتضى السياق

على رواحلهم فى المواسم العظام والمجامع الكبار ، والتماسح بالأكف والتحالف على النار والتعاقد على الملح وأخذ العهد المؤكد واليمين الغموس ، مثل قولهم : ماسرى نجم ، وهبت ريح ، وبل بحر صوفة ، وخالفت جرة درة .(١) ولذلك قال الحارث بن حلزة اليشكري (٢) :

وَاذْكُرُوا حِلْفَ ذِي المَجَازِ وَمَا قُدِّمَ فِيهِ العُهُودُ وَالكُفَلَاءُ
حَذَرَ الخَوْنِ وَالتَّعَدِّي وَهَلْ تَنْقُضُ مَا فِي المَهَارِقِ الأَهْوَاءُ(٣)

وقال أوس بن حجر (٤) :

إذا اسْتَقْبَلَتْهُ الشَّمْسُ صَدَّ بِوَجْهِهِ كَمَا صَدَّ عَنْ نَارِ المُهَوِّلِ حَالِفُ(٥)

وقال الكميت :

كَهَوْلَةَ مَا أَوْقَدَ المُحْلِفُونَ لَدَى الحَالِفِينَ وَمَا هَوَّلُوا(٦)

وقال الأول :

حَلَفْتُ بِالمِلْحِ وَالرَّمَادِ وَبِالنَّارِ وَبِاللهِ نُسْلِمُ الحَلَقَهْ
حَتَّى يَظَلَّ الجَوَادُ مُنْعَفِرًا وَتَخْضِبَ النَّبْلُ غُرَّةَ الوَرَقَهْ

---

(١) الجرة : مايدفعه البعير من جوفه إلى فيه فيعيد مضغه . والدرة : اللبن

(٢) سبقت ترجمته فى ص ٣١ من الجزء الثانى . وهذان البيتان من قصيدته المشهورة التى اولها :

آذنتنا ببينها اسماء رب ثاو يمل منه الثواء

(٣) قال الجاحظ : الخون الخيانة . ويروى : الجور .

(٤) قال أبو عمرو بن العلاء : كان اوس فحل مضر حتى نشأ النابغة وزهير فأخملاه . وقال الاصمعى : كان اوس اشعر من زهير . وكان زهير راوية اوس . مات سنة ٦٢٠ م . وراجع ص ١٥٩ من الجزء الاول

(٥) المهول : المتصدر لاحلاف الناس . والبيت فى وصف ثور وحشي . وهذا البيت من قصيدة اولها :

تنكر بعدى من أميمة صائف فبرك فأعلى تولب فالمخالف

وفيها يقول :

ولو كنت من ريمان تحرس بابه اراجيل احبوش واغضف آلف
إذاً لأتتنى حيث كنت منيتى يخب بها هاد لاثرى قائف

(٦) كان العرب فى الجاهلية إذا أرادوا ان يستحلفوا إنسانا ذهبوا به إلى المحلف وهو المهول فيوقد نارا ويلقى أتباعه فيها الملح فيتفقع ويصير له ازيز فيهول المحلف على الحالف أي يخوفه . وهذا البيت من أبيات للكميت بن زيد الاسدى يقول فيها :

وقال الأول:

حَلَفْتُ لهُمْ بالمِلحِ والجمْعُ شُهَّدٌ ... وَبالنَّارِ وَاللَّاتِ الَّتِى هِىَ أَعْظَمُ

وقال الحُطَيْئَةُ فى إضجاع القِسِىِّ:

أَمْ مَنْ لِخَصْمٍ مُضْجِعِينَ قِسِيَّهُمْ ... صُعْرٍ خُدُودُهُمُ عِظَامِ المَفْخَرِ (١)

وقال لَبِيدُ بنُ رَبِيعَةَ فى خدِّ وجه الأرض بالقِسِىِّ والعِصِىِّ:

تَشِينُ صِحَاحَ البِيدِ كُلَّ عَشِيَّةٍ ... بعُوجِ السَّرَاءِ عِنْدَ بَابِ مُحَجَّبِ

ومثله:

إذا اقْتَسَمَ النَّاسُ فَضْلَ الْفَخَارِ ... أَطَلْنَا عَلَى الأَرْضِ مَيْلَ الْعَصَا

ومثله:

حَكَمَتْ لَنَا فى الأَرْضِ يَوْمُ مُحَرِّقٍ ... أَيَّامُنَا فِى النَّاسِ حُكْماً فَيْصَلَا

وقال لَبِيدُ بنُ رَبِيعَةَ فى ذكر القِسِىِّ:

مَا إِنْ أَهَابُ إِذَا السُّرَادِقُ غَمَّهُ ... قَرْعُ الْقِسِىِّ وَأَرْعَشَ الرِّعْدِيدُ

وقال كُثَيِّرٌ، فى الاسلام:

إذا قَرَعُوا المَنَابِرَ ثُمَّ خَطُّوا ... بِأَطْرَافِ المَخَاصِرِ كَالْغِضَابِ

إلي آل بيت أبي مالك ... مناخ هو الارحب الاسهل

تمت بأرحامنا الداخلا ... ت من حيث لاينكر المدخل

وجدنا قريشا قريش البط ... اح على مابنى الاول الأول

بهم صلح الناس بعد الفسا ... د وحيص من الفتق مارعبلوا

وقد كرر معنى التهويل في قوله:

وما ضرب الامثال فى الجور قبلنا ... لاجور من حكامنا المتمثل

هم خوفونا بالعمي هوة الردى ... كما شب نار الحالفين المهول

(١) هذا البيت من كلمة للحطيئة فى علقمة بن هوذة نرويها لما فيها من الخلاف قال:

يا جفنة ترك ابن هوذة خلفه ... ملئى لصحبته كحوض المقتري

كعريضة الشيزى بكلل فوقها ... شحم السنام غداة ريح صرصر

أم من لراسية كأن وراءها ... نقع تعاوره بنات الاخدر

ام من لخصم مضجعين قنيهم ... ميل خدودهم عظام المفخر

ان الرزية لا أبالك هالك ... بين الدماخ وبين هالة خنزر

تلك الرزية لا رزية مثلها ... فاقنى حياءك لا ابالك واصبرى

وقال أبو عبيدة : سأل معاوية شيخا من بقايا العرب : أى العرب رأيته أضخم شأنا ؟ قال : حصن بن حذيفة : رأيته متوكئا على قوسه يقسم فى الحليفين أسد وغطفان .

وقال لبيد بن ربيعة (١) فى الإشارة :

غُلْبٍ تَشَذَّرُ بِالذُّحُولِ كَأَنَّهَا ... جِنُّ البَدِيِّ رَوَاسِياً أَقْدَامُهَا

وقال معن بن أوس المزنى (٢) :

أَلَا مَنْ مُبْلِغٌ عَنِّى رَسُولاً ... عُبَيْدَ اللهِ إِذْ عَجِلَ الرِّسَالَا
تَعَاقَلَ دُونَنَا أَبْنَاءُ ثَوْرٍ ... وَنَحْنُ الأَكْثَرُونَ حَصًى وَمَالَا (٣)
إِذَا اجْتَمَعَ القَبَائِلُ جِئْتَ رِدْفاً ... أَمَامَ المَاسِحِينَ لَكَ السِّبَالَا (٤)
فَلَا تُعْطَى عَصَا الخُطَبَاءِ فِيهِمْ ... وَقَدْ تَكْفِى المَقَادَةَ وَالمَقَالَا

فذكر عصا الخطباء كما ترى ، وقال الآخر فى حمل القناة :

إِنِّى امْرُؤٌ لَا تَخَطَّاهُ الرِّفَاقُ وَلَا ... جَدْبُ الخِوَانِ إِذَا مَا اسْتُنْشِىَ المَرَقُ
صُلْبُ الحَيَازِيمِ لَا هَذْرُ الكَلَامِ إِذَا ... هَزَّ القَنَاةَ وَلَا مُسْتَعْجِلٌ زَهِقُ

وقال جرير بن الخطفى فى حمل القناة :

مَنْ لِلْقَنَاةِ إِذَا مَا عِىَّ قَائِلُهَا ... وَلِلْأَعِنَّةِ يَا عَمْرَو بْنَ عَمَّارِ

---

(١) سبقت ترجمته فى ص ١٠٣ من الجزء الاول . وهذا البيت من قصيدته المعلقة التى اولها :

عفت الديار محلها فمقامها ... بمنى تأبد غولها فرجامها

(٢) مضت ترجمته فى ص ٢٨٠ من الجزء الثانى

(٣) التعاقل : اخذ الدية . يريد بالحصى العدد الكثير .

(٤) ويروى :

إذا اجتمعوا حضرت فجئت ردفا ... وراء الماسحين لك السبالا
فلا تعطى عصا الخطباء فيهم ... وقد تكفى المقادة والمقالا

وبعده :

فانكم وترك بنى ابيكم ... واسرتكم تجرون الحبالا
وودكم العدى ممن سواكم ... لكالحيران يتبع الظلالا
فانا بالشروج وجانبيها ... نشك خلالها حلقا حلالا
نخف المترعات إذا شتونا ... إذا النكباء عاقبت الشمالا
ندر الحرب مادرت عصوبا ... ونحلبها ونمريها علالا

قالوا: وهذا مثل قول أبي المُجيبِ الربَعِي[١] حيث يقول: لاتزال تحفظ أخاك حتى يأخذ القناة، فعند ذلك يفضحك أو يمدحك. يقول: إذا قام يخطب فقد قام المقام الذي لابد من أن يخرج منه مذموماً أو محموداً. وقال عبدُ اللهِ بن رُؤْبة: سألَ رجل رُؤْبةَ عن أخطب بنى تميم فقال: خِداشُ بنُ بِشْر بنِ لَبيدِ ابنِ خالدٍ، يعنى البَعِيثَ الشاعر،[٢] وإنما قيل له البعيث لقوله:

تَبعَثَ مِنِّى مَا تَبعَّثَ بَعْدَ مَا ... أُمِرَّتْ حِبالِى كلَّ مِرَّتِها شَزْرَا

وقال أبو اليَقْظانَ: كانوا يقولون: أخطب بنى تميم البَعِيث إذا أخذ القناة فهزها ثم اعتمد بها على الأرض ثم رفعها. قال يونس: لعمرى لئن كان مُغَلَّباً فى الشعر لقد كان غلَبَ فى الخطب. وإذا قالوا: غلَبَ فهو الغالب، وإذا قالوا: مُغَلَّباً فهو المغلوب.

وفى حديث النبى صلى الله عليه وسلم أنه جاء البَقِيعَ ومعه مِخْصَرَة فجلس فنكت بها الأرض ثم رفع رأسه فقال: «مَا مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ إلاَّ وَقَدْ كُتِبَ مَكانُها مِنَ الجنَّةِ أوِ النَّارِ» وهو من حديث أبى عبدِ الرَّحمنِ السُّلَمِى. ومما يدلك على استحسانهم شأن المِخْصَرَةِ حديث عبدِ اللهِ بْنِ أُنَيْسٍ[٣] ذى المخصرة وهو صاحب ليلة الجُهَنِىِّ وكان النبى صلى الله عليه وسلم أعطاه مخصرة فقال: «تَلْقانِى بها فى الجَنَّةِ» وهو مهاجر عَقَبى أنصارى، وهو ذو المخصرة فى الجنة

(١) مضت ترجمته فى ص ١٢٦ من الجزء الثانى

(٢) مضت ترجمته فى ص ٥٤ من الجزء الاول. وقال ابن سلام: كان البعيث شاعرا فاخر الكلام حر اللفظ وقد غلبه جرير وأخمله. وقال ابن قتيبة: كانت أم البعيث اصبهانية يقال لها، مردة، وسمى البعيث بقوله:

تبعث منى ما تبعث بعد ما ... استمر فؤادى واستمر عزيمى

(٣) هو أبو يحيى عبد الله بن انيس الأنصارى. من افاضل الصحابة. لم يكن جهنيا وإنما كان من قضاعة ومن قضاعة جهينة. شهد العقبة واحدا، وكان منزله بأعراف على بريد من المدينة، واعطاه النبى عصا وقال هي آية بينى وبينك يوم القيامة إن اقل الناس المتخصرون يومئذ. وهو الذى يقال فيه «ليلة الاعرابى» و «ليلة الجهنى» وذلك ان رسول الله امره ان ينزل من بادبته إلى مسجده فيصلى فيه ليلة ثلاث وعشرين. فكان يدخل المسجد مساء هذه الليلة من كل شهر فيصلى العصر ثم لا يخرج عنه إلا لحاجة حتى يصلى الصبح ثم يخرج إلى اهله وهو الذى روى ان ليلة القدر فى هذه الليلة. مات بالمدينة فى زمن معاوية

مطاعن الشعوبية على العرب بشأن العصا

وقالت الشُّعُوبِيَّةُ ومن يتعصب للعجمية : ألقضيب للايقاع والقناة للقار ، والعصا للقتال والقَوْسُ للرمى ، وليس بين الكلام و بين العصا سبب ولا بينه و بين القوس نسب ، وهما إلى أن يشغلا العقل و يصرفا الخواطر و يعترضا الذهن أشبه ، وليس فى حملها ما يشحذ الذهن ولا فى الاشارة بهما ما يجلب اللفظ ، وقد زعم أصحاب الغناء أن المغنى إذا ضرب على غنائه قصّر عن المغنى الذى لا يضرب على غنائه ، وحمل العصا بأخلاق القدّادين (١) أشبه وهو بجفاة الأعراب وعُنْجُهِيَّةِ أهل البدو ومزاولة إقامة الإبل على الطرق أشكل و به أشبه.

قالوا : والخطابة شىء فى جميع الأمم ، و بكل الأجيال إليه أعظم الحاجة ، حتى أن الزنج — مع الغَثارَةِ (٢) ومع فرط الغباوة ومع كلال الحد وغلظ الحس وفساد المزاج — لَتطيل الخطب وتفوق فى ذلك جميع العجم ، وإن كانت معانيها أجفى وأغلظ وألفاظها أخطأ وأجهل ، وقد علمنا أن أخطب الناس الفُرْسُ، وأخطبَ الفرس أهلُ فارس ، وأعذبهم كلاماً وأسهلهم مخرجا وأحسنهم ولاء وأشدهم فيه تحنُّكا أهلُ مَرْوٍ، وأفصحهم بالفارسية الدرية و باللغة الفهْلوِيَّةِ أهلُ قصبة الأَهْوَازِ، فأما نغمةُ الهِرْبِذِ ونغمةُ المُوبَذَانِ فلصاحب تفسير الزَّمْزَمَةِ (٣)

قالوا : ومن أحب أن يبلغ فى صناعة البلاغة و يعرف الغريب و يتبحر فى اللغة فليقرأ « كتاب كاروند » ومن احتاج إلى العقل والأدب والعلم بالمراتب والعِبَر والمَثُلات والألفاظ الكريمة والمعانى الشريفة فلينظر إلى سير الملوك .

---

(١) القدادون : الرعاة والأكرة والفلاحون لأنهم أصحاب اصوات منكرة

(٢) الغثارة : الغباوة

(٣) الهربذ : رئيس سدنة بيت النار عند المجوس وقد يكون من حكامهم . والموبذان : فقيه الفرس وحاكم المجوس . والزمزمة : صوت يديره المجوس فى حلوقهم وخياشيمهم حينما يأكلون او يقرؤن كتاب الزند وحينما يغتسلون . وهو عبارة عن صوت منغم لا يمر منهم على شفة أو لسان لكنهم يتفاهمونه فيما بينهم

فهذه الفُرْسُ ورسائلها وخطبُها وألفاظها ومعانيها ، وهذه يُونان ورسائلها وخطبُها وعللُها وحِكمُها ، وهذه كتبها فى المنطق التى قد جعلتها الحكماء بها تَعْرِف السَّقَمَ من الصحة والخطأ من الصواب ، وهذه كتب الهند فى حِكمها وأسرارها وسيرها وعللها ، فمن قرأ هذه الكتب عرف غَوْرَ تلك العقول وغرائب تلك الحكم ، وعرف أين البيان والبلاغة وأين تكاملت تلك الصناعة ، فكيف سقط على جميع الأمم من المعروفين بتدقيق المعانى وتخيُّر الألفاظ وتمييز الأمور أن يشيروا بالقنا والعُصِىِّ والقُضبان والقسىِّ ! ؟ كلا ، ولكنكم كنتم رُعاةً بين الإبل والغنم فحملتم القنا فى الحَضَرِ بفضل عادتكم لحملها فى السَّفر ، وحملتموها فى المدَرِ بفضل عادتكم لحملها فى الوَبَرِ ، وحملتموها فى السِّلم بفضل عادتكم لحملها فى الحرب ولطول اعتيادكم لمخاطبة الابل جفا كلامكم وغَلُظَت مخارج أصواتكم حتى كأنكم إنما تخاطبون الصُّمَّان (١) إذا كلمتم الجلساء ، وإنما كان جل قتالكم بالعصى ، ولذلك فخر الأعشى على سائر العرب فقال :

لَسْنَا نُقَاتِلُ بِالْعِصِىِّ ... وَلاَ نُرَامِى بِالحِجَارَهْ
إلاَّ عُلاَلَةَ أَوْ بُدَا ... هَةَ قَارِحٍ نَهْدِ الْجُزَارَهْ (٢)

وقال الآخر :

فإنْ تمنعُوا مِنَّا السِّلاَحَ فَعِنْدَنَا ... سِلاَحٌ لَنَا لاَ يُشْتَرَى بِالدَّرَاهِمِ
جَنَادِلُ أَمْلاَءُ الأَكُفِّ كَأَنَّهَا ... رُؤُسُ رِجَالٍ حُلِّقَتْ بِالمَوَاسِمِ

وقال جَنْدَلُ الطهوىُّ :

حَتَّى إذا دارتْ رَحًى لاَ تَجْرِى ... صَاحَتْ عِصِىٌّ مِنْ قَنًا وَسِدْرِ

وقال آخر : (٣)

دَعَا ابْنُ مُطِيعٍ لِلْبِيَاعِ فَجِئْتُهُ ... إلى بَيْعَةٍ قَلْبِى لَهَا غَيْرُ آلِفِ

(١) الصمان : جمع الاصم .
(٢) العلالة : بقية جري الفرس ههنا . والبداهة : اول جرى الفرس . والقارح : الفرس الذى بلغ اقصي اسنانه وذلك إذا تم له خمس سنين . والنهد الجزارة : المرتفع الراس واليدين والرجلين
(٣) هو فضالة بن شريك الاسدي وسبب ذلك ان عبد الله بن الزبير كان ولى عبد الله بن مطيع

فَناوَلَنِى خَشْنَاءَ لَمَّا لَمَسْتُهَا بِكَفِّى لَيْسَتْ مِنْ أَكُفِّ الْخَلائِفِ
مِنَ الشَّثِنَاتِ الْكُزْمِ أَنْكَرْتُ مَسَّهَا وَلَيْسَتْ مِنَ الْبِيضِ الرِّقَاقِ اللَّطَائِفِ (١)
مُعَاوِدَةً حَمْلَ الْهَرَاوَى لِقَوْمِهَا فَرُورًا إِذَا مَا كَانَ يَوْمَ التَّسَايُفِ

وقال آخر:

مَا لِلْفَرَزْدَقِ مِنْ عِزٍّ يَلُوذُ بِهِ إِلاَّ بَنِى الْعَمِّ فِى أَيْدِيهِمُ الْخَشَبُ

مطاعن الشعوب على العرب بشأن آلات الحرب

قالوا: وإنما كانت رماحكم من مُرّان (٢) وأسنتكم من قرون البقر، وكنتم تركبون الخيل فى الحرب أعراء، فان كان الفرس ذا سرج فسرجه رحالة من أدَم (٣) ولم يكن ذا ركاب، والرّكاب من أجود آلات الطاعن برمحه والضارب بسيفه، وربما قام فيهما أو اعتمد عليهما، وكان فارسكم يطعن بالقناة الصمّاء وقد علمنا أن الجوفاء أخف محملا وأشد طعنة، وتفخرون بطول القناة ولا تعرفون الطعن بالمطارد (٤) وإنما القنا الطوال للرجالة والقصار للفرسان والمطارد لصيد الوحش، وتفخرون بطول الرمح وقصر السيف، فلو كان المفتخر بقصر السيف الراجلُ دون

العدوى الكوفة فكان يأخذ البيعة على الناس لابن الزبير فلما قام المختار بن ابى عبيد الثقفى للأخذ بثأر الحسين والدعوة لنفسه طرد ابن مطيع عن الكوفة، فقال فضالة بن شريك يهجو ابن مطيع بهذه الابيات نرويها لما فيها من الخلاف عما بالاصل:

دعا ابن مطيع للبياع فجئته إلى بيعة قلبى لها غير عارف
فقرب لى خشناء لما لمستها بكفى لم تشبه اكف الخلائق
معودة حمل المراوى لقومها فرورا إذا ما كان يوم التسايف
من الشثنات الكزم انكرت لمسها وليست من البيض السباط اللطائف
ولم يسم إذ بايعته من خليفتى ولم يشترط إلا اشتراط المجازف
متى تلق اهل الشام فى الخيل تلقنى على مقرب لا بردها بالمجاذف
ممر كبنيان العبادى مخطف من الضاريات بالدماء الخواطف

(١) الشثنات: الخشنات. الكزم: القصار
(٢) المران: شجر تتخذ من فروعه رماح فيها صلابة ولدونة
(٣) الأدم: الجلد
(٤) المطارد جمع مطرد «بكسر الميم وسكون الطاء وفتح الراء ودال مهملة» الرمح القصير.

الفارس لكن الفارس يفخر بطول السيف ، و إن كان الطول في الرمح إنما صار صوابا لأنه ينال به البعيد ولا يفوته العدو ولأن ذلك يدل على شدة أسْر الفارس وقوة أيدهِ ، فكذلك السيف العريضُ الطويل . وكنتم تتخذون للقناة زُجًّا(١) وسِنانًا حين لم يقبض الفارس منكم على أصل قناته ويعتمد عند طعنته بفخذه ويستعين بحمية فرسه ، وكان أحدكم يقبض على وسط القناة و يخلف منها على مثل ما قدّم ، فانما طعنكم الدَّرْهُ والنَّهْزَةُ والخلسُ والزَّجُّ (٢) وكنتم تتساندون في الحرب وقد عُلم أن الشركة ردية في ثلاثة أشياء : في الملك والحرب والزوجة ، وكنتم لا تقاتلون بالليل ولا تعرفون البَيَات (٣) ولا الكمين ولا الميمنة ولا الميسرة ولا القلب ولا الجناح ولا الساقة ولا الطَّليعة ولا النفيضة (٤) ولا الدراجة (٥) ولا تعرفون من آلة الحرب : الرَّتيلة (٦) ولا العرَّادة (٧) ولا المجانيق ولا الدباب (٨) ولا الخنادق ولا الحسك (٩) ولا تعرفون : الأقْبية (١٠) ولا السراويلات ولا تعليق السيوف ولا الطبول ولا البنود (١١) ولا التجافيف (١٢) ولا الجواشن (١٣) ولا الخوذ (١٤) ولا

---

(١) الزج : حديدة مدببة تركب في اسفل الرمح

(٢) الدره : الرمي والقذف . والنهز : الدفع . والخلس : المخالسة في الطعن . والزج : القذف بالرمح القصير

(٣) البيات : الايقاع بالعدو ليلا

(٤) كان بالاصول النفاضة ، وهو خطأ والصواب : النفيضة وهي الجماعة يبعثون في الارض لينظروا هل فيها عدو لم لا

(٥) الدراجة : آلة كالدبابة تعمل لحصار المدن تدخل تحتها الرجال المقاتلة

(٦) الرتيلة : لعلها آلة تقذف الحصيات على العدو فتصيب الوجوه والعيون

(٧) العرادة : آلة حربية تشبه المنجنيق وهي دونه

(٨) الدباب : الدبابة وهي آلة تتخذ للدفع في أصول الحصون وفي جوفها الرجال ينقبون الجدران

(٩) الحسك : خناجر تصنع من الحديد الصلب لها شعب تغرز أنصبتها في الارض حول العسكر حتى إذا دب إليه العدو انشبت في ارجل الخيل والرجالة فتمنعهم من الدنو . وقد رأينا صورها في المجلات ايام الحرب الأوربية التي وقعت سنة ١٩١٤ وانتهت سنة ١٩١٨

(١٠) الاقبية : ضرب من الثياب أخذتها العرب عن الفرس

(١١) البنود جمع بند : العلم الكبير

(١٢) التجافيف جمع التجفاف (بكسر التاء) آلة يغطى بها الفارس والفرس في الحرب للوقاية

(١٣) الجواشن : صدور الدروع ، وقد تطلق على الدرع بأكمله

(١٤) الخوذ : المغافر وهي الزرد يلبس تحت القلنسوة ويتصل بالدرع من الخلف وقد يتقنع بأطرافه المتسلح

السواعد ولا الأجراس ولا الوهق (١) ولا الرمى بالبنجكان ولا الزَّرْقَ بالنِّفط ولا النيران ، وليس لكم فى الحرب صاحب عَلَم يرجع إليه المُنْحَازُ ويتذكره المنهزم ، وقتالكم إما سَلَّةٌ وإما مزاحفة ، والمزاحفة على مواعد متقدمة ، والسَّلَّة مسارقة وفى طريق الاستلاب والخلسة . قالوا : والدليل على أنكم لم تكونوا تقاتلون بالليل قول العامرى (٢) :

يَاشِدَّةً مَا شَدَدْنَا غَيْرَ كَاذِبَةٍ ... عَلَى سَخِينَةَ لَوْلَا اللَّيْلُ وَالْحَرَمُ

ويدل على ذلك أيضا قول الحارث بن ضِرار :

وَعَمْرٌو إِذْ أَتَانَا مُسْتَمِيتاً ... كَسَوْنَا رَأْسَهُ عَضْباً صَقِيلَا

فَلَوْلَا اللَّيْلُ مَا آبُوا بِشَخْصٍ ... يُخَبِّرُ أَهْلَهُمْ عَنْهُمْ فَتِيلَا

وقال أُمَيَّةُ بنُ الأسكر (٣) :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ثَعْلَبَةَ بْنَ سَعْدٍ ... غِضَابٌ حَبَّذَا غَضَبُ الْمَوَالِي

تَرَكْتُ مُصَرِّفاً لَمَّا الْتَقَيْنَا ... صَرِيعاً تَحْتَ أَطْرَافِ الْعَوَالِي

وَلَوْلَا اللَّيْلُ لَمْ يَغْلِبْ ضِرَارٌ ... وَلَا رَأْسُ الْحِمَارِ أَبُو جُفَالِ

الرد على الشعوبية

قلنا : ليس لكم فيما ذكرتم فى هذه الأشعار دليل على أن العرب لا تقاتل بالليل ، وقد يقاتل بالليل والنهار من تَحُولُ دون ماله المدن وهَوْلُ الليل ، وربما

(١) الوهق : حبل فيه أنشوطة يرمى به الفارس فيأخذه بفرسه

(٢) هو خداش بن زهير بن ربيعة العامرى . كان من الشعراء المجيدين فى الجاهلية ، وكان فارساً مغوارا جيد الرأى . وهذا البيت من كلمة قالها خداش يوم نخلة من ايام الفجار وقد لجأت فيه قريش إلى الحرم معتصمة به . وسخينة لقب تنبذ به قريش . وبعده :

إذ يتقينا هشام بالوليد ولو ... انا ثقفنا هشاما شالت الجذم

بين الأراك وبين المرج تبطحهم ... زرق الأسنة فى اطرافها السهم

فان سمعتم بجيش سالك سرفا ... وبطن مر فأخفوا الجرس واكتتموا

(٣) هو امية بن حرثان بن الاسكر الليثى الكنانى . كان فارساً شاعراً سيدا ادرك الجاهلية والاسلام ووفد الى النبى وأسلم . وعمر عمرا طويلا ومات فى خلافة عمر بن الخطاب

تحاجز الفريقان وإن كان كل واحد منهما يرى البيات ويرى أن يقاتل إذا بيتوه وهذا كثير، والدليل على أنهم كانوا يقاتلون بالليل قول سعدِ بن مالكٍ فى قتل كعبِ بنِ مُزَيقيا الملك الغسانى :

وَلَيلةِ تُبَّعٍ وَخَمِيسِ سَعْدٍ   أَتَوْنَا بَعْدَ مَا نِمْنَا دَبِيبَا
فَلَمْ نَهْدَأْ لِبَأْسِهِمُ وَلكِنْ   رَكِبْنَا حَدَّ كَوْكَبِهِمْ رُكُوبَا
بِضَرْبٍ تَفْلَقُ الْهَامَاتُ مِنْهُ   وَطَعْنٍ يَفْصِلُ الحَلَقَ الصَّلِيبَا

وقال بشرُ بن أبى خازمٍ :[1]

فَأَمَّا تَمِيمٌ تَمِيمُ بْنُ مُرٍّ   فَأَلْفَاهُمُ القَوْمُ رَوْبَى نِيَامَا

يقول : شربوا اللبن الرائب فسكروا منه، وهو اللبن الذى قد أخرجت زُبدته . وقال عياضٌ السّدى :

وَنَحْنُ نَجَلْنَا لِابْنِ مَيْلَاءَ نَحْرَهُ   بِنَجْلَاءَ مِنْ بَيْنِ الجَوَانِحِ تَشْهَقُ[2]
وَيَوْمَ بَنِى الدَّيَّانِ نَالَ أَخَاهُمُ   بِأَرْمَاحِنَا بِالسَّيِّ مَوْتٌ مُحَدِّقُ
وَمِنَّا حُمَاةُ الجَيْشِ لَيْلَةَ أَقْبَلَتْ   إِيَادٌ يُزَجِّيهَا الْهُمَامُ مُحَرِّقُ[3]

وقال آخر :

وَعَلَى شُتَيْرٍ رَاحَ مِنَّا رَائِحٌ   بِأَبِى قَبِيصَةَ كَالْفَنِيقِ المُقْرَمِ[4]
يَرْدِى بِشَرْحَافِ المَغَادِرِ بَعْدَمَا   نَشَرَ النَّهَارُ سَوَادَ لَيْلٍ مُظْلِمِ[5]

وقال عياضٌ السدى :

لِحِمَامِ بِسْطَامِ بْنِ قَيْسٍ بَعْدَ مَا   جَنَحَ الظَّلَامُ بِمِثْلِ لَوْنِ العِظْلِمِ[6]

(١) مضت ترجمته فى ص ١٠ من الجزء الثانى . وهذا البيت من قصيدة له انظرها بالمفضليات مشروحة بقلمنا
(٢) نجلنا : طعناه طعنة نجلاء، والنجلاء التى يتدفق منها الدم بغزارة لسعتها
(٣) المحرق : هو عمرو بن هند الملك
(٤) الفنيق المقرم : الجمل الضخم المتخذ للضراب
(٥) شرحاف المغادر : يريد بحوافر عراض تغادر الحصى يتناثر خلفها
(٦) هو بسطام بن قيس بن مسعود الشيبانى البكرى كان من فرسان العرب المشهورين وابطالهم

وقال أوسُ بنُ حجر :(١)

بَاتُوا يُصِيبُ القومُ ضيفاً لهمُ ... حتّى إذا ما ليلُهمْ أظلما

فردَّهمْ شهباءُ ململومةٌ ... مثلُ حريقِ النّارِ أوْ أضرَما(٢)

وَاللهِ لَوْلاَ قُرْزُلٌ مَا نجا ... وكانَ مثوى خَدِّكَ الأخرما(٣)

نجَّاكَ جيّاشٌ هزِيمٌ لهُ ... أخمَيتَ وَسْطَ الوَبَرِ الميسما

وبعد، فهل قتل ذُؤابُ الأسديُّ(٤) عُتيبةَ بنَ الحارثِ بنِ شِهابٍ(٥) إلاّ وسط الليل الأعظم حين تبعوهم فلحقوهم ! وكانوا إذا اجتمعوا للحرب دخّنوا بالنهار وأوقدوا بالليل ، قال عمْرُو بنُ كلثومٍ ، وذكر واقعة لهم :(٦)

وَنحنُ غداةَ أُوقِدَ في خزازى ... رَفَدْنَا فوقَ رَفْدِ الرّافدِينا

وقال خمْخامُ السدُوسيُّ :(٧)

وَإنّا بالصُّلَيبِ ببطنِ فخٍّ ... جميعاً وَاضِعينَ بهِ لَظَانَا

نُدَخِّنُ بالنّهارِ لِيُبْصِرُونَا ... ولاَ نَخفَى عَلَى أحدٍ أتانا

وأما قولهم : لا يعرفون الكمين فقد قال أبو قَيسِ بنِ الأسلتِ :(٨)

المعدودين وكان من اشرف بيوت ربيعة واجلها نسبا واضخمها حسبا . قتل في الجاهلية . والعظلم : عصارة شجر تكون سوداء

(١) مضت ترجمته في ص ١٥٩ من الجزء الأول وص ٦ من هذا الجزء

(٢) الشهباء الململومة : الكتيبة من الجيش

(٣) قرزل : رس عامر بن الطفيل

(٤) هو ذؤاب بن ربيعة بن عبيد الأسدي . كان فارسا مغوارا وبطلا كرارا

(٥) مضت ترجمته في ص ١٨٥ من الجزء الثاني

(٦) هذا البيت من قصيدته المشهورة التي اولها :

الا هبي بصحنك فاصبحينا ... ولا تبقي خمورا لا تدرينا

وهي من جيد الشعر وكانت بنو تغلب شغوفة بها ، فقال احد الشعراء فيهم :

الهى بني تغلب عن كل مكرمة ... قصيدة قالها عمرو بن كلثوم

يفاخرون بها مذ كان اولهم ... يالرجال لشعر غير مسئوم

(٧) خمخام بن حملة السدوسي . قال ابن دريد : كان فارسا شاعرا ظالما ، وإنما سمى الخمخام لأنه كان يتخمخم على الناس في كلامه كأنه يخرج من نفسه . وكان يقول : انا جار كل من طلعت عليه الشمس .

(٨) هو صيفي بن عامر الوائلي الاوسي . كان من شعراء الجاهلية وفرسانها وساداتها . وكانت الاوس اسندت إليه قيادتها في حروبها مع الخزرج فنهض باعبائها واحسن التدبير فيها

وَأَحْرَزْنا المَغانِمَ وَاستَبَحْنا ... حِمَى الأَعْدَاءِ وَاللهُ المُعِينُ
بِغَيْرِ خِلابَةٍ وَبِغَيْرِ مَكْرٍ ... مُجاهَرَةً وَلَمْ نُخْبَأْ كَمِينُ

وأما ذكرهم للرُّكُبِ فقد أجمعوا على أن الرُّكُبَ كانت قديمة ، إلا أن رُكُبَ الحديد لم تكن فى العرب إلا أيام الأزارقة (١) وكانت العرب لا تُعوِّد أنفسها إذا أرادت الركوب أن تضع أرجلها فى الرُّكُب ، وإنما كانت تَنْزُو نَزْواً ، وقال عُمَرُ بنُ الخطّابِ رضى الله تعالى عنه : لا تَخُورُ قُوًى ما كان صاحبها يَنْزُو ويَنْزِعُ . يقول : أى لا تنتكث قوته ما دام ينزع فى القوس وينزو فى السرج من غير أن يستعين بركاب . وقال عمر : الراحة عُقلة ، وإياكم والسِّمنة فإنها عُقلة . ولهذه العلة قُتل خالدُ بنُ سعيدِ بنِ العاص (٢) حين غشيه العدو وأراد الركوب ولم يجد من يحمله . ولذلك قال عمرُ حين رأى المهاجرين والأنصار لما أخصبوا وهَمَّ كثير منهم بمقاربة عيش العجم : تَمَعْدَدُوا (٣) واخْشَوْشِنُوا واقطَعوا الرُّكُبَ وانْزُوا على الخيل نَزْواً . وقال : إحفوا وانتعلوا فإنكم لا تدرون متى تكون الجَفْلَةُ .

وكانت العرب لا تدع اتخاذ الرُّكابِ للرحل فكيف تدع الركاب للسرج ! ولكنهم كانوا إن اتخذوا الرُّكُبَ فإنهم لا يستعملونها إلا عند ما لا بد منه كراهية أن يتكلوا على بعض ما يورثهم الإسترخاء والتفنخ ويضاهُون أصحابَ التَّرَفه والنعمة . قال الأصمعىُّ : قال العُمَرىُّ : كان عمرُ بنُ الخطاب رضى الله تعالى عنه

(١) الازارقة : من الخوارج وذلك حينما كان يحاربهم المهلب واولاده وهو الذى امر باتخاذ ركب الحديد

(٢) هو خالد بن سعيد بن العاص بن امية . اسلم قبل إسلام ابى بكر وولاه النبى صدقات بنى زبيد فخاز سيف عمرو بن معديكرب المسمى بالصمصامة . ولم يزل عند بنيه حتى اشتراه منهم المهدى العباسى . وقتل خالد يوم اليرموك

(٣) تمعددو : تزيوا بزي العرب من معد بن عدنان ، وكانوا اهل قشف وغلظ فى معاشهم ، ودعوا التنعم والتزيي بزى العجم

يأخذ بيده اليمنى أُذُن فرسه اليُسْرَى ثم يجمع جَراميزَه (١) ويثبُ فكأنما خلق على ظهر فرسه ، وفعل مثل ذلك الوليدُ بنُ يزيدَ وهو يومئذ ولى عهد هشام ثم أقبل على مَسلمةَ بن هشام فقال له : أبوك يحسن مثل هذا ! فقال مسلمة : لأبي مائة عبد يحسنون مثل هذا ! فقال الناس : لم ينصفه فى الجواب .

وزعم رجال من مشيختنا أنه لم يقم أحد من ولد العباس بالملك إلا وهو جامع لأسباب الفروسية .

وأما ماذكروا فى شأن رماح العرب فليس الأمر فى ذلك على مايتوهمون ، وللرماح طبقات فمنها « النيْزكُ » ومنها « المَرْبوعُ » ومنها « المخموسُ » ومنها « التامُّ » ومنها « الخطِلُ » وهو الذى يضطرب فى يد صاحبه لإفراط طوله ، فإذا أراد الرجل أن يخبر عن شدة أسر صاحبه ذكره كما ذكر مُتمِّم بنُ نُوَيْرةَ أخاه مالكا فقال : كان يخرج فى الليلة الصِّنَّبْرة (٢) عليه الشملة الفلوتُ (٣) بين المزادتين النَّضوحتين (٤) على الجمل الثَّفال (٥) معتقلَ الرمح الخطِلَ . قالوا له : وأبيك إن هذا لهو الجلْدُ (٦) . ولا يحمل الرمح الخطل منهم إلا الشديدُ الأَيِّدِ (٧) والمدلُّ بفضل قوته عليه الذى إذا رآه الفارس فى تلك الهيئة هابه وحاد عنه ، فإن شد عليه كان أشد لاستخدامه له ، والحال الأخرى أن يخرجوا فى الطلب بعقب الفارَّة (٨) فربما شد على الفارس المولى فيفوته بأن يكون رمحه مربوعاً أو مخموساً وعند ذلك يستعملون النيازك ، والنيزك أقصر الرماح ، وإذا كان الفارس الهارب يفوت الفارس الطالب زَجَّه بالنيزك ، وربما هاب مخالطته فيستعمل الزَّجَّ دون

---

(١) جراميزه : مجموع بدنه
(٢) الصنبرة : الباردة
(٣) الشملة الفلوت : هى التى لاينضم طرفاها لصغرها
(٤) المزادتان النضوحتان : القربتان اللتان ترشحان بالماء
(٥) الجمل الثفال : البطىء المشى
(٦) الجلد : القوى الشديد
(٧) الأيد : القوة
(٨) الفارة جمع الفار : الهاربون

الطعن ، صنيع ذُؤاب الأسدِىّ بعتيبة بن الحارثِ بن شهاب . وقال الشاعر :

وَأسمَرَ خَطِّياً كأنَّ كُعُوبَهُ نَوَى القَسْبِ قدْ أرْمَى ذِرَاعاً عَلَى العَشْرِ (١)

وقال آخر :

هَاتيكَ تحْمِلُنِى وَأبيَضَ صَارِمًا وَمُحَرَّبًا فى مَارِنٍ مَخْمُوسِ

وقال آخر :

تَوَلَّوْا وَأطْرَافُ الرِّمَاحِ عَليْهِمُ بَوَادِرُ مَرْبُوعَاتُها وَطِوَالُها

وهم قوم الغارات فيهم كثيرة ، و بقدر كثرة الغارات كثر فيهم الطلب ، والفارس ربما زاد فى طول رمحه ليخبر عن فضل قوته ، ويخبر عن قصر سيفه ليخبر عن فضل نجدته ، قال كعبُ بن مالك : (٢)

نَصِلُ السُّيُوفَ إذا قَصُرْنَ بخَطْوِنا قُدُمًا وَنُلْحِقُها إذا لمْ تُلْحَقِ

وقال آخر :

إذا الكُمَاةُ تَنَحَّوْا أنْ يَنَالهُمُ حَدُّ الظُّبَاةِ وَصَلْناها بأيْدِينا

وقال رجل من بنى تيم بن نُمَيْر :

وَصَلْنا الرِّقَاقَ المُرْهَفَاتِ بِخَطْوِنَا عَلَى الهَوْلِ حَتَّى أمْكَنَتْنا المَضَارِبُ

وقال حُمَيدُ بنُ ثَوْرٍ الهلالىُّ :

وَوَصْلُ الخُطَى بالسَّيْفِ وَالسَّيْفِ بالخُطَى إذَا ظَنَّ أنَّ السَّيْفَ ذُو السَّيْفِ قاصِرُ

وقال آخر :

الطَّاعِنُونَ فِى النُّحُورِ وَالكُلَى شَزْرًا وَوُصَّالُ السُّيُوفِ بالخُطَى

---

(١) القسب : التمر اليابس . أرمى : زاد وأربى

(٢) هو كعب بن مالك الخزرجى الانصارى . كان من اصحاب رسول الله ومن أفاضل الشعراء الذين ناضلوا عن الاسلام بسيوفهم وألسنتهم وقوة عارضتهم . وقد روى الأحاديث وحملت عنه . وكان عثمانى الهوى وكان يحرض الانصار على الاخذ بثأر عثمان من قاتليه . ومات فى عهد معاوية . وهذا البيت من قصيدة بارعة قالها يوم الخندق أولها :

من سره ضرب يمعمع بعضه بعضا كمعمعة الاباء المحرق
فليأت مأسدة تسن سيوفها بين المذاد وبين جذع الخندق

وأما ما ذكروا من اتخاذ الزُّج لسافلة الرُّمح والسنان لعاليته ، فقد ذكروا أن رجلا قتل أخوين فى نقاب[1] أحدهما بعالية الرمح والآخر بسافلته . وقدم فى ذلك راكب من قِبَلِ بنى مروان على قتادة[2] يستثبت الخبر فأثبته له من قبله . وقال الآخر :

إنَّ لقيْسٍ عادَةً تعتادُها ... سَلَّ السُّيُوفِ وَخُطًى تَزْدادُها

وقد وصفوا السيوف أيضاً بالطول فقال عُمارةُ بنُ عقيلٍ[3] :

بِكُلِّ طَوِيلِ السيْفِ ذِى خيْزُرانةٍ ... جَرِىءٍ عَلَى الأعْدَاءِ مُعْتَمِدِ الشَّطْبِ

وجملة القول أنا لانعرف الخطب إلا للعرب والفرس، وأما الهند فإنما لهم معان مدونة وكتب مجلدة لا تُضاف إلى رجل معروف ولا إلى عالم موصوف وإنما هى كتب مُتوارَثةٌ ، وآداب على وجه الدهر سائرةٌ مذكورةٌ .

ولليونانيين فلسفةٌ وصناعة منطق ، وكان صاحب المنطق نفسه بكيءُ اللسان[4] غير موصوف بالبيان مع علمه بتمييز الكلام وتفصيله ومعانيه وبخصائصه ، وهم يزعمون أن جالينُوس كان أنطق الناس ، ولم يذكروه بالخطابة ولا بهذا الجنس من البلاغة .

وفى الفرس خطباء ، إلا أن كل كلام للفرس وكل معنى للعجم فإنما هو عن طول فكرة وعن اجتهاد وخلوة وعن مشاورة ومعاونة وعن طول التفكر ودراسة الكتب وحكاية الثانى علم الأول وزيادة الثالث فى علم الثانى حتى اجتمعت ثِمَارُ تلك الفكر عند آخرهم .

وكل شىء للعرب فإنما هو بديهةٌ وارتجال وكأنه إلهام ، وليست هناك معاناة

(١) قال الجاحظ : تقول العرب : لقيته سقابا ونقابا أي مواجهة

(٢) هو قتادة بن دعامة السدوسى . ومضت ترجمته فى ص ٩٩ من الجزء الاول

(٣) هو عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير بن الخطفي . شاعر مقدم فصيح من شعراء الدولة العباسية وكان مداحاً لخلفائها زوارا لأمرائها ، وكان يسكن بادية البصرة ، وكان رواة البصرة ونحاتها يأخذون عنه ويعتمدون قوله . وكانوا يقولون إن شعره أشد استواء من شعر جده جرير . وكان هجاء خبيث اللسان . مات فى عهد المتوكل

(٤) بكيءُ اللسان : قليل الكلام لحبسة فى لسانه

ولا مكابدة ولا إجالة فكرة ولا استعانة ، وإنما هو أن يصرِفَ وَهْمَهُ إلى الكلام وإلى رجز يوم الخصام أو حين أن يَمْتَحَ (١) على رأس بئر أو يحدو ببعير أو عند المقارعة والمناقلة أو عند صراع أو فى حرب ، فما هو إلا أن يصرف وهمه إلى جملة المذهب وإلى العمود الذى إليه يقصد فتأتيه المعانى أرسالا وتنثال عليه الألفاظ انثيالا ثم لا يقيده على نفسه ولا يدرسه أحد من ولده . وكانوا أُميين لا يكتبون ومطبوعين لا يتكلفون ، وكان الكلام الجيد عندهم أظهر وأكثر وهم عليه أقدر وأقهر ، وكل واحد فى نفسه أنطق ومكانه من البيان أرفع ، وخطباؤهم أوجز والكلام عليهم أسهل وهو عليهم أيسر من أن يفتقروا إلى تحفظ أو يحتاجوا إلى تدارس ، وليس هم كمن حفظ علم غيره واحتذى على كلام من كان قبله ، فلم يحفظوا إلا ما علق بقلوبهم والتحم بصدورهم واتصل بعقولهم من غير تكلف ولا قصد ولا تحفظ ولا طلب ، وإن شيئاً الذى فى أيدينا جزء منه لَبِالمِقدار الذى لا يعلمه إلا من أحاط بقطر السحاب وعددِ التراب وهو الله الذى يحيط بما كان والعالم بما سيكون .

ونحن أبقاك الله إذا ادّعينا للعرب أصناف البلاغة من القصيد والأرجاز ، ومن المنثور والأسجاع ، ومن المزدوج وما لا يزدوج ، فمعنا العلم على أن ذلك لهم شاهد صادق ، من الديباجة الكريمة والرونق العجيب والسبك والنحت الذى لا يستطيع أشعر الناس اليوم ولا أرفعهم فى البيان أن يقول فى مثل ذلك إلا فى اليسير والنبذ القليل .

ونحن لا نستطيع أن نعلم أن الرسائل التى فى أيدى الناس للفرس أنها صحيحة غير مصنوعة وقديمة غير مولدة إذا كان مثل ابن المُقَفَّع وسَهْلِ بنِ هرون (٢) وأبى عبدِ الله (٣) وعبدِ الحميدِ (٤) وغَيْلانَ (٥) وفلان وفلان لا يستطيعون أن

(١) يمتح : يستق

(٢) مضت ترجمة أولهما فى ص ١٠٨ من الجزء الاول وترجمة ثانيهما فى ص ٥٩ من الجزء الاول

(٣) هو أبو عبد الله محمد بن يزداد بن سويد الكاتب ، كان من اكابر البلغاء وافاضل الشعراء . وكان من وزراء المامون . وذكر ابن النديم ان له كتاب رسائل وديوان شعر ، وذكر ان له ولدا يسمى عبد الله بن محمد بن يزداد [وكان احد الكتاب البلغاء ايضا . وقد ورد ذكر ابى عبد الله فى ص ٢١٠ وفى ص ٢٢٨ من الجزء الاول باسم ابى عبيد الله . وهو كما ترى خطا

(٤) مضت ترجمته فى ص ١٧٩ من الجزء الاول

(٥) مضت ترجمته فى ص ٢٣٩ من الجزء الاول

يولدوا مثل تلك الرسائل ويصنعوا مثل تلك السير !

وأخرى ، إنك متى أخذت بيد الشعوبيّ فأدخلته بلاد الأعراب الخُلّص ومعدنِ الفصاحة التامة ووقفته على شاعر مفلق أو خطيب مِصقَع علم أن الذى قلت هو الحق وأبصر الشاهد عيانا ، فهذا فرق مابيننا و بينهم .

فتفهَّم عنى — فهمك الله — ما أنا قائل فى هذا واعلم أنك لم تر قوماً قط أشقى من هؤلاء الشعوبية ولا أعدى على دينه ولا أشد استهلاكا لعرضه ولا أطول نَصبا ولا أقل غُنْماً من أهل هذه النِّحْلة ، وقد شفَى الصدورَ منهم طولُ جثوم الحسد على أكبادهم وتوقد نار الشَّنآن فى قلوبهم وغليانُ تلك المراجل الفائرة وتسعُّر تلك النيران المضطرمة ، ولو عرفوا أخلاق كل ملة وزى كل لغة وعللهم فى اختلاف إشاراتهم وآلاتهم وشمائلهم وهيآتهم وما علة كل شىء من ذلك ولم اختلقوه ولم تكلفوه لأراحوا أنفسهم ولخفت مؤنتهم على من خالطهم .

والدليل على أن أخذ العصا مأخوذٌ من أصل كريم ومن معدن شريف ومن المواضع التى لا يَعيبها إلا جاهل ولا يعترض عليها إلا معاند ، اتخاذ سليمان بن داود عليه السلام العصا لخطبته وموعظته ولمقاماته وطول صلاته ولطول التلاوة والانتصاب ، فجعلها لتلك الخصال جامعة ، قال الله عز وجل وقوله الحق : « فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَادَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دابَّةُ الأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فى الْعَذَابِ الْمُهِينِ » والمِنْسأةُ هى العصا . وقال أبو طالبٍ حين قام بدم الرجل الذى ضرب زميله بالعصا فقتله حين تخاصما فى حبل وتجاذبا :

أَمِنْ أَجْلِ حَبْلٍ لَا أَبَاكَ عَلَوْتَهُ ... بِمِنْسَأَةٍ قَدْ جَاءَ حَبْلٌ وَأَحْبُلُ

وقال آخر :

إِذَا دَبَبْتَ عَلَى المِنْسَاةِ مِنْ كِبَرٍ ... فَقَدْ تَبَاعَدَ عَنْكَ اللَّهْوُ وَالْغَزَلُ

قال أبو عثمان . وإنما بدأنا بذكر سليمان عليه السلام لأنه من أنبياء العجم

والتمويه إليهم أميل وعلى فضائلهم أحرص ، ولما أعطاهم الله أكثر وصفاً وذكراً وقد جمع الله لموسى بن عِمْرَانَ فى عصاه من البُرهانات العظام والعلامات الجسام ما عسى أن يفى (١) ذلك بعلامات عدة من المرسلين وجماعة من النبيين ، قال الله تبارك وتعالى فيما يذكر فى عصاه « إِنَّ هذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُم مِنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِما » إلى قوله « ولا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى »

فلذلك قال الحسَنُ بنُ هانىء فى شأن خصيب وأهـل مصر حين اضطربوا عليه : (٢)

فإِنْ تَكُ مِنْ فِرْعَوْنَ فِيكُمْ بَقِيَّةٌ فَإِنَّ عَصَا مُوسَى بِكَفِّ خَصِيبِ

ألم تر أن السَّحرةَ لم يتكلفوا تغليط الناس والتمويه عليهم إلا بالعصا ، ولا عارضهم موسى إلا بعصاه !

وقال الله عز وجل « وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ حَقِيقٌ عَلَى أَلاَّ أَقُولَ عَلَى اللهِ إلاَّ الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِى إِسْرَائِيلَ قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ » وقال الله عز وجل « قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِىَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ »

---

(١) كان بالاصول : يفى. وهو خطأ والصواب ما اثبتناه

(٢) هذا البيت من ابيات لأبي نواس نرويها لخلاف فيها :

منحتكم يا أهل مصر نصيحتى الا فخذوا من ناصح بنصيب
ولا تثبوا وثب السفاه فتركبوا على حد حامي الظهر غير ركوب
فان يك باق إفك فرعون فيكم فان عصا موسى بكف خصيب
رماكم امير المؤمنين بحية اكول لحيات البلاد شروب

ألا ترى أنهم لما سحروا أعين الناس واسترهبوهم بالعِصِىّ والحبال لم يجعل الله للحبال من الفضيلة فى إعطاء البرهان ما جعل للعصا ! وقدرة الله على تصريف الحبال فى الوجوه كقدرته على تصريف العصا .

وقال الله تبارك وتعالى : « فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِىَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِى الْأَيْمَنِ فِى الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّى أَنَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَامُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ » فبارك الله كما ترى على تلك الشجرة وبارك فى تلك العصا ، وإنما العصا جزء من الشجرة ، وقال الله عز وجل « وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا »

وقالت الحكماء : إنما تُبنَى المدائن على الماء والكلأ والمحتطب .

فجمع بقوله « أخرج منها ماءها ومرعاها » النَّجم والشجر والمِلح واليقْطِين[1] والبقْل والعُشب ، فذكر ما يقوم على ساق وما يتفنن وما يتسطح وكل ذلك مرعى ثم قال على النَّسق « متاعاً لكم ولأنعامكم » فجمع بين الشجر والماء والكلأ والماعون كله ، لأن الملح لايكون إلا بالماء ولا تكون النار إلا من الشجر ، وقال تبارك وتعالى « الَّذِى جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ » وقال « أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِى تُورُونَ أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ »

والمَرْخُ[2] والعفارُ[3] والسُّوَاسُ[4] والعَرَاجِينُ وجميع عيدان النار وكل عود يقدح على طول الاحتكاك فهو غنى بنفسه بالغ للمقوى[5] وغير المقوى ،

(١) اليقطين : كل مالا ساق له من النبات كالقرع ونحوه

(٢) المرخ : شجر سريع الورى اى الاحتراق

(٣) العفار : شجر يتخذ منه الزناد

(٤) السواس : شجر يتخذ منه الزناد وهو خير ما اتخذ منه

(٥) المقوى : الشديد الجوع

وحجر المَرْوِ يحتاج إلى قرّاعةِ الحديد، وهما يحتاجان إلى العُطْبَةِ (١) ثم إلى الحطب، والعيدان هى الفادحة وهى المورية (٢) وهى الحطب. قال الله عز وجل «الذين هُمْ يُراؤون ويَمْنعونَ المَاعُون» والماعون: الماء والنار والكلأ. وقال الأسدى:

وَكأن أرْحُلنَا بأرْض مُحصَّبٍ ... بِلوَى عُنَيْزَةَ مِنْ مَقِيلِ التُّرْمُسِ (٣)

فى حَيْثُ خَالَطَتِ الخُزَامَى عَرْفَجاً ... يأتِيكَ قَابسُ أهْلِهَا لَمْ يَقْبِسِ

وإنما وصف خِصب الوادى ولدونة عيدانه ورطوبة الورق، وهذا خلاف قوله:

فإنَّ السِّنَانَ يرْكَبُ المَرْءُ حَدَّهُ ... مِنَ العَارِ أوْ يَعْدُو عَلَى الأسَدِ الوَرْدِ

وإنَّ الَّذِى ينْهَا كُمْ فى طِلابِهَا ... يُنَاغِى نِساءَ الحَىِّ فى طُرَّةِ البُرْدِ (٤)

يُعَلَّلُ وَالأيَّامُ تَنقُصُ عُمْرَهُ ... كمَا تَنقُصُ النِّيرانُ مِنْ طَرَفِ الزَّنْدِ

وذكر الله عز وجل النخلة فجعلها شجرة فقال: «أصلها ثابتٌ وفَرْعها فى السَّماء» وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم حُرْمَةَ الحرَم فقال «لا يُختلَى خلاها ولا يُعضَدُ شجَرُها» وقال الله عز وجل «وأنْبَتْنا عليه شجرةً مِنْ يَقْطِين»، وتقول العرب: ليس شىء أدفأ من شجره، ولم يكلم اللهُ موسى إلا من شجرة وجعل الله أكثر آياته فى عصاه وهى من الشجرة، ولم يمتحن الله عز وجل صبر آدم وحوّاء — إذ هما أصل هذا الخلق وأوله — إلا بشجرة، ولذلك قال «ولا تقربا هذه الشجرةَ فتكونا مِنَ الظالمينَ» وجعل بيْعَةَ الرّضوان تحت شجرة، وقال: «وشجرةً تخْرُجُ من طُورِ سَيْناء تَنبُتُ بالدُّهْنِ وصِبغٍ للآكلينَ» وسِدْرَةُ المُنتهَى التى عندها جنة المأوى شجرة، وشجرة سر تحتها سبعون نبياً لا تعبل ولا تسرف، وحين اجتهد إبليس فى الاحتيال لآدم وحواء عليهما السلام

---

(١) العطبة: القطعة من القطن

(٢) المورية: يعني المظهرة للنار

(٣) المحصب ولوى عنيزة: اسما مكانين

(٤) يناغي نساء الحي: يغازلهن ويحادثهن. طرة البرد: جانب الثوب

لم يصرف الحيلة إلا إلى الشجرة ، وقال : « هَلْ أَدُلُّكَ على شجرةِ الخُلْدِ ومُلْكٍ لا يَبْلى »

وفيما ضُرب من الأمثال بالعصا قالوا : قال جَمِيلُ بنُ بَصْبَهْرى (١) حين شكا اليه الدهاقين (٢) شر الحَجَّاج : أخبرونى أين مولده ، قالوا : الحجاز ، قال : ضعيف مُعجب ، قال : فمنشؤه ، قالوا : الشام ، قال : ذاك شر ، ثم قال : ما أحسن حالكم إن لم تُبتلوا معه بكاتب منكم — يعنى من أهل بابل — فابتلوا بزاذان فَرُّوخ الأعور ، (٣) ثم ضرب لهم مثلا فقال : إنَّ فأساً ليس فيه عُود أُلقى بين الشجر فقال بعض الشجر لبعض : ما أُلقى هذا هاهنا لخير ! فقالت شجرة عادية : إن لم يدخل فى است هذا منكن عُود فلا تخفنَهْ . وقال يَزِيدُ بنُ مُفَرِّغ :

أَلعبْدُ يُقْرَعُ بالعَصَا ... وَالُحرُّ تَكفيهِ المَلامَهْ

قالوا : أخذه من الفَلَتَانِ الفَهْمِى حيث قال :

أَلعَبْدُ يُقْرَعُ بالعصَا ... وَالُحرُّ تَكفيهِ الإشارَهْ

وقال مَالِكُ بنُ الرَّيْبِ :

أَلعبْدُ يُقْرَعُ بِالعَصَا ... وَالُحرُّ يَكفيهِ الوَعِيدُ

وقال بشَّارٌ :

أَلُحرُّ يُلْحَى وَالعَصَا لِلعَبْدِ ... وَلَيْسَ لِلمُلْحِفِ مِثْلُ الرَّدِّ

---

(١) قلنا فى حاشية الصفحة ٢٠٦ من الجزء الثانى انه جميل بن بصرة الغفارى الصحابى ، والظاهر أن ذلك لم يكن بصواب وان جميل بن بصبهرى غير جميل بن بصرة ، إذ ان هذا يتحدث عن الحجاج ولا شأن للصحابى به فلينظر .

(٢) الدهاقين واحدها دهقان وهو رئيس القرية (العمدة) ومقدم اهل الزراعة

(٣) قلنا فى حاشية الصفحة ٢٦٦ من الجزء الاول ان زاذان فروخ الاعور هو الذى نقل الدواوين فى العراق من الفارسية إلى العربية ، املينا ذلك من حافظتنا دون الرجوع إلى مصدر معين . ثم رأيت اباهلال العسكرى يقول : إن زيادا استكتب زاذان فروخ فاستكتب صالح بن عبد الرحمن وكان من سبى سجستان فلما ولى الحجاج العراق قال صالح لزاذان فروخ : إن الامير سيقدمنى عليك ولا أحب ذلك ، فقال : إن الأمير لايجد من يقوم بحساب ديوانه غيرى ، فقال صالح : إن أمرنى بنقل الديوان إلى العربية فعلت ! فقال له : فانقل بين يدى شيئاً منه ، ففعل ، فقال زاذان فروخ لكتابه الفرس : إلتمسوا مكسبا فقد ذهب مكسبكم . ثم نقل صالح الدواوين إلى العربية فكان كتاب العراقين غلمانه وتلاميذه . وعلى كل حال رحم الله من أسدى ذلك المعروف .

وقال آخر:

حَاوَلْتُ حِينَ صَرَمْتَنِي ... وَالمَرْءُ يَعْجَزُ لَا مَحَالَهْ

وَالدَّهْرُ يَلْعَبُ بِالفَتَى ... وَالدَّهْرُ أَرْوَغُ مِنْ ثُعَالَهْ (١)

وَالمَرْءُ يَكْسِبُ مَالَهُ ... بِالشُّحِّ يُورِثُهُ الكَلَالَهْ

وَالعَبْدُ يُقْرَعُ بِالعَصَا ... وَالحُرُّ تَكْفِيهِ المَقَالَهْ

ومما يدخل فى باب الإنتفاع بالعصا أن عَامِرَ بْنَ الظَّرِبِ العَدْوَانِى حكم العرب فى الجاهلية لما أسن واعتراه النسيان أمر بنته أن تقرع بالعصا إذا هو فهَّ عن الحكم وجار عن القصد، وكانت من حكيمات بنات العرب حتى جاوزت فى ذلك مقدار صُحْرِ بنت لُقمان وهند بنت الخُس وجُمَعَة بنت حابسِ بنِ مليل الإيادِيِّين، وكان يقال لِعامِرٍ: ذو الحلم، ولذلك قال الحارثُ بْنُ وَعْلَةَ (٢):

وَزَعَمْتُمْ أَنْ لَا حُلُومَ لَنَا ... إِنَّ العَصَا قُرِعَتْ لِذِي الحِلْمِ

وقال المتلمِّسُ (٣):

لِذِي الحِلْمِ قَبْلَ اليَوْمِ مَا تُقْرَعُ العَصَا ... وَمَا عُلِّمَ الإِنْسَانُ إِلَّا لِيَعْلَمَا

وقال الفرزدقُ بن غالب:

فَإِنْ كُنْتُ أَنْسَانِي حُلُومُ مُجَاشِعٍ ... فَإِنَّ العَصَا كَانَتْ لِذِي الحِلْمِ تُقْرَعُ

ومن ذلك حديث سعد بنِ مَالك (٤) بن ضُبَيْعَةَ بن قيس بن ثَعْلَبَةَ،

---

(١) الثعالة: أنثى الثعلب

(٢) هو الحارث بن وعلة الجرمى. كان من فرسان قضاعة وأنجادها وأعلامها وفحول شعرائها. وكان أبوه وعلة بن عبد الله بن الحارث كذلك. ولكل منهما شعر جيد فى مشاهد جليلة فى الجاهلية. والحارث من شعراء المفضليات

(٣) هو جرير بن عبد المسيح الضبعى. شاعر جاهلى من شعراء البحرين مات سنة ٥٨٠ م وهذا البيت من قصيدة يهجو بها عمرو بن هند ملك الحيرة أولها:

يعيرنى أمى رجال ولا أرى ... أخا كرم إلا بأن يتكرما

ومن كان ذا عرض كريم فلم يصن ... له حسبا كان اللئيم المذمما

(٤) كان بالاصول: سعيد بن مالك. والصواب ما أثبتناه. وهو جد طرفة بن العبد البكري. كان من سراة بنى بكر وفرسانها الأبطال وشعرائها المعدودين. إلا انه يعد من المقلين، وكان له شأن عظيم فى حروب البسوس. مات حوالى سنة ٥٣٠ م

واعتزم الملك على قتل أخيه إن هو لم يصب ضميره ، فقال له سعد : أبيت اللعن، أتَدَعُنِي حتى أقرع بهذه العصا أختها ؟ فقال له الملك : وما علمه بما تقول العصا ! فقرع بها وأشار بها مرة ثم رفعها ثم وضعها ففهم المعنى فأخبره ونجا من القتل .

وذِكر العصا يجرى عندهم فى معان كثيرة ، تقول العرب : ألعصا من العُصية والأفعى بنت حية . تريد أن الأمر الكبير يحدث عن الأمر الصغير . ويقال: طارت عصا فلان شققاً . وقال الأسدى :

عِصِيُّ الشَّمْلِ مِنْ أَسَدٍ أَرَاهَا قَدِانْصَدَعَتْ كَمَا انْصَدَعَ الزُّجَاجُ

يقال : فلان شق عصا المسلمين ، ولا يقال : شق ثوباً ولا غير ذلك مما يقع عليه إسم الشق . وقال العَتَّابى فى مديح بعض الخلفاء :(١)

إمَامٌ لَهُ كَفٌّ تَضُمُّ بَنَانُهَا عَصَا الدِّينِ مَمْنُوعٌ مِنَ البَرْىِ عُودُهَا
وَعَيْنٌ مُحِيطٌ بِالْبَرِيَّةِ طَرْفُهَا سَوَاءٌ عَلَيْهِ قُرْبُهَا وَبَعِيدُهَا

وقال المُضَرِّسُ الأسدى :(٢)

وَأَلْقَتْ عَصَاهَا وَاسْتَقَرَّتْ بِهَا النَّوَى كَمَا قَرَّ عَيْنًا بِالإِيَابِ المُسَافِرُ

وقال المضرِّسُ أيضاً :

فَأَلْقَتْ عَصَا التَّسْيَارِ عَنْهَا وَخَيَّمَتْ بِأَرْجَاءِ عَذْبِ المَاءِ بِيضٌ مَحَافِرُهْ

يقال لبنى أسد : عبيد العصا ، يعنى أنهم ينقادون لكل من حالفوا من الرؤساء . قال بِشْرُ بْنُ أبى خازم :(٣)

عَبِيدُ العَصَا لَمْ يَتَّقُوكَ بِذِمَّةٍ سِوَى سَيْبِ سَعْدٍ إِنَّ سَيْبَكَ وَاسِعُ

وتسمى العربُ كلَّ صغير الرأس « ألعصا » وكان عُمَرُ بْنُ هُبَيْرَةَ(٤) صغير

---

(١) هو هرون الرشيد

(٢) هو المضرس بن ربعى الاسدى . شاعر من فحول الشعراء ومحسنيهم

(٣) مضت ترجمته فى ص ١٠ من الجزء الثانى

(٤) مضت ترجمته فى ص ٩٦ من الجزء الاول

الرأس . قال سُوَيْدُ [بن كراع العكلى] (١)

مَنْ مُبْلِغٌ رَأْسَ العَصَا أَنَّ بَيْنَنَا ... ضَغَائِنَ لَاتُنْسَى وَإِنْ قَدُمَ الدَّهْرُ

وقال آخر :

مَنْ مُبْلِغٌ رَأْسَ العَصَا أَنَّ بَيْنَنَا ... ضَغَائِنَ لَاتُحْصَى وَإِنْ قِيلَ سُلَّتِ

رَضِيتَ لِقَيْسٍ بالقَلِيلِ وَلَمْ تَكُنْ ... أَخَا رَاضِياً لَوْ أَنَّ نَعْلَكَ زَلَّتِ

وكان وَالِبَةُ (٢) صغير الرأس ، فقال أَبُو العَتَاهِيَةَ (٣) فى رأس وَالِبَةَ ورؤس قومه :

رُؤُسُ عِصِيٍّ كُنَّ مِنْ عُودِ أَثْلَةٍ ... لَهَا قَادِحٌ يَفْرِى وَآخَرُ مُجْرِبُ

والدليل على أنهم كانوا يتخذون المخاصر فى مجالسهم كما يتخذون القَنَا والقِسِى فى المحافل قول الشاعر فى بعض الخلفاء : (٤)

فِى كَفِّهِ خَيْزُرَانٌ رِيحُهَا عَبِقٌ ... مِنْ كَفِّ أَرْوَعَ فِى عِرْنِينِهِ شَمَمُ

يُغْضِى حَيَاءً وَيُغْضَى مِنْ مَهَابَتِهِ ... فَمَا يُكَلَّمُ إِلَّا حِينَ يَبْتَسِمُ

---

(١) مضت ترجمته فى ص ١٠ من الجزء الثاني

(٢) هو والبة بن الحباب الاسدي . كان شاعرا ماجدا من شعراء الدولة العباسية وكان أديبا ظريفاً من المجان العابثين وصافا للشراب ، وهو أحد من أخذ عنهم أبو نواس . وكان هجا أبا العتاهية وبشارا فغلباه ففر منهما إلى الكوفة . ومما قاله في أبي العتاهية :

كان فينا يكنى أبا إسحق ... وبها الركب سار فى الآفاق

فتكنى معتوهنا بعتاه ... يالها كنية أتت باتفاق

خلق الله لحية لك لاتنـ ... فك معقودة بداء الحلاق

(٣) هو ابو اسحق اسماعيل بن القاسم بن سويد العنزى بالولاء . كان فى اول امره يبيع الفخار بالكوفة ثم قال الشعر فبرع فيه حتى ألحقه العارفون بطبقة بشار والسيد الحميرى . وكان غزير البحر لطيف المعاني سهل الألفاظ كثير الافتنان قليل التكلف . وشهر بالقول فى الزهد والأمثال وقد مدح المهدي والهادي والرشيد والمأمون . وكان يتعشق عتبة جارية المهدى وغيرها وله فى ذلك شعر حسن . مات سنة ٢١٣ هـ

(٤) قائل هذا الشعر هو الحزين الكنانى فى عبد الله بن عبد الملك . انظر تحقيق ذلك فى ص ٢٨٥ و ٢٨٦ من الجزء الاول

وقال الآخر :

مَجالِسُهم خَفْضُ الحَديثِ وَقولُهُمْ إذا ماقضَوْا فى الأمْرِ وَحْى المَخاصِرِ

وقال الأنصارى :[1]

يُصِيبُونَ فَصْلَ القَوْلِ فى كل خُطْبَةٍ إذا وَصَلُوا أيْمانَهُمْ بِالمَخاصِرِ

علامة الانصراف عند بعض الملوك

وحدثنى بعض أصحابنا قال : كنا منقطعين إلى رجل من كبار أهل العسكر وكان لُبْثُنا عنده يطول فقال بعضنا : إن رأيت أن تجعل لنا أمارة إذا ظهرت لنا حفظنا ولم نتعبك بالقعود فقد قال أصحاب معاوية لمعاوية مثل الذى قلنا لك ، فقال : أمارة ذلك أن أقول : إذا شئتم ! وقيل ليزيد[2] مثل ذلك فقال : إذا قلت : على بركة الله ! وقيل لعبد الملك مثل ذلك فقال : إذا ألقيت الخيزرانة من يدى ! قالوا : فأى شىء تجعل لنا أصلحك الله؟ قال : إذا قلت : ياغلام الغداء ! ؟

وفى الحديث أن رجلا ألح على النبى صلى الله عليه وسلم فى طلب بعض المغنم وبيده مخصرة فدفعه بها فقال يا رسول الله ، أقصنى ! فلما كشف النبى صلى الله عليه وسلم له عن بطنه احتضنه وقبل بطنه .

وفى تثبيت شأن العصى وتعظيم أمرها والطعن على [من] ذم حاملها قالوا : كانت لعبد الله بن مسعود عشر خصال، أولها : السواد ، وهو سرار النبى صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم « إذنك علىَّ أن يُرفع الحجاب وتسمع سَوادى » وكان معه مسواك النبى صلى الله عليه وسلم وكانت معه عصاه .

ودخل عمرُ بنُ سعد[3] على عمر بن الخطاب حين رجع اليه من عمل

---

(١) هو صفوان الانصارى . راجع ص ٣٧ من الجزء الاول

(٢) هو يزيد بن معاوية

(٣) هو عمر بن سعد بن ابى وقاص

حمص وليس معه إلا جراب و إداوة وقصعة وعصاة — فقال له عمر : ما الذى أرى بك ! من سوء الحال أم تسنع ! قال وما الذى ترانى ! أولست ترانى صحيح البدن معى الدنيا بحذافيرها ! قال : وما معك من الدنيا ؟ قال: معى جرابى أحمل فيه زادى ومعى قصعتى أغسل فيها ثوبى ، ومعى أداوتى أحمل فيها مائى لشرابى ، ومعى عصاى إن لقيت عدواً قاتلته و إن لقيت حية قتلتها ، وما بقى من الدنيا تبع لما معى . وقال الْهَيْثَمُ بْنُ عَدِيّ عن الشَّرْقِيّ بْن القَطامِيّ [١] ، وسأله سائل عن قول الشاعر :

لَا يَعْدِلَنَّ أَتَاوِيُّونَ تَضْرِبُهُمْ   نَكْبَاءُ صِرٌّ بِأَصْحَابِ الْمُحِلَّاتِ

قال : أليس الْمُحِلَّاتُ الدَّلْوُ وَالْمِقْدَحَة والقِرْبة والْفأسُ ! قال : فأين أنت عن العصا ، والصُّفْن خير من الدلو أجمع ! وقال النَّمِرُ بْنُ تَوْلَبٍ :

أَفْرَغْتُ فى حَوْضِهَا صُفْنِى لِتَشْرَبَهُ   فى دَاثِرٍ خَلَقِ الْأَعْضَاءِ أَهْدَامِ

وأما العصا فلو شئت أن أشغل مجلسى كله بخصالها لفعلت .

وتقول العرب فى مديح الرجل الْجَلْدِ الذى لا يُفتات عليه بالرأى : ذلك الفحل لا يُقرع أنفه . وهذا كلام يقال للخطاب إذا كان على هذه الصفة ، لأن الفحل اللئيم إذا أراد الضِّرَاب ضُرِب أنفه بالعصا ، وقد قال ذلك أَبو سُفْيَان بن حَرْب ابن أُمَيَّةَ عند ما بلغه من تزويج النبى صلى الله عليه وسلم بِأُم حبيبة وقيل له : مثلك تنكح نساؤه بغير إذنه ! فقال : ذلك الفحل لا يُقرع أنفه . والحمار الفاره يفسده السوط وتصلحه المقرعة ، وأنشد لِسَلَامَةَ بن جَنْدَلٍ [٢] :

---

(١) هو الوليد بن الحصين الكلبى . كان راوية علامة عارفا بالانساب والاخبار واسع الادب جم المعارف . وهو من اهل الكوفة ، وكان حسن السمر شيق الحديث اقدمه ابو جعفر المنصور وجعله فى مؤدبى ولده المهدى .

(٢) هو سلامة بن جندل بن عبد عمرو التميمى . شاعر جاهلى من الشعراء المعدودين وفارس من فرسان تميم المذكورين . وهذا البيت من قصيدة جيدة اختارها له المفضل الضبى تراها بالمفضليات مشروحة بقلمنا . واولها هناك :

اودى الشباب حميدا ذو التعاجيب   اودى وذلك شاو غير مطلوب

وفى بعض نسخ المفضليات المطبوعة فى ليبسك ان مطلع هذه القصيدة ستة ابيات قبل هذا المطلع وهى :

يادار اسماء بالعلياء من إضم   بين الدكادك من قو فمعصوب

إنَّا إذَا مَا أتَانَا صَارِخٌ فَزِعٌ   كانَ الصُّرَاخُ لهُ قَرْعَ الظَّنَابِيبِ[١]

وقال الْحَجَّاجُ : والله لأعصبنكم عصب السلمة ولأضربنكم ضرب غرائب الإبل[٢] . وذلك لأن الأشجار تُعصب أغصانُها ثم تُخبط بالعصى لسقوط الورق وهشيم العيدان ، ودخل أبو مِجلز[٣] على قُتَيْبَة[٤] بخراسان وهو يضرب رجالا بالعصى فقال : أيها الامير ، إن الله قد جعل لكل شيء قدراً ووقت فيه وقتاً ، فالعصى للأنعام والبهائم ، والسيوط للحدود والتعزير ، والدِّرة للأدب ، والسيف لقتال العدو والقود .

حكاية الفتى التغلبي وعصاه

ثم قال الشرقيُّ : دعنا من هذا خرجت من الموصل وأنا أريد الرَّقة مستخفيا وأنا شاب خفيف الحال فصحبني من أهل الجزيرة فتى ما رأيت بعده مثله ، فذكر أنه تغلبيٌّ من ولد عمرو بن كلثوم ، ومعه مزود وركوة وعصا ، فرأيته لا يفارقها وطالت ملازمته لها فكدت من الغيظ عليه أرمى بها في بعض الأودية ، فكنا نمشي فاذا أصبنا دوابَّ ركبناها ، واذا لم نصب الدواب مشينا ، فقلت له في شأن عصاه ، فقال لى : إن موسى بن عمرانَ عليه السلام حين آنس من جانب الطور نارا وأراد الاقتباس لأهله منها لم يأت النار من مقدار تلك المسافة القليلة إلا ومعه عصاه ، فلما صار بالوادى المقدس من البقعة المباركة قيل له : ألق عصاك واخلع نعليك ! فرمى نعلية راغبا عنهما حين نزه الله ذلك الموضع عن الجلد غير الذكى

كانت لنا مرة دارا فغيرها   من الرياح بساقى الترب مجاوب
هل في سؤالك عن أسماء من حوب   وفى السلام وإهداء المناسيب
ليست من الزل أرداقا إذا انصرفت   ولا القصار ولا السود العناكيب
إني رأيت ابنة السعدى حين رأت   شيبى وما حل من جسمى وتحنيبي
تقول حين رأت راسى ولمته   شمطاء بعد بهيم اللون غربيب

(١) الظنابيب جمع ظنبوب وهو مقدم عظم الساق . يعنى إنه إذا جاءه مستغيث كانت اغاثته الجد في نصرته

(٢) راجع ص ٣٠١ من الجزء الاول و ٢٤٦ من الجزء الثانى

(٣) مضت ترجمته فى ص ٣٢ من الجزء الثاني

(٤) مضت ترجمته فى ص ٢٩٦ من الجزء الاول

وجعل الله جِمَاع أمره من أعاجيبه و برهاناته فى عصاه ثم كلمه من جَوف شجرة ، ولم يكلمه من جوف إنسان ولا جان .

قال الشرقى : إنه ليكثر من ذلك وإنى لأضحك متهاوناً بما يقول ، فلما برزنا على حمارينا تخلف المُكارى ، فكان حماره يمشى فاذا تلكأ أكرهه بالعصا ، وكان حمارى لا ينساق وعلم أنه ليس فى يدى شىء يُكرهه ، فسبقنى الفتى إلى المنزل فاستراح وأراح ، ولم أقدر على البراح حتى وافانى المكارى ، فقلت : هذه واحدة، فلما أردنا الخروج من الغد لم نقدر على شىء نركبه فكنا نمشي فإذا أعيا توكأ على العصا وربما أحضر [١] ووضع العصا على وجه الأرض فاعتمد عليها ومرّ كأنه سهم وألح حتى انتهينا إلى المنزل وقد تفسخت من الكلال وإذا فيه فضل كبير، [٢] فقلت : هذه ثانية ، فلما كان فى اليوم الثالث ، ونحن نمشى فى أرض ذات أخاقيق [٣] وصُدوع ، إذ هجمنا على حية مُنكرة فساورتنا [٤] فلم تكن عندى حيلة إلا خِذْلانه وإسلامه إليها والهرب منها ، فضربها بالعصا فثقلت ، فلما بَهِشَتْ له [٥] ورفعت صدرها ضربها حتى وَقَذَها [٦] ثم ضربها حتى قتلها ، قلت : هذه ثالثة ، وهى أعظمهن ، فلما خرجنا فى اليوم الرابع قَرِمْتُ والله إلى اللحم [٧] وأنا هارب معدم ، إذ أرنب قد اعترضت فحذفها فما شعرت والله إلا وهى معلقة ، وأدركنا ذَكَاتَها [٨] فقلت : هذه رابعة ، وأقبلت عليه فقلت له : لو أن عندنا ناراً لما أخرت أكلها إلى المنزل ! قال: فان عندك ناراً ، فأخرج عويداً [٩]

(١) فى الاصول : احفر ، والصواب احضر ، والاحضار ضرب من السير السريع
(٢) يعنى من الراحة والجمام
(٣) الاخاقيق : الشقوق فى الارض والصدوع
(٤) فساورتنا : اعترضتنا وواثبتنا
(٥) بهشت له : قصدته لتنهشه
(٦) وقذها : اعجزها عن الحركة
(٧) قرمت إلى اللحم : اشتد اشتهائى لأكل اللحم
(٨) ادركنا ذكاتها : اى ادركناها حية فذبحناها
(٩) عويدا تصغير عود

من مزوده ثم حكه بالعصا فأورت إيراء المَرْخُ والعفارُ (١) عنده لاشيء ، ثم جمع ماقدر عليه من الغُثاء (٢) والحشيش وأوقد ناره وألقى الأرنب فى جوفهافأخرجناها وقد لزق بها من الرماد والتراب ما نغصها إلى ، فعلقها بيده اليسرى ثم ضرب بالعصا على جنوبها وأعراضهاضربا رفيقاً حتى انتثر كل شيء عليها فأكلناهاوسكن القَرَمُ وطابت النفس ، فقلت : هذه خامسة ، ثم إنا نزلنا ببعض الخانات وإذا البيوت ملأى رَوثا وترابا ونزلنا بعقب جند وخراب متقدم فلم نجد موضعا نظل فيه ، فنظر إلى حديدة مِسْحاة مطروحة فى الدار فأخذها فجعل العصا نصابا لها ثم قام فجرف (٣) جميع ذلك الروث والتراب وجرد الأرض بها جردا حتى ظهر بياضها وطابت ريحها ، فقلت : هذه سادسة ، وعلى أى حال لم تطب نفسى أن أضع طعامى وثيابى على تلك الأرض فنزع والله العصا من حديدةالمِسْحاة (٤) فوتدها فى الحائط وعلق ثيابى عليها ، فقلت : هذه سابعة ، فلما صرت إلى مفرق الطرق وأردت مفارقته قال لى : لو عدلت معى فبت عندى كنتَ قد قضيت حق الصحبة والمنزل قريب ! فعدلت معه ، فأدخلنى فى منزل يتصل ببيعة ، قال : فما زال يحدثنى ويُطرفنى ويُلطفنى (٥) الليل كله ، فلما كان السَّحَر أخذ خشبة ثم أخرج تلك العصا بعينها فقرعها بها فاذا ناقوس ليس فى الدنيا مثله ، وإذا هوأحذق الناس بضربه فقلت له : ويلك ، أما أنت مسلم ! وأنت رجل من العرب من ولد عمرو بن كلثوم ! قال : بلى ! قلت: فلم تضرب بالناقوس ! ؟ قال : جعلتُ فِداكَ ، إن أبى نصرانى وهو صاحب البيعة وهو شيخ ضعيف ، فاذا شهِدْتُهُ بَرَرْتُه بالكفاية . وإذا هو شيطان مارد ، وإذا أظرف الناس كلهم وأكثرهم أدبا وطلبا . فخبرته بالذى

---

(١) المرخ والعفار : سبق انهما شجر سريع الورى

(٢) الغثاء : ماتناثر من ورق الشجر وخالطه المطر ثم ضربته الشمس

(٣) فى الاصول : فجرب . والصواب ماأثبتناه

(٤) المسحاة : الفأس

(٥) يطرفنى ويلطفنى : يهدى إلى من طرائفه والطافه مايشرح به نفسى

أحصيته من خصال العصا بعد أن كنت هممت أن أرمي بها ، فقال: والله لو حدثتك عن مناقب نفع العصا إلى الصبح لما استنفدتها .

حكاية تفاريق العصا

ومن جمل القول فى العصا وما يجوز فيها من المنافع والمرافق ، تفسير شعر غَنِيَّة الأعرابية فى شأن ابنها ، وذلك أنها كان لها ابن شديد العرَامَة (١) كثير التلفت إلى الناس مع ضعف أسر ودقة عظم ، فواثب مرة فتى من الأعراب ، فقطع الفتى أنفه ، وأخذت غنية دِيَةَ أنفه فحسنت حالها بعد فقر مُدْقِع ، ثم واثب آخر ، فقطع أذنه فأخذت الدِيَّة فزادت دية أذنه فى المال وحسن الحال ، ثم واثب بعد ذلك آخر ، فقطع شفته ، فلما رأت ما قد صار عندها من الابل والغنم والمتاع والكسب بجوارح ابنها (٢) حسن رأيها فيه فذكرته فى أرجوزة لها تقول فيها .

أحْلِفُ بِالمرْوَةِ حَقًّا وَالصَّفَا ... أنَّكَ خَيْرٌ مِنْ تَفارِيقِ العَصَا (٣)

فقيل لابن الأعرابي: ماتفاريق العصا ؟ قال : العصا تُقطع ساجوراً وتقطع عصا الساجور فتصير أوتاداً ، ويُفرق الوَتِدُ فتصير كل قطعة شِظاظاً ، فان كان رأس الشِّظاظ (٤) كالفلكة صار للبُختى مِهاراً ، وهو العود الذي يدخل فى أنف البُختى (٥) وإذا فُرق المِهار جاءت منه توَادٌ (٦) . والسواجير تكون للكلاب والأسرى من الناس ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم « يؤتى بناسٍ مِنْ هاهُنا يقادون إلى حظوظهم بالسواجير » . وإذا كانت قناةٌ لكل شقة منها قوس بندق، قال : فان فرقت الشقة صارت سِهاماً ، فان فُرقت السهام صارت حِظاء ، وهي سهام صغار ، قال الطِرِمَّاح « كَحِظاءِ الغلام » والواحدة حَظوةٌ وسِرْوَةٌ ، فان فُرقت الحظاء صارت مغازل ، فان فُرقت المغزل (٧) شَعَبَ به الشَّعاب أقداحه

(١) العرامة : الشراسة وسوء الخلق

(٢) رواية الميدانى : وذلك من كسب جوارح ابنها

(٣) وضعنا فى البيت « حقا » بدل « يوما » التى كانت بالاصول ، وذلك عن الميداني لانها احق بالمقام

(٤) رواية الميدانى : فان جعل لرأس الشظاظ

(٥) البختى : الجمل الخراساني

(٦) تواد ، قال الميدانى : وهى الخشبة التى تشد على خلف الناقة إذا صرت ، هذا إذا كانت عصا .

(٧) رواية الميدانى : فان فرقت المغازل

المصدوعة [وقصاعه] (١) المشقوقة ، على أنه لا يجد لها أصلح منها (٢) وقال الشاعر :

نَوَافِذَ أَطْرَافِ القَنَا قَدْ شَكَكْتُهُ كَشَكِّكَ بِالشَّعْبِ الإِنَاءَ المُثَلَّمَا

فاذا كانت العصا صحيحة سالمة ففيها من المنافع الكبار والمرافق الأوساط والصغار مالا يحصيه أحد ، وإذا فرقت ففيها مثل الذى ذكرنا وأكثر . فأى شىء يبلغ فى المرفق والرد مبلغ العصا ! وفى قول موسى عليه السلام « وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى » دليل على كثرة المرافق فيها ، لأنه لم يقل ولى فيها مأربة أخرى ، والمآرب كثيرة ، فالذى ذكرنا قبل هذا داخل فى تلك المآرب .

ولا نعرف شعراً يُشبه معنى شعر غَنِيَّةَ بعينه لا يغادر منه شيئاً ، ولكن زعم أصحابنا أن أعرابيين ظريفين من شياطين الأعراب حَطَمَتْهُمَا السنة فانحدرا إلى العراق واسم أحدهما « حَيْدَانُ » فبينما هما يتماشيان فى السوق فاذا فارس قد أوطأ دابته رجل « حَيْدَان » فقطع إصبعا من أصابعه ، فتعلقا به حتى أخذا منه أَرْشَ الإصبع (٣) — وكانا جائعين مقرورين — فحين صار المال فى أيديهما قصدا لبعض الكَرَابج (٤) فابتاعا من الطعام ما اشتهيا ، فلما أكل صاحب حَيْدَانَ فشبع أنشأ يقول :

فَلَا غَرَثٌ مَا كَانَ فِي النَّاسِ كُرْبُجٌ وَمَا بَقِيَتْ فِي رِجْلِ حَيْدَانَ إِصْبَعُ

وهذا الشعر وشعر غَنِيَّةَ من الظرف الناصع الذى سمعت به ، وظرف الأعراب لا يقوم له شىء . (٥)

وناس كثير لا يستعملون فى القتال إلا العصا ، منهم الزَّنْجُ قُنبلة ولنجوية والنمل والكلاب (٦) وتكفوا وثبتوا على ذلك يعتمدون فى حروبهم ، ومنهم

---

(١) الزيادة عن الميداني

(٢) زاد الميداني : والبق بها . ولا شك انه لخص روايته عن كتاب البيان والتبيين

(٣) الارش : دية الجراحات

(٤) الكرابج : محال البقالة ، واحدها كربج

(٥) يعنى لانظير له فى الامتاع

(٦) كان بالاصول : قبيلة كنجوبة . وهو خطأ ، والصواب ماأثبتناه . قال الجاحظ فى رسالته ، فخر

النَّبَطُ ولهم بها ثقافةٌ وشدة وغلبة ، وأثقفُ ماتكون الأكراد إذاقاتلت بالعِصِيِّ ، وقتال المخارجات كلها بالعصى ، ولهم هناك ثقافة ومنظر حسن ، ولقتالهم منزلة بين السلامة والعطب .

والناس يضربون المثل بقتال البَقّار بقَناته ، ويقال فى المثل : « ماهو إلاُ ابنة عصا » و« عُقدة رِشا » ويقال للراعى : « إنه لَضعيفُ العصا » إذا كان قليل الضرب بها للإبل شديد الإشفاق عليها، قال الراعى : (١)

ضَعِيفُ الْعَصَا بَادِي الْعُرُوقِ تَرَى لَهُ   عَلَيْهَا إِذَا مَا أَجْدَبَ النَّاسُ إِصْبَعَا

وإذا كان الراعى جَلْدا قويا عليها قالوا : « صُلْبُ العَصا » . ولذلك قال الراجز :

صُلْبُ الْعَصَا بَاقٍ عَلَى أَذَاتِهَا

وقال الآخر فى معنى الراعى :   لاتَضربَاهَا وَاشْهَرَا الْعِصِيَّا

ويقولون : قد أقبل فلان ولانت عصاه ، إذا أصابه السُّوافُ (٢) فرجع وليس معه إلا عصاه ، لأنه لايفارقها كانت له إبل أم لا . ويقولون : كما قرعت عصا بعصا ، وعصا على عصا ، وعصا عصا — قالوا — أخذوا فلانا بذلك . وقال حُمَيْدُ بنُ ثَورٍ : (٣)

الْيَوْمَ تُنْتَزَعُ الْعَصَا مِنْ رَبِّهَا   وَيَلُوكُ ثِنْيَ لِسَانِهِ الْمِنْطِيقُ

ويكتب مع قوله :

تَخْشَى الْعَصَا وَالزَّجْرَ إِنْ قِيلَ حَلِ   يُرْسِلُهَا التَّغْمِيضُ إِنْ لَمْ تُرْسَلِ (٤)

السودان على البيضان ، زنج ضربان : قبلة ولنجوية ، كما أن العرب ضربان : قحطان وعدنان ، والنمل والكلاب صنفان من الزنج

(١) مضت ترجمته فى ص ١٠٣ من الجزء الأول ، وهذا البيت من قصيدة يقول فيها :

بنى وابش إنا هوينا جواركم   وما جمعتنا نية قبلها معا
خليطين من حيين شتى تجاورا   جميعا وكانا بالتفرق أضيعا
أرى أهل ليلى لا يبالى أسيرهم   على حالة المحزون أن يتصدعا

(٢) السواف : داء يصيب الابل فتهلك به

(٣) مضت ترجمته في ص ١٩ من الجزء الاول

(٤) حل : كلمة تزجر بها الابل فيقال لها : حل حل

وقال آخر:

هَـذَا وَوِرْدُ بُزَّلٍ وَسُدُسِ   يُغْـلَى بِهَا كُلُّ مُسِيمٍ مُرْغِسِ (١)
رُدَّتْ مِنَ الغَوْرِ وَأَكْنَافِ الرَّسِي   مِنْ عُشُبٍ أَحْوَى وَحَمْضٍ مُورِسِ (٢)
وَذَائِدٍ جَلْدِ العَصَا وَكَهْمَسِ   إِنْ قِيلَ قُمْ قَامَ وَإِنْ قِيلَ اجْلِسِ (٣)
دَاسَتْ سِمَاطَيْ عَفِرٍ مُدَعَّسِ (٤)

ويدل على شدة قتالهم بالعصا قول بَشَامَةَ بن حَزْنٍ النَّهْشَلِيّ (٥):

فِدًى لِرِعَاءٍ بِالْبُحَيْرَةِ دَبَّبُوا   بِأَعْصِيِّهِمْ وَالْمَاءُ بَرْدُ الْمَشَارِبِ (٦)
وَآلَى نُعَيْمٌ لَا تَجُوزُ بِحَوْضِهِ   فَقُلْتُ تَحَلَّلْ يَا نُعَيْمُ بْنَ قَارِبِ
فَإِنَّ زِيَادًا لَمْ يَكُنْ لِيَرُدَّهَا   وَسَبْرَةَ عَنْ مَاءِ النَّضِيحِ الْمُقَارِبِ
أَغَرَّكَ أَنْ جَاءَتْ ظِمَاءً وَبَاشَرَتْ   بِأَعْنَاقِهَا بَرْدَ النِّصَابِ الصُّبَاصِبِ (٧)
تَنَاوَلْنَ مَا فِي الحَوْضِ ثُمَّ امْتَدَنَّهُ   بِجِذْعٍ وَأَعْنَاقٍ طِوَالِ الذَّوَائِبِ (٨)

ويقولون: فلان «ضعيف العصا» إذا كان لا يستعمل عصاه. ولذلك قال البَعِيثُ:

(١) السدس جمع سدس (بفتح السين والدال) البعير قبل أن يبزل. والبزل جمع بازل وهو البعير فى تاسع سنيه، وليس بعده سن تسمى. يغلى: يبتاع بالثمن الغالى. والمسيم: المبتاع. والمرغس: الناعم الرافه

(٢) الغور: المنخفض من الأرض، ويطلق على ارض تهامة. اكناف الرسى: جوانب العمود القائم فى وسط الخباء، والمراد به الخباء نفسه. الاحوى: الذي لونه بين الاخضر والاسود والاصفر. الحمض: نبات تتفكه به الابل. مورس: مصفر اللون كأنه الورس

(٣) الذائد: الدافع السائق. كهمس: قبيح الخلق. وإن قيل إجلس؟ جلس

(٤) التاء فى داست عائدة إلى الابل. سماطا عفر: جانبا طريق. مدعس: متداخل كثير الآثار

(٥) ليست له ترجمة معروفة ويغلب انه شاعر إسلامى. وقد روى ابو تمام فى الحماسة قصيدة قال إنها لبعض بنى قيس بن ثعلبة. والصحيح انها لبشامة بن حزن اولها:

إنا محيوك يا سلمى فحيينا   وإن سقيت كرام الناس فاسقينا
وإن دعوت إلى جلى ومكرمة   يوما سراة كرام الناس فادعينا
إنا بنى نهشل لا ندعى لأب   عنه ولا هو بالأبناء يشرينا

(٦) دببوا: منعوا وردوا

(٧) النصاب: اصل الحوض. الصباصب: مابقي فيه من ماء

(٨) إمتدنه: تركن ماءه يسيل من صنبوره

وَأَنْتَ بِذَاتِ السِّدْرِ مِنْ أُمِّ سَالِمٍ ضَعِيفُ العَصَا مُسْتَضْعَفٌ مُتَهَضَّمُ

وقال الاخر :

وَمَا صَادِيَاتٌ حُمْنَ يَوْمًا وَلَيْلَةً عَلَى المَاءِ يَخْشَيْنَ العِصِيَّ حَوَانِي
لَوَائِبُ لَا يَصْدُرْنَ عَنْهُ بِوِجْهَةٍ وَلَا هُنَّ مِنْ بَرْدِ الحِيَاضِ دَوَانِي (١)
يَرَيْنَ حَبَابَ المَاءِ وَالمَوْتُ دُونَهُ فَهُنَّ لِأَصْوَاتِ السُّقَاةِ رَوَانِي
بِأَوْجَعَ مِنِّي جُهْدَ شَوْقٍ وَغُلَّةٍ إِلَيْكِ وَلَكِنَّ العَدُوَّ عَدَانِي

وقال الاخر :

فَمَا وَجْدُ مِلْوَاحٍ مِنَ الهِيمِ حُلِّئَتْ عَنِ المَاءِ حَتَّى جَوْفُهَا يَتَصَلْصَلُ (٢)
تَحُومُ وَتَغْشَاهَا العِصِيُّ وَحَوْلَهَا أَقَاطِعُ أَنْعَامٍ تَعِلُّ وَتَنْهَلُ
بِأَعْظَمَ مِنِّي غُلَّةً وَتَعَطُّفًا إِلَى الوِرْدِ إِلَّا أَنَّنِي أَتَجَمَّلُ

ويقال : « ضُرِب فلان ضرب غرائب الابل » : وهى تضرب عند الهرب وعند الخلاط وعند الحوض أشد الضرب ، وقال الحارث بنُ صَخْر :

بِضَرْبٍ يُزِيلُ الهَامَ عَنْ سَكِنَاتِهِ كَمَا ذِيدَ عَنْ مَاءِ الحِيَاضِ الغَرَائِبُ

وقال الآخر :

لِلْهَامِ ضَرَّابُونَ بِالمَنَاصِلِ ضَرْبَ المُذِيدِ غُرُبَ النَّوَاهِلِ (٣)

وقال ابن أحمر :

رَوْدُ الشَّبَابِ كَأَنَّهَا غُصُنٌ بِحَرَامِ مَكَّةَ نَاعِمٌ نَضِرُ

وقال الاخر :

إِمَّا تَرَيْنِي قَائِمًا فِي جُلِّ جَمَّ الفُتُوقِ خَلَقٍ هَمَلٍ
مُحَاذِرًا أَنْغُضَ عَنْ تَعَتُّلِ عِنْدَ اعْتِلَالِ دَهْرِكِ المُعْتَلِّ

(١) لوائب : عطاش يحمن حول الماء ولا يصلن إليه

(٢) الملواح : الشديد الظمأ . الهيم : النوق العطاش . حلئت : منعت من الورود . يتصلصل : يعنى انه لجفافه من الماء كان له صلصال وهو صوت الطين الجاف

(٣) المذيد : الدافع المانع . غرب النواهل : النوق التى ليست لأصحاب المياه

فقد أرى في اليلمق الرفل   أصون للأنس جميل الدل[١]

لدنا كخوط البانة المبتل

وتكون العصا محراثا ، وتكون مخصرة ، وتكون المخصرة قضيب حبرة وعود ساجور . ثم يكون تودية . ويقال للرجل إذا كانت فيه أبنة : فلان يخبأ العصا ، وقال الشاعر :

زوجك زوج صالح لكنه يخبأ العصا

وفي الأمثال : تحذفه بالقول كما تحذف الأرنب بالعصا . وقال إياس بن قتادة العبشمي :

سأنحر أولاها وأحذف بالعصا   على إثرها إني لما قلت عازم

قال ابن كناسة[٢] — في شرط الراعي على صاحب الابل — : ليس لك

---

(١) اليلمق الرفل : القباء الواسع

(٢) هو ابو يحيي محمد بن كناسة الاسدي . كان شاعرا من شعراء الدولة العباسية . ولد ونشأ بالكوفة. وكان مستقيم الطريقة صالح المذهب لم يتصد لمدح ولا لهجو . وعنه حمل الحديث . وكان ابراهيم بن أدهم الزاهد خاله . وكانت له جارية شاعرة أديبة تسمى دنانير وكان اهل الادب وذوو المروءة يقصدونها للمذاكرة والمساجلة في الشعر . وله حكاية ظريفة يحسن ايرادها هنا قال : كنت في طريق الكوفة فاذا بجويرية تلعب بالكعاب كأنها قضيب بان فقلت لها : انت ايضا لو ضعت لقالوا ضاعت جارية ، ولو قالوا ضاعت ظبية كانوا اصدق ! فقالت : ويلي عليك ياشيخ ، وانت ايضا تتكلم بهذا الكلام ؟ فكسفت والله إلى بالي ، ثم تراجعت فقلت :

وإني لحلو مخبري إن خبرتني   ولكن تعطيني ولا ريب بي شيخ

فقالت لي وهي تلعب وتبسمت : فما اصنع بك انا إذا ؟ فقلت : لاشيء ! وانصرفت . وهو القائل :

في انقباض وحشمة فاذا   صادفت اهل الوفاء والكرم
ارسلت نفسي على سجيتها   وقلت ماقلت غير محتشم

ومن افضل شعره مارثى به إبراهيم بن ادهم وذلك حيث يقول :

رأيتك ما يكفيك مادونه الغنى   وقد كان يكفي دون ذاك ابن ادهما
وكان يرى الدنيا قليلا كثيرها   فكان لأمر الله فيها معظما
امات الهوى حتى تجنبه الهوى   كما جنب الجاني الدم الطالب الدما
وللحلم سلطان على الجهل عنده   فما يستطيع الجهل ان يترمرما
واكثر مانلقاه في القوم صامتا   وإن قال بذ القائلين واحكما
يرى مستكينا خاضعا متواضعا   وليثا إذا لاقى الكتيبة ضيغما
على الجدث الغربي من آل وائل   سلام وبر ما ابر واكرما

أن تذكر أمى بخير ولا شر ، ولك حذفى بالعصا عند غضبك أصبتَ أم أخطأت، ولى مقعدى من النار وموضع يدى من الحار والقار . كان العُتبيُّ (١) يحدث فى هذا بحديثين أحدهما قوله عن الأعرابى : وكان إذا خرَستَ الألسن عن الرأى حَذَف بالصواب كما تُحذف الأرنب بالعصا ، وأما الحديث الآخر فذكر أن قوماً أضلوا الطريق فاستأجروا أعرابياً يدلهم على الطريق فقال : إنى والله لا أخرج معكم حتى أشرط لكم وأشرط عليكم ! قالوا له : فهاتْ مالكَ ؟ قال : يدى مع أيديكم فى الحار والقار ، ولى موضعى من النار موسع علىّ مافيه ، وذِكر والدى عليكم محرَّم . قالوا : فهذا لك ، فما لنا عليك إن أذنبت ؟ قال: إعراضةٌ لاتؤدى الى تعب وعتب وهجرة لا تمنع من مجامعة السفرة ! قالوا : فان لم تُعتبْ ؟ قال : فحذفة بالعصا أخطأت أم أصابت . وهذان الحديثان لم أسمعهما من عالم وانما قرأتهما فى بعض الكتب من المستحدثين .

ولأهل المدينة عصى فى رؤسها عجر لا تكاد أكفهم تفارقها اذا خرجوا الى ضياعهم ومنتزهاتهم ، ولهم فيها أحاديث حسنة وأخبار طيبة .

وكان الأفشين (٢) يقول : اذا ظفرتُ بالعرب شدخت رؤس عظمائهم

(١) مضت ترجمته في ص ١٤٧ من الجزء الثانى

(٢) هو الأفشين خيذر بن كاوس . كان من اكابر القواد فى جيش المعتصم وفحول شجعانه ومن ذوي التدبير والدهاء فى إدارة رحى الحروب . قيل أن اصله من سلالة بعض ملوك فرس . ولاه المعتصم المشرق ووجهه لحرب بابك الخرمى لما استفحل أمره واشتدت شوكته واستشرى شره وصار خطرا يتهدد الدولة ، وكان بابك قبل ذلك هزم جيوش الدولة العباسية مرارا وقتل من القواد جماعة لايستهان بشأنهم . فلما انتدب له الافشين نهد إليه فى جيش كثيف وصمد له يغاديه القتال ويراوحه ويضيق عليه المسالك حتى الجأه إلى الانهزام بين يديه بالرغم من كثرة جيوشه التى لاعد لها ولاحصر . وما زال به حتى حصره فى مدينة البذ . وقد كانت بين اذربيجان واران . فلما رأى بابك انه قد حصر بها إحتال حتى خرج منها بأهله هاربا إلى بلاد الروم فى زى التجار فعرفه بعض البطارقة فأسره وبعث به إلى الافشين فحمله الافشين إلى المعتصم فقطعه وصلبه وانتهى امره . وبهذا عظم شأن الافشين وكبر خطره واتسع سلطانه وقدمه المعتصم على سائر قواده . ثم إن الافشين طغى وتمرد واخذ يبيت الامر للدولة ويعمل على الخروج عليها فعلم المعتصم بأمره وبأنه يكاتب المازيار يحسن له الخلاف والعصيان ، وبعد ان تحرى امره وكشف خبيئته قبض عليه وقتله ثم صلبه على خشبة بابك . ولما كشف عليه وجد مايزال بقلفته لم يختتن ووجدت فى بيته اصنام احرقوه بها . وكان ذلك فى سنة ٢٢٦ هـ

بالدبوس . والدبوس شبيه بهذه العصا التى فى رأسها عجرة . وقال جحشويه :(١)

يَا رَجُلاً هَامَ بِلَيَّادِ مُعْتَدِلٍ كَالْغُصْنِ مَيَّادِ
هَامَ بِهِ غَسَّانُ لَمَّا رَأَى أَيْرَ لَهُ مِثْلَ عَصَا الْحَادِي
وَلَمْ يَزَلْ يَهْوَى أَبُومَالِكٍ كُلَّ فَتًى كَالْغُصْنِ مُنْآدِ
يُعْجِبُهُ كُلُّ مَتِينِ الْقُوَى لِلطَّعْنِ فِي الْأَدْبَارِ مُعْتَادِ

وقالوا : تغمض الناقة عينها كى تركب العصا الى الحوض . وهو معنى قول أبى النجم :

تَخْشَى الْعَصَا وَالزَّجْرَ إِنْ قِيلَ حَلِ يُرْسِلُهَا التَّغْمِيضُ إِنْ لَمْ تُرْسَلِ

وهذا مثل قول الهذلى :

وَلَأَنْتَ أَشْجَعُ مِنْ أُسَامَةَ إِذْ شَدُّوا الْمَنَاطِقَ فَوْقَهَا الْحَلَقُ(٢)
حَدُّ السُّيُوفِ عَلَى عَوَاتِقِهِمْ وَعَلَى الْأَكُفِّ وَدُونَهَا الدَّرَقُ(٣)
كَغَمَاغِمِ الثِّيرَانِ بَيْنَهُمُ ضَرْبٌ تُغَمِّضُ دُونَهُ الْحَدَقُ(٤)

وقال حميد بن ثور الهلالىّ :

الْيَوْمَ تُنْتَزَعُ الْعَصَا مِنْ رَبِّهَا وَيَلُوكُ ثِنْيَ لِسَانِهِ الْمِنْطِيقُ

يقال : رجل كالقناة ، وفرس كالقناة . وقال الشاعر :

مَتَى مَا يَجِيءْ يَوْماً إِلَى الْمَالِ وَارِثِي يَجِدْ جَمْعَ كَفٍّ غَيْرَ مَلْأَى وَلَا صِفْرِ(٥)
يَجِدْ فَرَساً مِثْلَ الْقَنَاةِ وَصَارِماً حُسَاماً إِذَا مَا هُزَّ لَمْ يَرْضَ بِالْهَبْرِ(٦)

وجاء فى الحديث : أجدبت الارض على عهد عمر رضى الله تعالى عنه ، حتى

(١) قرأت للجاحظ فى بعض كتبه وفى معرض التنديد على الرواة الذين لا يتحرجون من صنع الكلام وحمله على الناس : يقول : وقد صنعوا اشعارا فى الحلاق على لسان جحشويه فلو انهم كانوا يتحرجون من شىء لتحرجوا من ذلك .

(٢) اسامة : الاسد . الحلق : الدروع

(٣) الدرق : التروس

(٤) الغمغمة : صوت يتردد فى الحلق

(٥) ولا صفر : غير خالية

(٦) الهبر : تبضيع اللحم

ألقت الرِّعاء العصى وعطلت النعم وكسر العظم ، فقال كعب : يا أمير المؤمنين إن بنى اسرائيل كانوا إذا أصابتهم السنة استسقوا بعصبة الأنبياء . فكان ذلك سبب استسقائه بالعباس بن عبد المطلب . وساورت حية أعرابيا فضربها بعصاه وسلم منها فقال:

لَوْلَا الْهَرَاوَةُ وَالْكَفَّانِ أَنْهَلَنِى حَوْضَ الْمَنِيَّةِ قَتَّالٌ لِمَنْ وَرَدَا

وقال الآخر: (١)

دَعَا ابْنُ مُطِيعٍ لِلْبِيَاعِ فَجِئْتُهُ إِلَى بَيْعَةٍ قَلْبِي لَهَا غَيْرُ آلِفِ
فَنَاوَلَنِى خَشْنَاءَ لَمَّا لَمَسْتُهَا بِكَفِّى لَيْسَتْ مِنْ أَكُفِّ الْخَلَائِفِ
مِنَ الشَّثِنَاتِ الْكُزْمِ أَنْكَرْتُ لَمْسَهَا وَلَيْسَتْ مِنَ الْبِيضِ الرِّقَاقِ اللَّطَائِفِ (٢)
مُعَاوِدَةً حَمْلَ الْهَرَاوَى لِقَوْمِهَا فَرُورًا إِذَا مَا كَانَ يَوْمَ التَّسَايُفِ (٣)

وقال الحجاجُ بنُ يوسف لأنس بن مالك : والله لأقلعنَّك قلع الصمغة ، ولأعصبنَّك عصب السَّلَمة ، ولأجردنَّك تجريد الضب . وقال عمرُ رضى الله تعالى عنه لأبى مريم الحنفى : والله لا أحبك حتى تحب الأرض الدم المسفوح . لأن الأرض لاتقبل الدم ، فاذا جف الدم تقلع جلبا . وقد أسرف المتلمّس حيث يقول :

أَحَارِثُ إِنَّا لَوْ تُسَاطُ دِمَاؤُنَا تَزَايَلْنَ حَتَّى لَا يَمَسَّ دَمٌ دَمَا (٤)

وأشد سرفاً منه قول أبى بكر الشيبانى قال : كنت أسيرا مع بنى عم لى من بنى شيبان — وفينا من موالينا جماعة — فى أيدى التغالبة (٥) فضربوا أعناق بنى عمى وأعناق الموالى على وَهْدة من الأرض ، فكنت والذى لا إله إلا هو أرى دم

(١) راجع ص ٩٢ من الجزء الاول وص ١٢ من هذا الجزء

(٢) الشثنات : الخشن الغلاظ . الكزم : القصار الاصابع

(٣) كان بالاصول : يوم التنائف ، وهو خطأ والصواب ماأثبتناه . والتسايف : التضارب بالسيوف

(٤) تزايلن : افترقن

(٥) التغالبة : بنو تغلب

العربى يماز من دم المولى حتى أرى بياض الأرض بينهما ، فاذا كان هجينا (١) قام فوقه ولم يعتزل . وأنشد الأصمعى :

يُذدن وقد ألقيت فى قعر حفرة ... كما ذيد عن حوض العراك غرائبه (٢)

وقال العباس بن مرداس : (٣)

نقاتل عن أحسابنا برماحنا ... فنضربهم ضرب المذيد الخوامسا (٤)

وقال الفرزدق بن غالب :

ذكرت وقد كادت عصا البين تنشظى ... خيالك من سلمى وذا اللب ذاكر

وقال الأسدى :

إذا المرء أولاك الهوان فأوله ... هوانا وإن كانت قريبا أواصره

ولا تظلم المولى ولا تضع العصا ... على الجهل إن طارت إليك بوادره

وقال جرير بن عطية .

ألا رب مصلوب حملت على العصا ... وباب استه عن منبر الملك زائل

وقالوا فى مديح العصا نفسها مع الأغصان وكرم جوهر العصى والقسى :

---

(١) المجين هو الذى يولد بين عربي وامة

(٢) الذياد : الدفع والضرب والطرد

(٣) هو العباس بن مرداس السلمي احد الصحابة . اسلم قبيل فتح مكة وكان من المؤلفة قلوبهم ثم حسن إسلامه . وكان شاعرا فارسا له وقائع وغزوات فى الجاهلية والاسلام . وزعم بعض الرواة ان امه الخنساء وهو خطأ بين والصواب ان امه سوداء زنجية . ودليل ذلك ان جريرا لما هجا الاخطل بقصيدته التى يقول فيها :

لاتطلبن خؤلة فى تغلب ... فالزنج أكرم منهم اخوالا

غضب سنيح بن رباح شار الزنجى ورد عليه بقصيدة مطلعها :

مابال كلب بنى كليب سبنا ... ان لم توازن حاجبا وعقالا

يقول فيها :

والزنج لو لاقيتهم فى صفهم ... لاقيت ثم جحا جحا ابطالا

فسل ابن عمرو حين رام رماحهم ... ارأى رماح الزنج ثم طوالا

وسل ابن جيفر حين رام بلادنا ... فرأى بغزوتهم عليه خبالا

هذا ابن خازم بن عجلى منهم ... غلب القبائل نجدة ونوالا

وسليك الليث المزبر إذا عدا ... والقرم عباس علوك فعالا

(٤) المزيد الخوامس : الضارب النوق الواردة على الماء بعد ثلاث

إذا قامت لِسُبْحَتِها تَثَنّت ... كأنَّ عِظامها مِنْ خَيْزُرانِ

وقال المؤمّل بن أميل[1]:

وَالقَوْمُ كالعِيدانِ يَفضلُ بَعضهُمْ ... بعضاً كذاك يفوق عُودٌ عُودا
لَوْ تَستطيعُ عن القضاءِ حِيادةً ... وعن المنيةِ أنْ تُصيبَ مَجيدا
كانَتْ تُقيِّدُ حينَ تنزلُ منزلاً ... فالآنَ صارَ لها الكَلالُ قيودا

وقال آخر:

وأسلمها الباكُونَ إلاَّ حمامةً ... مُطوَّقةٌ وَرْقاء بانَ قرينُها
تُجاوِبُها أُخرى على خَيْزُرانةٍ ... يكادُ يُدنيها مِن الأرضِ لِينُها

وقال الآخر:

ألا أيُّها الرَّكبُ المُخِبُّونَ هَلْ لكُمْ ... بأُختِ بَني هِندٍ عُتَيْبةَ مِنْ عَهدِ
أألقَتْ عَصاها واستقرَّتْ بها النوى ... بأرضِ بَني قابُوسَ أمْ ظَعَنتْ بَعدي

وقال الآخر:

ألا هتفتْ وَرْقاءُ في رَوْنَقِ الضُّحى ... على غُصُنٍ غَضِّ النَّباتِ مِنَ الرَّنْدِ

وقال آخر في امرأة رآها في شارة و بِزّة فظن بها جمالا، فلما سفرت فاذا هي غول، فقال:

وأظهرها رَبِّي بِمَنٍّ وَقُدْرَةٍ ... عَلَيَّ وَلولا ذاكَ مِتُّ مِنَ الكَرْبِ
فلمّا بدَتْ سَبَّحْتُ مِنْ قُبْحِ وَجْهِها ... وَقُلْتُ لها السّاجُورُ خَيْرٌ مِنَ الكَلْبِ[2]

وقال النبي صلى الله عليه وسلم « يُؤتَى بقومٍ مِن هاهُنا يُقادونَ إلى حظوظهم في السَّواجير » والساجور يسمى « الزمّارة » قالوا : وفي الحديث : فأتى الحجاجُ بسعيدِ بن جُبَير وفي عنقه زمّارة . وقال بعض المُسَجَّنين :

وَلي مِسْمَعانِ وَزمّارةٌ ... وَظِلٌّ مَديدٌ وَحِصْنٌ أمَقْ

(١) هو المؤمل بن اميل المحاربي . كان من اهل الكوفة ومن الجند المرتزقة . قال الشعر فأحسنه وادرك الدولة الاموية واتسعت شهرته في الدولة العباسية ، وكف بصره في آخر عمره

(٢) الساجور هنا يريد به الطوق الذي في عنق الكلب

وَكَمْ عَائِدٍ لِي وَكَمْ زَائِرٍ ... لَوْ ابصرنى زائرًا قد شهق

المسمعان: القيدان. وسمى الغل الذى فى عنقه زمارة، وأما قول الوليد [بن يزيد]

إِسْقِنِي يَا زُبَيْرُ بِالْقَرْقَارَهْ ... قَدْ ظَمِينَا وَحَنَّتِ الزَّمَّارَهْ

إِسْقِنِي إِسْقِنِي فَإِنَّ ذُنُوبِي ... قَدْ أَحَاطَتْ فَمَا لَهَا كَفَّارَهْ

فالزّمارة هاهنا المزمار، وقال صاحب الزمارة فى صفة السجن:

فَبِتُّ بِأَخْصَنِهَا مَنْزِلاً ... ثَقِيلاً عَلَى عُنُقِ السَّالِكِ

وَلَسْتُ بِضَيْفٍ وَلاَ فِي كِرَا ... وَلاَ مُسْتَعِيرٍ وَلاَ مَالِكِ

وَلِي مِسْمَعَانِ فَأَدْنَاهُمَا ... يُغَنِّي وَيُمْسِكُ فِي الحَالِكِ

وَلَيْسَ بِعَصْبٍ وَلاَ كَالزُّهُونِ ... وَلاَ يُشْبِهُ الْوَقْفَ عَنْ هَالِكِ

وَأَقْصَاهُمَا نَاظِرٌ فِي السَّمَاءِ ... عَمْدًا وَأَرْسَخُ مِنْ عَارِكِ

المسمعان ها هنا أحدهما قيده والآخر صاحب الجرس.

قال: أخبرنى الكلابى قال: قاتلت بنو عم لى بعضهم بعضا فجعل بعضهم ينضم إلى بعض لواذا منى، وليس لى فى ذلك هِجّيرٌ إلا قولى:

قَدْ جَعَلَتْ تَأْوِي إِلَى جُثْمَانِهَا ... وَكِرْسِهَا الْعَادِيِّ مِنْ أَعْطَانِهَا(١)

فلما طلبوا القصاص قلت: دونكم يابنى عمى حقكم، فنحن اللحم وأنتم الشفرة، إن وهبتم شكرت، وإن اعتقلتم عقلت، وإن اقتصصتم صبرت.

قال: سألت يونس عن قوله «نَسْيًا مَنْسِيًّا» قال: تقول العرب إذا ارتحلوا عن المنزل ينزلونه: أنظروا الى أنسائكم، وهى العصا والقدح والشظاظ والحبل، قال: فقلت: انى ظننت أن هذه الأشياء لاينساها أربابها الا لأنها أهون المتاع عليهم! قال: ليس ذلك كذلك! والمتاع الجافى يذكر بنفسه وصغار المتاع تذهب عنها العيون، وإنما تذهب نفوس العامة الى حفظ كل شىء

(١) الكرس: مجتمع بيوت الناس

ثمين وان صغر جسمه ، ولا يقفون على أقدار فوت الماعون عند الحاجة وفقد الحلات فى الأسفار . وقال يونس : المنسى ماتقادم العهد به ونسى حيناً لهوانه ، ولم تكن مريم [١] لتضرب المثل فى هذا الموضع بالأشياء النفيسة التى الحاجة اليها أعظم من الحاجة الى الشىء الثمين فى الأسواق . وقال الأشهب بن رميلة أو نهشل ابن حرى:

قَالَ الأَقَارِبُ لاَتَغْرُرْكَ كَثْرَتُنَا ... وَأَغْنِ نَفْسَكَ عَنَّا أَيُّهَا الرَّجُلُ
عَلَّ بَنِيَّ يَشُدُّ اللهُ أَعْظُمَهُمْ ... وَالنَّبْعُ يَنْبُتُ قُضْبَاناً فَيَكْتَهِلُ

وكان فرس الأخنس بن شهاب يسمى «العصا» والأخنس « فارس العصا » وكان لجذيمة الأبرش فرس يقال لها « العصا » ولبنى جعفر بن كلاب « شحمة » و « الغدير » و « العصا » فشحمة فرس جزء بن خالد ، والعصا فرس عوف بن الأحوص ، والغدير فرس شريح بن الأحوص ، « والعصا » أيضا فرس شبيب ابن كريب الطائى [٢] وقال بعضهم أو بعض خطبائهم :

وَلَيْسَ عَصَاهُ مِنْ عَرَاجِينِ نَخْلَةٍ ... وَلاَ ذَاتَ سَيْرٍ مِنْ عِصِيِّ الْمُسَافِرِ
وَلَكِنَّهَا إِمَّا سَأَلْتَ فَنَبْعَةٌ ... وَمِيرَاثُ شَيْخٍ مِنْ جِيَادِ الْمَخَاصِرِ

والرجل يتمنى إذا لم تكن له قوة وهو يجد مس العجز فيقول: لو كان فى العصا سير ! ولذلك قال حبيب بن أوس :

مَالَكَ مِنْ هِمَّةٍ وَعَزْمٍ ... لَوْ أَنَّهُ فِى عَصَاكَ سَيْرُ
رُبَّ قَلِيلٍ حَدَا كَثِيراً ... كَمْ مَطَرٍ بَدْؤُهُ مُطَيْرُ
صَبْراً عَلَى النَّائِبَاتِ صَبْراً ... مَافَعَلَ اللهُ فَهُوَ خَيْرُ

واذا لم يجعل المسافر فى عصاه سيرا سقطت من يده اذا نعس .

وسئل عن قوله « وَلِىَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى ؟ » قال : لست أحيط بجميع مآرب موسى عليه السلام ؛ ولكنى سأنبئكم جملا تدخل فى باب الحاجة الى العصا :

(١) هى مريم ام المسيح والتى جاء فى القرآن على لسانها « ياليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا »
(٢) كان بالاصول : ابن كعب . وهو خطأ . والصواب ما اثبتناه

من ذلك أنها تحمل للحية والعقرب والذئب والفحل الهائج ولعير العانة في زمن هيج الفحول ، وكذلك لفحول الحجور (١) في المروج ؛ ويتوكأ عليها الكبير الدالف والسقيم المدنف والأقطع الرجل والأعرج ، فانها تقوم مقام رجل أخرى ، وقال أعرابي مقطوع الرجل :

اللهُ يَعْلَمُ أنى مِنْ رِجَالِهِمُ   وإنْ تَخدَّدَ عَنْ مَتْنَىَّ أطْمَارِى
وإنْ رُزِئْتُ يَدًا كانتْ تُجَمِّلُنِى   وإنْ مَشَيْتُ على زُجٍّ وَمِسْمَارِ

والعصا تنوب للأعمى عن قائده ، وهى للقصَّار والفاشكار والدباغ ، ومنها المِفْأدُ لِلْمَلَةِ (٢) وَمِحْرَاكُ للتنور ، قال الشاعر :

إذا كانَ ضَرْبُ الخبزِ مَسْحًا بِخِرْقَةٍ   وَأُخْمِدَ دُونَ الطَّارِقِ التَّنُّورِ

كأنه يكره أن ينفض عنها الرماد بعصا فيستدل على أنه قد أنضج خبزته ، يصفه بالبخل . وهى لدق الجص والجبسين (٣) والسمسم ، قال الشماخ بن ضرار :

وجَرْشُوَاءُ بالعَصَاغِيرِ مُنْضَجِ (٤)

ولخبط الشجر ، وللفيج (٥) وللمكارى فانهما يتخذان المخاصر ، فاذا طال الشوط و بعدت الغاية استعانا فى حضرها وهرولتهما فى أضعاف ذلك (٦) بالاعتماد على وجه الأرض ، وهى تعدل من ميل المفلوج ، وتقيم من ارتعاش المُبَرْسَمِ (٧) و يتخذها الراعى لغنمه ، وكل راكب لمركبه ، و يدخل عصاه فى عروة المزود و يمسك بيده الطرف الآخر ور بما كان أحد طرفيها بيد رجل والطرف الآخر بيد صاحبه وعليها حمل ثقيل وتكون ان شئت وتدا فى حائط ، وان شئت ركزتها فى الفضاء

(١) كان بالاصول : الجحور وهو خطأ والصواب ماأثبتناه والحجور جمع حجر : انثى الخيل
(٢) المفأد للملة : الخشبة يحرك بها الرماد الحار
(٣) كان بالاصول : والجبين . وهو خطأ . والصواب ماأثبتناه
(٤) هذا شطر بيت من قصيدة للشماخ تراها فى المفضليات مشروحة بقلمنا
(٥) الفيج : حارس السجن
(٦) فى الاصول : أصناف . وهو خطا والصواب ماأثبتناه . والمراد باضعاف ههنا فى خلال ذلك
(٧) المبرسم : المصاب بمرض البرسام

وجعلتها قبلة ، وإن شئت جعلتها مِظَلّة ، وإن جعلت فيها زُجا كانت عَنَزَةً ، وإن زدت فيها شيئاً كانت عكازاً ، وإن زدت فيها شيئاً كانت مِطْرَداً ، وإن زدت فيها شيئا كانت رمحا ، والعصا تكون سوطا وسلاحا .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب بالقضيب ، وكفى بذلك دليلا على عظم غَنائها وشرف حالها ، وعلى ذلك الخلفاء ، وكبراء العرب من الخطباء .

وقد كان مَرْوَانُ بْنُ محمد — حين أحيط به — دفع البُرد والقضيب إلى خادم وأمره أن يدفنهما فى بعض تلك الرمال ، ودفع إليه بنتا له وأمره أن يضرب عنقها فلما أُخذ الخادم فى الأسرى قال : إن قتلتمونى ضاع ميراث النبى صلى الله عليه وسلم ! فأمنوه على أن يسلم ذلك لهم . وقال [الشاعر] فى صفة قناة :

وَأَسْمَرُ عَاتِقٌ فِيهِ سِنَانٌ ... شُرَاعِىٌّ كَسَاطِعَةِ الشُّعَاعِ

وقال آخر :

هَوْنَةٌ فِى الْعِنَانِ تَهْتَزُّ فِيهِ ... كَاهْتِزَازِ الْقَنَاةِ تَحْتَ الْعُقَابِ (١)

ومما يجوز فى العصا قول الشاعر :

لِلْهَامِ ضَرَّابُونَ بِالْمَنَاصِلِ ... ضَرْبَ الْمُذِيدِ غُرُبَ النَّوَاهِلِ

وقال عَبَّاسُ بنُ مِرْدَاسٍ :

نُطَاعِنُ عن أَحْسَابِنَا بِرِمَاحِنَا ... ونضرِبُهُمْ ضَرْبَ الْمُذِيدِ الْخَوَامِسَا

وقال آخر :

دَافَعَ عَنْهَا جَبَلِىٌّ وَحْشِى ... فَهْوَ كَعُودِ النَّبْعَةِ الأَجَشِّ (٢)

وقال نُصَيْبُ الأسود :

وَمَنْ يُبْقِ مَالاً عُدَّةً وَصِيَانَةً ... فَلاَ الدَّهْرُ مُبْقِيهِ وَلاَ الشُّحُّ وَافِرُهْ

وَمَنْ يَكُ ذَا عُودٍ صَلِيبٍ يُعِدُّهُ ... لِيَكْسِرَ عُودَ الدَّهْرِ فَالدَّهْرُ كَاسِرُهْ

(١) العقاب : الراية

(٢) الأجش : الصوت الغليظ

وقال آخر:

تخيَّرْتُ مِنْ نعْمانَ عُودَ أرَاكَةٍ ... لِهِنْدٍ وَلٰكِنْ مَنْ يُبلغهُ هِنْدَا (١)
خَلِيلَيَّ عُوجَا بَارَكَ اللهُ فِيكُمَا ... وَإنْ لَمْ تَكُنْ هِنْدٌ لأرْضِكُمَا قَصْدَا
وَقُولاَ لَهَا لَيْسَ الضَّلاَلُ أجَارَنَا ... وَلٰكِنَّنَا جُرْنَا لِنَلْقَاكُمْ عَمْدَا (٢)

وقال الآخر:

وَتِلْكَ ثِيَابِى لَمْ تُدَنَّسْ بِغدْرَةٍ ... وَوَرْىُ زِنَادِى فِى ذُرَى الْمَجْدِ ثَاقِبُ
وَلَوْ صَادَفَتْ عُودًا سِوَى عُودِ نَبْعَةٍ ... وَهَيْهَاتَ أفْنَتْهُ الْخُطُوبُ النَّوَائِبُ

وقال الاخر:

عَصَا شَرْيَانَةٍ دُهِنَتْ بِزُبْدٍ ... تَدُقُّ عِظَامَهُ عَظْمًا فَعَظْمَا (٣)

وليس هذا مثل قول لَقِيطِ بنِ زُرَارَةَ:

إذَا دَهَنُوا رِمَاحَهُمْ بِزَيْتٍ ... فَإنَّ رِمَاحَ تَيْمٍ لاَ تَضِيرُ

وقال صَالِحُ بنُ عَبْدِ الْقُدُّوسِ:

لاَ تَدْخُلَنْ بِنَمِيمَةٍ ... بَيْنَ الْعَصَا وَلِحَائِهَا

وقال شِبْلُ بنُ مَعْبَدٍ الْبَجَلِيُّ:

بَرَتْنِى صُرُوفُ الدَّهْرِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ... كَمَا يَنْبَرِى دُونَ اللِّحَاءِ عَسِيبُ

وقال أوْسُ بنُ حَجَرٍ:

لَحَوْنَهُمْ لَحْوَ الْعَصَا فَطَرَدْتَهُمْ ... إلَى سَنَةٍ جُرْذَانُهَا لَمْ تُحَلَّمِ

وقال الرَّقَاشِيُّ فى صفة القناة التى تبرى منها القسى:

مِنْ شُقَقٍ خُضْرٍ بَرَوْضِيَّاتِ ... صُفْرِ اللِّحَاءِ وَحَلُوفِيَّاتِ
جُدِلْنَ حَتَّى إضْنَ كَالْحَيَّاتِ ... وَشَائِقًا غَيْرَ مُؤَنَّبَاتِ (٤)

---

(١) نعمان الأراك: واد بين مكة والطائف

(٢) اجارنا: عدل بنا إليك

(٣) الشريان: شجر تتخذ منه القسى

(٤) إضن: عدن وصرن. والوشائق: شرائح للحم

آنَفَهُنَّ مُتَمَطِّرَاتٍ عَمْرُو بْنُ عُصْفُورٍ عَلَى اسْتِثْبَاتِ (١)

وقال محمد بن يسير : (٢)

وَمُشَمِّرِينَ عَنِ السَّوَاعِدِ حُسَّرٍ عَنْهَا بِكُلِّ دَقِيقَةِ التَّوْتِيرِ
لَيْسَ الَّذِي تَشْوِي يَدَاهُ رَمِيَّةً فِيهِمْ بِمُعْتَذِرٍ وَلَا مَعْذُورِ
عَطْفِ السِّيَاتِ مَوَانِعٍ فِي عَطْفِهَا تُعْزَى إِذَا نُسِبَتْ إِلَى عُصْفُورِ

ذهب إلى قوله : فِي كَفِّهِ مُعْطِيَةٌ مَنُوعُ

وهذا مثل قوله : خَرْقَاءُ إِلَّا أَنَّهَا صَنَاعُ

وهذا مثل قوله : غَادَرَ دَاءً وَنَجَا صَحِيحًا

ومثل قوله : حَتَّى نَجَا مِنْ جَوْفِهِ وَمَا نَجَا

وإذا طال قيام الخطيب صار فيه انحناء وجناء ، وقال الأسدى :

أَنَا ابْنُ الْخَالِدِينَ إِذَا تَلَاقَى مِنَ الْأَيَّامِ يَوْمٌ ذُو ضِجَاجِ
كَأَنَّ الْعُنْبَ وَالْخُطَبَاءَ فِيهِ قِسِيٌّ مُثَقَّفٍ ذَاتُ اعْوِجَاجِ

وعلى هذا قال الشماخ بن ضرار :

فَأَضْحَتْ تَفَالَى بِالسِّتَارِ كَأَنَّهَا رِمَاحٌ نَحَاهَا وِجْهَةَ الرِّيحِ رَاكِزُ

وقال العمانى :

عَاتٍ يَرَى ضَرْبَ الرِّجَالِ مَغْنَمَا إِذَا رَأَى مُصَدِّقًا تَجَهَّمَا (٣)
وَهَزَّ فِي الْكَفِّ وَأَبْدَى مِعْصَمَا هِرَاوَةً بِنَبْعَةٍ أَوْ سَلَمَا
تَتْرُكُ مَا رَامَ رُفَاتًا رِمَمَا

وقال أُمَيَّةُ بْنُ الْأَسْكَرِ :

هَلَّا سَأَلْتِ بِنَا إِنْ كُنْتِ جَاهِلَةً فَفِي السُّؤَالِ مِنَ الْأَعْيَاءِ شَافِيهَا

---

(١) آنفهن : اجادهن .
(٢) يصف القسى والرمي عنها بالسهام
(٣) المصدق : جابي الصدقات

تُخْبِرْكَ عَنَّا مَعَدٌّ إنْ هُمْ صَدَقُوا وَمِنْ قَبَائِلِ نَجْرَانَ يَمَانِيهَا
وَبِالْجِيَادِ نَجُرُّ الْخَيْلَ عَابِسَةً كَأَنَّ مَذْرُورَ مِلْحٍ فِى هَوَادِيهَا
قَوْمٌ إِذَا فَزَعُ الأَقْوَامِ طَافَ بِهِمْ أَلْقَى الْعَصَى عَصَى الْجَهْلِ بَارِيهَا

قال : والرجل إذا لم يكن معه عصا فهو « باهل » و « ناقة باهل وباهلة » إذا كانت بغير صرار . وقال الراجز :

أَنْهَلَهَا ذَايِدُهَا وَسَبَّحَا وَدَقَّتِ الْمَرْكُوَحَتَّى ابْلَنْدَحَا (١)

***

إحتجنا أن نذكر ارتفاق بعض الشعراء من العرجان بالعصى عند ذكر العصا وتصرفها فى المنافع ، والذى نحن ذاكروه من ذلك فى هذا الموضع قليل من كثير مما ذكرناه فى « كتاب العرجان » فان أردتموه فهو هناك موجود إن شاء الله تعالى .

قالوا : ولما شاع هجاء الْحَكَمِ بنِ عَبْدَلٍ الأَسَدِىِّ (٢) لمحمد بن حسان بن سعد (٣) وغيره من الولاة والوجوه ، هابه أهل الكوفة واتقى لسانه الصغير والكبير، وكان الحكم أعرج لا تفارقه عصاه ، فترك الوقوف بأبوابهم وصار يكتب على عصاه حاجته ويبعث بها مع رسوله فلا يُحبس له رسول ولا يؤخر لقراءة الكتاب ثم تأتيه الحاجة على أكثر ما قدر وأوفر ما أمل ، فقال يَحْيَى بنُ نَوْفَلٍ :

عَصَا حَكَمٍ فِى الدَّارِ أَوَّلُ دَاخِلٍ وَنَحْنُ عَلَى الأَبْوَابِ نُقْصَى ونُحْجَبُ (٤)

---

(١) للركو : الحوض الكبير . وابلندح : تهدم

(٢) هو الحكم بن عبدل بن جبلة الاسدي . شاعر مجيد من شعراء الدولة الاموية هجاء خبيث اللسان اعرج احدب كوفى المنشأ والاقامة . وكانت عصاه لاتفارقه . ولما فعل فى عصاه ما فعل وقال فيه يحي بن نوفل ما قال شاعت ابيات يحي بالكوفه وضحك الناس منها فلقى ابن عبدل يحي فقال له : يابن الزانية ما اردت من عصاى حتى صيرتها ضحكة ! ؟ ثم اجتنب ان يكتب عليها كما كان يفعل وكاتب الناس بحوائجه فى الرقاع

(٣) هو محمد بن حسان بن سعد التميمي كان يلى خراج الكوفة .

(٤) وبعد هذا البيت يقول :

وكانت عصا موسى لفرعون آية وهذى لعمر الله ادهى واعجب
تطاع فلا تعصى ويحذر سخطها ويرغب في المرضاة منها وترهب

وأمّا قول بشر بن أبي خازم :

لِلّهِ دَرُّ بَنِى حَدّاءَ مِنْ نَفَرٍ　　وَكُلُّ جارٍ عَلَى جِيرانِهِ كَلِبُ

إذا عدَوْا وعِصِيُّ الطَّلْحِ أَرْجُلُهُمْ　　كما تَنَصَّبُ وَسْطَ البِيعَةِ الصُّلُبُ

وإنما يعنى أنهم كانوا عُرجاً فأرجلهم كعصىّ الطلح ، وعصى الطلح معوجّة .

وكذلك قال مَعدانُ الأعمى فى قصيدته الطويلة التى وصف فيها الغالية والرافضة والتميمية والزيدية :

وَالذِى طَفَّفَ الجِدارَ مِنَ الذُّعْـــرِ وَقَدْ باتَ قائِمَ الأَنْفالِ

فَغَدا خامِعاً بِوَجْهٍ هَشِيمٍ　　وَبِساقٍ كَعُودِ طَلْحٍ بالِ

وقال بعض العُرجان ممن جعل العصا رجلا :

ما لِلْكَواعِبِ يا دَهْماءُ قَدْ جَعَلَتْ　　تَزْوَرُّ عَنِّى وَتُلْقَى دُونِىَ الْخُمُرُ (١)

لَا أَسْمَعُ الصَّوْتَ حَتَّى أَسْتَدِيرَ لَهُ　　لَيْلاً طَوِيلاً يُناغِينِى لَهُ القَمَرُ

وقال رجل من بنى عجل :

وَشَى بِيَ وَاشٍ عِنْدَ لَيْلَى سَفاهَةً　　فَقالَتْ لَهُ لَيْلَى مَقالَةَ ذِى عَقْلِ

وَخَبَّرَها أَنِّى عَرَجْتُ فَلَمْ تَكُنْ　　كَوَرْهاءَ تَجْتَرُّ المَلامَةَ لِلْبَعْلِ

وَما بِي مِنْ عَيْبِ الفَتَى غَيْرَ أَنَّنِى　　جَعَلْتُ العَصا رِجْلاً أُقِيمُ بِها رِجْلِى

وقال أبو ضَبة فى رجله :

وَقَدْ جَعَلَتْ إِذا ما نُمْتُ أَوْجَعَنِى　　ظَهْرِى وَقُمْتُ قِيامَ الشّارِفِ الظَّهِرِ (٢)

وَكُنْتُ أَمْشِى عَلَى رِجْلَيْنِ مُعْتَدِلاً　　فَصِرْتُ أَمْشِى عَلَى رِجْلٍ مِنَ الشَّجَرِ

وقال أعرابى من بنى تميم :

وَمابِيَ مِنْ عَيْبِ الفَتَى غَيْرَ أَنَّنِى　　أَلِفْتُ قَناتِى حِينَ أَوْجَعَنِى ظَهْرِى

---

(١) تزور : تميل وتتراجع . الخمر جمع خمار : ما تغطى به المرأة رأسها

(٢) الشارف الظهر . البعير المسن الذى شد رحله على ظهره استعدادا لحاجة إن عرضت

قال : ودخل الحَكَمُ بنُ عَبْدَلٍ الأسَدِىُّ وهو أعرج على عبدِ الحميدِ ابنِ عبدِ الرحمنِ بنِ زيدِ بنِ الخطّابِ وهو أعرج ، وكان صاحب شرطه أعرج ، فقال ابن عبدل :

أَلْقِ العصا وَدَعِ التَّخَامُعَ وَالْتَمِسْ عَمَلاً فَهَذِى دَوْلَةُ الْعُرْجَانِ[1]
لِأَمِيرِنَا وَأَمِيرِ شُرْطَتِنَا مَعًا لِكِلَيْهِمَا يَاقَوْمَنَا رِجْلانِ
فَإِذَا يَكُونُ أَمِيرُنَا وَوَزِيرُنَا وَأَنَا فَإِنَّ الرَّابِعَ الشَّيْطَانُ

ومما يدلك على أن للعصا موقعاً منهم وأنها تدور مع أكثر أمورهم قول مُزَرِّدِ ابنِ ضِرَارٍ :

فَجَاءَ عَلَى بَكْرٍ ثِفَالٍ يَكُدُّهُ عَصَاإِسْتِهِ وَحْىَ العُجَابَةِ بِالْفِهْرِ[2]

ويقولون : إعتصى بالسيف . إذا جعل السيف عصا ، وإنما اشتقوا للسيف اسما من العصا لأن عامة المواضع التى تصلح فيها السيوف تصلح فيها العصى ، وليس كل موضع تصلح فيه العصا يصلح فيه السيف . وقال الآخر :

وَنَحْنُ صَدَعْنَا هَامَةَ ابْنِ مُحَرِّقٍ كَذَلِكَ نَقْضِى بِالسُّيُوفِ الصَّوَارِمِ

وقال عَمْرُو بنُ الإطْنَابَةِ :

وَفَتًى يَضْرِبُ الْكَتِيبَةَ بِالسَّيْفِ إِذَا كَانَتِ السُّيُوفُ عِصِيًّا

وقال عَمْرُو بنُ مُحْرِزٍ :

نَزَلُوا إِلَيْهِمْ وَالسُّيُوفُ عِصِيُّهُمْ وَتَذَكَّرُوا دِمَنًا لَهُمْ وَذُحُولاً[3]

وقال الفرزدق همام بن غالب بن صعصعة :[4]

إِنَّ ابْنَ يُوسُفَ مَحْمُودٌ خَلَائِقُهُ سِيَّانِ مَعْرُوفُهُ فِى النَّاسِ وَالمَطَرُ
هُوَ الشِّهَابُ الَّذِى يُرْمَى العَدُوُّ بِهِ وَالمَشْرَفِىُّ الَّذِى تَعْصَى بِهِ مُضَرُ

(١) ويروى : الق العصا ودع التخامع . وهو الأصح
(٢) الثفال : البطىء السير . الوحى : الاشارة . الفهر : الحجر ملء الكف
(٣) الدمن : الاحقاد القديمة . والذحول : العداوات واضمار الثار فيها
(٤) كان فى الاصول . الفرزدق بن غالب بن همام . وهو خطأ والصواب ما اثبتناه

يقال : عصى بالسيف ، واعتصى به . قال العُرْيانُ بنُ الأسْوَدِ في ابن له مات :

وَلَقَدْ تَحْمِلُ المُشَاةُ كَرِيماً ليِّنَ العُودِ مَاجِدَ الأعْرَاقِ
ذَاكَ قَوْلِي وَلا كَقَوْلِ نِسَاءٍ مُعْوِلَاتٍ يَبْكِينَ لِلْأوْرَاقِ

وكتب عَمْرُو بنُ العَاصِ إلى عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ رضى الله تعالى عنه : إن البحر خلق عظيم يركبه خلق صغير ، كأنهم دود على عود . وقال واثلة السدوسى :[1]

رَأَيْتُكَ لَمَّا شِبْتَ أَدْرَكَكَ الذِي يُصِيبُ سَرَاةَ الأزْدِ حِينَ تَشِيبُ
سَفَاهَةُ أَحْلَامٍ وَبُخْلٌ بِنَائِلٍ وَفِيكَ لِمَنْ عَابَ المُزُونَ عُيُوبُ
لَقَدْ صَبَرَتْ لِلذُّلِّ أعْوَادُ مِنْبَرٍ تَقُومُ عَلَيْهَا فِي يَدَيْكَ قَضِيبُ
وَقَدْ أَوْحَشَتْ مِنْهُمْ رَسَاتِيقُ فَارِسٍ وَفِي المِصْرِ دُورٌ جَمَّةٌ وَدُرُوبُ

وأنشد الأصمعى :

أَعْدَدْتُ لِلضِّيفَانِ كَلْباً ضَارِياً وَهِرَاوَةً مَجْلُوزَةً مِنْ أَرْزَنِ[2]
وَمَعَاذِراً كَذِباً وَوَجْهاً بَاسِراً وَتَشَاكِياً عَضَّ الزَّمَانِ الألْزَنِ[3]
وَشَذَاةَ مَرْهُوبِ الأذَى قَاذُورَةٍ خَشِنٍ جَوَانِبُهُ دَلُوظٍ ضَيْزَنِ[4]
وَبِكَفِّ مَحْبُوكِ اليَدَيْنِ عَنِ العُلَا وَالبَاعِ مُسْوَدِّ الذِّرَاعِ مُقَحْزَنِ[5]
وَتَجَنِّياً لَهُمُ الذُّنُوبَ وَأَلْتَقِى بِغَلِيظِ جِلْدِ الوَجْنَتَيْنِ عَشَوْزَنِ[6]

وقال جرير :

تَصِفُ السُّيُوفَ وَغَيْرُكُمْ يَعْصَى بِهَا يَا ابْنَ القُيُونِ وَذَاكَ فِعْلُ الصَّيْقَلِ[7]

(١) راجع ص ٢٣٧ من الجزء الاول و ص ٢٥٠ من الجزء الثانى
(٢) هراوة مجلوزة : عصا شد في طرفها سير فهى كالسوط . والارزن : شجر صلب تتخذ من فروعه عصى جيدة
(٣) المعاذر : العلل . ألوجه الباسر : المتقبض المتكره . الزمان الالزن : الشديد المجدب
(٤) القاذورة : سوء الخلق فى فحش . دلوظ ضيزن : دفوع في الصدر مزاحم
(٥) محبوك اليدين : مقبوضهما . مقحزن : مضروب بالعصا ، والقحزنة هي العصا
(٦) تجنى الذنوب : اختلاقها ؛ والعشوزن : الغليظ الوقاح
(٧) يعصى بها : يضرب بها

وقال الراعي :

تَبيتُ وَرِجلاهَا أذانان لاستِها ... عَصا إستِها حَتى يَكِلَّ قعُودُها

وقال أعرابي لِلحُطَيئةِ : ما عندك ياراعي الغنم ؟ قال : عجراء من سَلَمْ ! قال : إني ضيف : قال : للضيفان أعددتها . وقال الشَّماخ بن ضرار :

إلى بَقَرٍ فيهنَّ للعينِ مَنظَرٌ ... وَمَلْهًى لمَن يَلهو بِهِنَّ أنيقُ

رَعَينَ النَّدَى حتى إذا وَقَدَ الحصَى ... وَلم يَبقَ مِنْ نَوْءِ السِّماكِ بُرُوقُ (١)

وقال امرؤ القيس :

قُولا لِدُودانَ عَبيدِ العَصا ... ما غرَّكم بالأَسَدِ الْباسِلِ

وقال علي بن الغدير [الغنوي] :

وإذا رَأيتَ المرْءَ يَشْعَبُ أمْرَهُ ... شَعْبَ العَصا وَيَلِجُّ في العِصْيان (٢)

فاعْمِدْ لِما تَعلو فمَا لكَ بالذي ... لا تَستَطيعُ مِنَ الأُمورِ يَدانِ

وقال الآخر :

وَهَجهاجةٍ لا يملأُ الليلُ صدرَهُ ... إذا النِّكسُ أغفى طَرْفَهُ غيرَ أرْوعِ (٣)

صحيحٍ بَرِيءِ العودِ مِنْ كلِّ أُبْنَةٍ ... وَجَمَّاعِ نَهْبِ الخيرِ من كلِّ مَجمعِ (٤)

وقال مسكين الدارمي :

تَسْمو بأَعْناقٍ وتَحْبِسُها ... عَنها عِصيُّ الذَّادَةِ العُجرُ (٥)

عن جرير بن قيس قال : قدمت المدائن بعد ما ضُرِب علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه فلقيني ابن السوداء وهو ابن حرب فقال لي : ماالخبر ؟ فقلت :

(١) وقد الحصى : ضربته الشمس فحمى

(٢) يشعب : يتفرق

(٣) الهجهاجة : القليل العقل السيء الرأى . النكس : الدنيء الذي لاخير عنده . الاروع : الشهم الهمام الذكى الفؤاد

(٤) الابنة : العقدة في العود .

(٥) العجر جمع عجراء : وهي العصا غير المستقيمة المليئة بالعقد

ضُرب أمير المؤمنين ضربة يموت الرجل من أيسر منها ويعيش من أشد منها ! قال: لو جئتمونا بدماغه فى مائة صرة لعلمنا أنه لا يموت حتى يذودكم بعصاه !

وقال الله تبارك وتعالى « وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ . الآية » وقال الشاعر:

رَأَيْتُ الغانياتِ نَفَرْنَ مِنّى ... نُفورَ الوَحْشِ مِنْ رامٍ مُفيقِ (١)
وَأَيْنَ تَغَيُّرى وَأَرَدْنَ لَدْنًا ... كَغُصْنِ البانِ ذِى الفَنَنِ الوَرِيقِ

وقال أبو العتاهية:

عَرِيتُ مِنَ الشَّبابِ وكانَ غضًّا ... كما يَعْرَى مِنَ الوَرَقِ القَضِيبُ
ألا لَيْتَ الشَّبابَ يَعودُ يومًا ... فأُخبِرَهُ بما صنَعَ المَشِيبُ

وقال الآخر:

فَلَئِنْ عَمِرْتُ لقدْ عَمِرتُ كأنَّنى ... غُصْنٌ تُفَيِّئُهُ الرِّياحُ رَطيبُ (٢)
وَكَذاكَ حقًّا مَنْ يُعَمَّرْ يُبْلِهِ ... كَرُّ الزَّمانِ عليهِ والتَّقْليبُ
حَتَّى يَعُودَ مِنَ الْبِلَى وَكأنَّهُ ... فِى الْكَفِّ أفْوَقُ ناصِلٌ مَعْصُوبُ (٣)
مَرِطُ القِذاذِ فَلَيْسَ فِيهِ مَصْنَعٌ ... لا الرِّيشُ يَنفَعُهُ وَلا التَّعْقِيبُ (٤)

وقال عُرْوَةُ بنُ الْوَرْدِ:

أَلَيْسَ وَرائى أنْ أدِبَّ عَلَى العَصَا ... فيأمَنَ أعدائى وَيَسْأمَنى أهلى ؟ (٥)

وأنشد:

عَصَوْا بِسُيوفِ الهِنْدِ واعْتَرَكَتْ بِهِمْ ... بَرَاكاءُ مَوْتٍ لا يَطِيرُ غُرابُها (٦)

(١) المفيق: الذي يضع فوق السهم فى الوتر للرمي ، يعنى الرامي الماهر
(٢) عمرت: إمتد بي العمر
(٣) الأفوق: السهم المكسور الفوق
(٤) المرط القذاذ: السهم الذى ذهب ريشه لكثرة الاستعمال
(٥) ورائى: أمامي
(٦) كان بالاصول: عصو السيوف . وما أثبتناه هو الصواب . البراكاء: الحرب يجثى فيها على الركب لتكون مجالدة بالسيوف . لا يطير غرابها: كناية عن كثرة القتل

وقال لبيد :

أَلَيْسَ وَرَائى إنْ تَرَاخَتْ مَنِيَتِى لُزومُ العصا تُحْنَى عليها الأصابع (١)

وقال آخر :

نُقِيمُ العصا ما كان فيها لُدُونَةٌ وتأبى العصا في يُبْسِها أن تقوّما

وقال الآخر :

إنَّ الغصونَ إذا قوّمتها اعتدلَتْ ولَنْ تلين إذا قوّمتها الخشبُ

وقال جريرٌ :

ما للفرزدقِ مِنْ عِزٍّ يلوذُ بهِ إلاّ بنو العمِّ في أيديهمُ الخشبُ (٢)

سيرُوا بنى العَمِّ فالأهوازُ منزلكم ونهرُ تيرى فما تدريكمُ العربُ (٣)

وقال جريرٌ في هجائه بنى حنيفة :

أبناءُ نخلٍ وحيطانٍ ومزرعةٍ سيوفُهُمْ خشبٌ فيها مساحيها

قَطْعُ الديارِ وسقْيُ النخلِ عادتُهُم قِدْماً وما جاوزتْ هذا مساعيها

لو قيلَ أينَ هوادِى الخيلِ ما علِموا قالوا لإعجازِها هذى هواديها

أو قيلَ إنَّ حِمامَ الموتِ آخذُكُمْ أو تُلجِموا فرساً قامتْ بواكيها

لما رأتْ خالداً بالعرضِ أهلكها قتلاً وأسلمها ما قالَ طاغيها (٤)

دانتْ وأعطتْ يدَ السِّلْمِ طائعةً مِنْ بعدِما كادَ سيفُ اللهِ يُفنيها (٥)

وقال سلامةُ بنُ جندل : (٦)

كُنَّا إذا ما أتانا صارخٌ فزِعٌ كانَ الصُّراخُ لهُ قرعَ الظَّنابيبُ

(١) ورائي: أمامي

(٢) بنو العم : هم بنو مالك بن حنظلة وكان يقال له العم

(٣) يرميهم بأنهم دخلاء في العرب

(٤) هو خالد بن الوليد . والشاعر يشير إلى قتل خالد لهم بالعرض بعني باليمامة ايام حروب الردة، ويريد بطاغيها مسيلمة الكذاب

(٥) سيف الله : لقب خالد بن الوليد

(٦) مضت ترجمته فى ص ٣١ من هذا الجزء

ويقال للخطّاب إذا كان مرغوباً فيه كريماً : ذاك الفحلُ الذى لا يُقرع أنفه . لأن الفحل اللئيم إذا هب على الناقة الكريمة ضربوا وجهه بالعصا . وقال آخر :

كأنّها إذْ رُفعتْ عصاها ... نَعامةٌ أوْحَدَها رألاهَا(١)

وممن أضافوه إلى عصاه داود ملكين اليشكرى وقد كان ولى شرطة البصرة . وجاء فى الحديث أن أبا بكر رضى الله تعالى عنه أفاض من جَمْعٍ وهو يُحرّشُ بعيره بمحجنه . وقال الأصمعى : المحجن العصا المعوجة . وفى الحديث المرفوع « أنه طاف بالبيت يستلم الأركان بمحجنه ثم يجذبه إليه » يريد بذلك تحريكه . وقال الراعى :

فألقى عَصاً طَلْحٍ ونَعْلا كأنها ... جَناحُ السُّمانى رأسُها قدْ تصوَّعا(٢)

والعصا أيضاً فرس شَبِيبِ بنِ كُرَيبٍ الطائى . وكان شبيب بن كريب الطائى يصيب الطريق فى خلافة على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه ، فبعث إليه أحمر بن شَميط العجلى وأخاه فى فوارس ، فهرب شبيب وقال :

وَلمّا أنْ رأيتُ ابنَىْ شَميطٍ ... بِسِكّةِ طيِّءٍ والبابُ دُونى

تَجلّلتُ العَصا وعلِمتُ أنّى ... رَهينُ مُخيَّسٍ إنْ يَثْقفونى(٣)

ولوْ أنظرْتُهمْ شيئاً قليلا ... لَساقُونى إلى شيخٍ بَطينِ(٤)

شَديدِ مُجالزِ الكَفَّينِ صُلْبٍ ... عَلَى الحَدَثانِ مُجتمِعِ الشُّؤونِ(٥)

وقال النجاشى(٦) لأم كثير ابنة الصلت :

وَلَسْتِ بِهِنْدِيٍّ ولكنّ ضَيْعَةً ... عَلَى رَجُلٍ لو تعلَمينَ مُزيرِ

(١) أوحدها رألاها : تركها ولداها

(٢) السمانى : طائر قاطع يرد على شواطىء مصر من شمال أوربة وتسميه العامة : سمان

(٣) تجللت العصا : ركبت الفرس . المخيس : السجن . يثقفون : يجدونى

(٤) الشيخ البطين : على بن ابي طالب وكان يوصف بكبر البطن

(٥) المجلز : الطى واللى والمد والنزع . والمعنى أنه قوى اليدين معتمل الكفين

(٦) مضت ترجمته فى ص ٢٠٢ من الجزء الأول

وأعجبتني للسوط والنوط والعصا ... ولم تعجبيني خلة لأمير (١)

وقال أعشى بني ربيعة : (٢)

وكان الخلائف بعد الرسو ... ل لله كلهم أسوة خاشعا

شهيدين من بعد صديقهم ... وكان ابن صخر هو الرابعا (٣)

وكان ابنه بعده خامسا ... مطيعا لمن قبله سامعا (٤)

ومروان سادس من قد مضى ... وكان ابنه بعده سابعا (٥)

وبشر يدافع عبد العزيز ... مضى ثامنا ذا وذا تاسعا (٦)

وأيهم ما يكن سائسا ... لها لم يكن أمرها ضائعا

فإما تريني حليف العصا ... فقد كنت من وثبة خامعا (٧)

فساومني الدهر حتى اشترى ... شبابي وكنت له مانعا

وقال عوف بن الخرع :

ألا أبلغا عني جريجة آية ... فهل أنت عن ظلم العشيرة مقصر

وإن طعن الحي الجميع لطية ... فأمرك معفي وشربك مغور (٨)

أفي صرمة عشرين أو هي دونها ... قشرتم عصاكم فانظروا كيف تقشر (٩)

(١) خليلة : زوجة

(٢) كان بالاصول : اعشى بن ربيعة . والصواب ما اثبتناه . وهو صالح بن خارجة

(٣) الشهيداز : هما عمر وعثمان . والصديق : ابو بكر . وابن صخر : معاوية بن ابي سفيان . يقول الاعشى ذلك لأنه كان اموى الهوى متعصبا ضد علي وولده . وجعل معاوية رابع الخلفاء ، ثم مضى في قصيدته على هذا النحو من الحساب الفاسد

(٤) الخامس في راي هذا الاعشي يزيد بن معاوية

(٥) وجعل مروان بن الحكم سادسا واسقط معاوية بن يزيد . وكل هذا من إملاء السياسة التي لا تعرف حقا ولا تتجه نحو الصواب في اى عصر من العصور . وجعل السابع عبد الملك بن مروان

(٦) بشر وعبد العزيز هما ابنا مروان بن الحكم . ومع انهما لم يليا الملك فان الشاعر قد دفعه النفاق إلى حسبانهما في الخلفاء

(٧) الخامع : الذي في مشيته خمع أي عرج أو شبه العرج

(٨) الطية : النية المنتواة . مغور : لاماء فيه

(٩) الصرمة : القطعة من الابل

زَعَمْتُمْ مِنَ الْهُجْرِ الْمُضَلَّلِ أَنَّكُمْ ... سَتَنْصُرُكُمْ عَمْرٌو عَلَيْنَا وَمَنْقِرُ(١)

فَيَا شَجَرَ الْوَادِى أَلَا تَنْصُرُونَهُمْ ... وَقَدْ كَانَ بِالْمَرُّوتِ رِمْثٌ وَسَخْبَرُ(٢)

أَلَمْ تَجْعَلُوا تَيْمًا عَلَى شُعْبَتَىْ عَصًا ... فَمَا يَنْطِقُ الْمَعْرُوفَ إِلَّا مُعَذَّرُ؟

وقال رجل من محارب يرثى ابنه :

أَلَمْ يَكُ رَطْبًا يَعْصِرُ الْقَوْمُ مَاءَهُ ... وَمَا عُودُهُ لِلْكَاسِرِينَ بِيَابِسِ

وقال حاجب [بن] زرارة(٣) : والله ما القعقاع(٤) برطب فيعصر ولا بيابس فيكسر .

وقال حماد عجرد :

وَجَرَوْا عَلَى مَا عُوِّدُوا ... وَلِكُلِّ عِيدَانٍ عُصَارَهْ

وقال أيضا :

فَأَنْتَ أَكْرَمُ مَنْ يَمْشِى عَلَى قَدَمٍ ... وَأَنْضَرُ النَّاسِ عِنْدَ النَّاسِ أَغْصَانَا

لَوْ مَجَّ عُودٌ عَلَى قَوْمٍ عُصَارَتَهُ ... لَمَجَّ عُودُكَ فِينَا الْمِسْكَ وَالْبَانَا

وقال آخر : (٥)

وَإِنَّا وَجَدْنَا النَّاسَ عُودَيْنِ طَيِّبًا ... وَعُودًا خَبِيثًا مَا يَبِضُّ عَلَى الْعَصْرِ

تَزِينُ الْفَتَى أَخْلَاقُهُ وَتَشِينُهُ ... وَتُذْكَرُ أَخْلَاقُ الْفَتَى وَهْوَ لَا يَدْرِى

وقال المؤمل بن أميل : (٦)

كَانَتْ تُقَيِّدُ حِينَ تَنْزِلُ مَنْزِلًا ... فَالْيَوْمَ صَارَ لَهَا الْكَلَالُ قُيُودَا

---

(١) الهجر . فاحش القول . والمروت : واد لبنى حمان ، وفيه يوم من ايامهم

(٢) الرمث : شجر يشبه الغضاء لا يطول ولكن ورقه ينبسط وهو شبيه بالأشنان تتحمض به الابل . والسخبر : شجر إذا طال تدلت رؤسه ، وقيل هو من شجر الثمام له قضب مجتمعة وجرثومة وله عيدان كالكراث كثيرة . وهذا البيت اية فى التهكم والاستخفاف

(٣) هو حاجب بن زرارة سيد بنى تميم صاحب القوس التى وضعها عند كسرى رهينة بوفائه بعهده عن قومه

(٤) هو القعقاع بن معبد التميمى انظر ص ٢١٥ من الجزء الثانى

(٥) هو ابو البلاد الطهوى . راجع ص ٤٨ من الجزء الثانى

(٦) مضت ترجمته فى ص ٤٥ من هذا الجزء

وَالقَوْمُ كالعِيدانِ يفضُلُ بَعْضُهُمْ بَعضاً كذاكَ يفوقُ عُودٌ عُودَا

وقالت ليلى الأخيلية :

نَحْنُ الأَخايِلُ لا يَزالُ غُلامُنا حَتَّى يَدِبَّ عَلَى العَصَا مَذْكُورَا

أنظر أبقاك الله فى كم فن تصرف فيه ذكر العصا من أبواب المنافع والمرافق! وفى كم وجه صرّفه الشعراء وضرب به المثل! ونحن لو تركنا الإحتجاج لمخاصر البلغاء وعصىّ الخطباء لم نجد بداً من الإحتجاج لجلة المرسلين وكبار النبيين لأن الشعوبية قد طعنت فى جملة هذا المذهب على قضيب النبي صلى الله عليه وسلم وعنزته[1] وعلى عصاه ومخصرته ، وعلى عصا موسى ، لأن موسى عليه السلام قد كان اتخذها من قبل أن يعلم ماعند الله فيها وإلى مايكون صيوّر أمرها ، ألا ترى أنه لما قال الله عز وجل : « وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى ؟ » وبعد ذلك قال : « أَلْقِهَا يَامُوسَى فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى » ومن يستطع أن يدعى الإحاطة بما فيها من مآرب موسى إلا بالتقريب وذكر ما خطر على البال ؟ وقد كانت العصا لا تفارق يد سليمان بن داوود عليهما السلام فى مقاماته ولا صلواته ولا فى موته ولا فى أيام حياته حتى جعل الله تسليط الارضة عليها ، وسليمان ميت وهو معتمد عليها ، من الآيات عند من كان لايعلم أن الجن لم تكن تعلم إلا ماتعلم الانس .

ولو علم القوم أخلاق كل ملة وزى أهل كل لغة وعللهم فى ذلك واحتجاجهم له لقل شغبهم وكفونا مؤنتهم ، وهذه الرهبان تتخذ العصى من غير سقم ولا نقصان فى جارحة ، ولابد للجاثليق[2] من قناع ومن مظلة وبَرْنُطَة[3] ومن عكازة ومن عصا ، من غير أن يكون الداعي إلى ذلك كبراً ولا عجزاً فى الخلقة ! وما زال المطيل

(١) العنزة : العصا القصيرة

(٢) الجاثليق : هو رئيس النصارى فى بلاد الاسلام

(٣) البرطلة : شبه قلنسوة ، وهى كلمة نبطية معناها ابن الظل او ابن المظلة

القيام بالموعظة أو القراءة أو التلاوة يتخذ العصا عند طول القيام و يتوكأ عليها عند المشى كأن ذلك زائد فى التكهل والزمانة (١) وفى نفى السخف والخفة .

الحلى والسمات

وبالناس حفظك الله أعظم الحاجة إلى أن يكون لكل جنس منهم سيما ولكل صنف منهم حلية وسمة يتعارفون بها . قال الفرزدق :

بِهِ نَدَبٌ مِمَّا يَقولُ ابْنُ غالِبٍ   يَلوحُ كالأَحتْ وُسُومُ المُصَدَّقِ (٢)

وقال الآخر :

أَنارَ حَتَّى صَدَقَتْ سِماتُهُ   وَظَهَرَتْ مِنْ كَرَمٍ آياتُهُ

وأنشد أبو عبيدة :

سَقاها مِيْسَمٌ مِنْ آلِ عَمْرو   إذا ما كانَ صاحِبُها جَحِيشا (٣)

وذكر بعض الأعراب ضروبا من الوسم فقال :

بِهِنَّ فِى خُطَّافِها عَلْطُ وَسِمْ   وَحَلَقٌ فى آخِرِ الذِفْرَى نُظِمْ (٤)

مَعْهَا نِظَامٌ مِثْلُ خَطٍّ بِالقَلَمْ   وَقُرْمَةٌ وَلَسْتُ أَدْرِى مَنْ قَرَمْ (٥)

عَرْضٌ وَخَبْطٌ لِمجلِيها الوَسَمْ (٦)

وقال الله تبارك وتعالى : « سِيماهُمْ فِى وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ » وكما خالفوا بين الأسماء للتعارف ، وقال عز وجل : « وَجَعَلْناكُمْ شُعُوباً وَقَبائِلَ لِتَعارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقاكُمْ »

---

(١) كان فى الاصول : والزمانة ، وهو خطأ والصواب ما اثبتناه . والزمانة : الرزانة

(٢) الندب : آثار الجروح . وسوم المصدق : العلامات التى يضعها جابى الصدقات على إبل الصدقة ولا تكون هذه الوسوم إلا بالكى بالنار

(٣) الجحيش : المنفرد بنفسه

(٤) العلط : اثر الوسم . الذفرى : العظم الناتىء خلف اذن البعير

(٥) القرمة : القطعة من انف البعير

(٦) العرض : السمة فى فخذ البعير . والخبط : السمة فى وجهه

فعند العرب العمة وأخذ المخصرة من السيما ، وقد لايلبس الخطيب الملحفة ولا الجبة ولا القميص ولا الرداء ، والذى لابد منه العمة والمخصرة ، وربما قام فيهم وعليه إزاره قد خالف بين طرفيه ، وربما قام فيهم وعليه عمامته وفى يده مخصرته وربما كان قضيبا وربما كانت العصا وربما كانت قناة ، وفى القنا ماهو أغلظ من الساق وفيها ما هو أدق من الخنصر ، وقد تكون محكمة الكعوب منقفة من الإعوجاج قليلة الأبن [1] وربما كان العود نبعاً وربما كان شوحطاً وربما كان من أبنوس ومن غرائب الخشب ومن كرائم العيدان ومن تلك الملس المصفاة وربما كانت لب غصن كريم ، فان للعيدان جوهر كجواهر الرجال ولولا ذلك لما كانت فى خزائن الخلفاء والملوك ، ومنها ما لاتقر به الأرضة ولا تؤثر فيه القوادح ، والعكاز اذا لم يكن فى أسفله زج فهو عصا ، لأن أطول القنا أن يقال : رمح خطل ثم رمح تائر [2] ثم رمح مخموس ثم رمح مربوع ثم رمح مطارد ثم عكاز ثم عصا . ثم من العصى نُصُبُ المساحى والمرور والقدم والفؤس والمعاول والمناجل والطبرزينات [3] ثم تكون مع [4] ذلك نصب السكاكين والسيوف والمشامل [5] وكل سهام نبعية وغير ذلك من العيدان التى امتدحها أوس بن حجر أو الشماخ بن ضرار أو أحد من الشعراء ، فانما هى من كل عصا ، وكل قوس بندق فانما جيء بقناتها من بروض ومدح ببريها وصنعتها عصفور القواس . وقال الرقاشى : [6]

أَنْعَتُ قَوْساً نَعْتَ ذِى انْتِقَاءِ جَاءَ بِهَا جَالِبُ بَرْوَضَاءِ

(١) الابن : العقد في العصا

(٢) لعله النيزك

(٣) الطبرزينات ، جمع طبرزين ، كلمة فارسية معناها الفأس . وعندى انها البلطة التى تستعمل فى الهجوم عند القتال

(٤) فى الاصول : ثم تكون فى ذلك . وقد اخترت مع بدل من ليستقيم السياق

(٥) المشامل : سيوف قصيرة تحمل تحت الثياب

(٦) هو الفضل بن عبد الصمد الرقاشى ، كان شاعرا مطبوعا نقي الكلام سهل النظام من شعراء البرامكة ومن المختصين بهم المستظلين بظلهم . وقد حفظ لهم فضلهم فرثاهم بعد نكبتهم وعرض نفسه بوفائه لهم لمخاطر جسام . وكان بينه وبين ابى نواس منافرات ومناقضات .

عِندَ اعتِيَامٍ مِنهُ وَانتِصَاءِ كافيةَ الطولِ عَلَى انتهاءِ
مَجلوزةَ الأكعُبِ فى استوَاءِ سَالِمةً مِنْ أُبَنِ السِّيساءِ (١)
فَلَمْ تَزَلْ مَسَاحِلُ الْبَرَّاءِ تأخُذُ مِنْ طوَائفِ اللِّحاءِ (٢)
حَتَّى بدَتْ كالحيةِ الصَّفراءِ تَرنُو إلَى الطَّائرِ فِى السَّماءِ (٣)
بِمُقلةٍ سَرِيعةِ الإقذاءِ لَيسَتْ بِكَحلاءَ وَلا زَرقَاءِ (٤)

وقال آخر :

قَدِ أغتَدِى مَلْثَ الظَّلَامِ بِفِتيَةٍ لِلرَّمىِ قَدْ حَسَرُوا لَهُ عَنْ أذرُعِ (٥)
مُتَنكِّبِين خَرَائِطاً لِبنَادِقٍ مِنْ بَيْنِ مَضفُورٍ وَبَيْنِ مُرَسَّعِ (٦)
بأكُفِّهِمْ قُضْبَانُ بَرْوَضَ قَدْ عَدَوْا لِلطَّيْرِ قَبْلَ نُهُوضِهَا لِلمَرْتَعِ (٧)
تَقْذِى مَنِيَّاتُ الطُّيُورِ عيُونَهَا يَوْماً إذَا رَمِدَتْ بِأيْدِى النُّزَّعِ (٨)
صُفْرُ البُطُونِ كأنَّ لِيطَ بُطُونِهَا سَرَقُ الحَرِيرِ نَوَاضِرٌ لَمْ تُشْبَعِ (٩)

وكانت العَنَزَةُ (١٠) التى تحمل بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم — وربما جعلوها قبلة — أشهر وأذكر من أن يحتاج فى تثبيتها إلى ذكر الاسناد ، وكانت سيماء (١١) أهل الحرم إذا خرجوا من الحرم إلى الحل فى غير الأشهر الحرم أن

(١) مجلوزة الاكعب : محكمة العقد . ابن السيساء : عقد الفقرات
(٢) مساحل البراء : مبارد بارى السهام . اللحاء : قشر العود
(٣) ترنو : تنظر . وهذا من باب التخييل
(٤) الاقذاء : سريعة فتح العين وتغميضها
(٥) ملث الظلام : عند اختلاطه بالنور وقت السحر
(٦) متنكبين خرائطا : حاملين على عواتقهم اوعية البندق وهي من ادم منها ما هو مضفور ومنها ماهو متداخل
(٧) القضبان : القسى
(٨) النزع : الرماة
(٩) صفر البطون : خاليتها من الطعام . ليط متونها : قشر ظهورها . سرق الحرير : شققه
(١٠) العنزة : العصا القصيرة
(١١) السيماء : العلامة

يتقلدوا القلائد ويعلقوا عليهم العلائق ، وإذا أَوْذَمَ (١) أحدهم الحج تزيا بزي الحاج وإذا ساق بُدنة أشعرها (٢) وخالفوا بين سمات الابل والغنم ، وأعلموا البَحيرة (٣) بغير علم السائبة ، وأعلموا الحامى (٤) بغير علم الفحول ، وكذلك الفرع والرجبية والوصيلة والعتيرة (٥) من الغنم ، وكذلك سائر الأغنام السائمة ، وإذا كانت الابل من حباء ملك غرزوا فى أسمنتها الريش والخِرق ، ولذلك قال الشاعر :

يَهَبُ الهِجَانَ بِرِيشِهَا وَرِعَائِهَا   كاللَّيْلِ قَبْلَ صَبَاحِهِ المُتَبَلِّجِ

وإذا بلغت الابل ألفا فقئوا عين الفحل ، فان زادت فقئوا العين الأخرى . فذلك « المُفَقَّأُ » و « والمعمَّى » . وقال شاعرهم :

فَقَأْتُ لَهَا عَيْنَ الفَحِيلِ تَعَيُّفاً   وَفِيهِنَّ رَعْلاءُ المَسَامِعِ وَالحَامِ

وقال آخر :

وَهَبْ لَنَا وَأَنْتَ ذُو امْتِنَانِ   تُفَقَّأُ فِيهَا أَعْيُنُ البُعْرَانِ

وقال الآخر :

فَكَانَ شُكْرَ القَوْمِ عِنْدَ المِنَنِ   كَيُّ الصَّحِيحَاتِ وَفَقْءُ الأَعْيُنِ

وإذا كان الفحل من الابل كريماً قالوا « فَحِيلٌ » وإذا كان الفحل من النخل كريماً قالوا « فُحَّالٌ » وقال الراعى :

كَانَتْ نَجَائِبُ مُنْذِرٍ وَمُحَرِّقٍ   أُمَّاتُهُنَّ وَطُرْقُهُنَّ فَحِيلاَ

وكان الكاهن لا يلبس المصبغ ، والعراف لايدع تذيل قميصه وسحب ردائه ، والحكم لا يفارق الوبر ، وكان لحرائر النساء زى ، ولكل مملوك زى ، ولذوات

---

(١) أوذم الحج : فرضه على نفسه ونواه

(٢) البدنة الذبيحة تنحر بمكة . اشعرها : جعل لها علامة تعرف بها أنها من هدى الحرم

(٣) البحيرة : القلوص التى تنتجها السائبة ، وكانوا يشقون أذنها ويخلونها مع أمها

(٤) الحامى : الجمل إذا اسن ترك دون ان ينتفع منه بشيء

(٥) الفرع : اول نتاج الشاة . والرجبية : الشاة تذبح قربانا للآلهة فى شهر رجب . والوصيلة: الشاة تلد ذكرا ثم انثى . والعتيرة : الشاة تذبح للآلهة

الرايات زى (١) وكان الزِّبْرِقَانُ (٢) يصبغ عمامته بصفرة ، وذكره الشاعر فقال :

وَأَشْهَدُ مِنْ عَوْفٍ حُلُولاً كَثِيرَةً يَحُجُّونَ سِبَّ الزِّبْرِقَانِ المُعَصْفَرَا (٣)

وكان أبو أُحَيْحَةَ سَعِيدُ بْنُ العَاصِ (٤) إذا اعتم لم يعتم معه أحد ، هكذا فى الشعر ، ولعل ذلك أن يكون مقصوراً فى بنى عبد شمس ، وقال أبو قَيْسِ بن الأَسْلَتِ : (٥)

وَكَانَ أَبُو أُحَيْحَةَ قَدْ عَلِمْتُمْ بِمَكَّةَ غَيْرَ مُهْتَضَمٍ ذَمِيمِ

إِذَا شَدَّ العِصَابَةَ ذَاتَ يَوْمٍ وَقَامَ إِلَى المَجَالِسِ وَالخُصُومِ

فَقَدْ حَرُمَتْ عَلَى مَنْ كَانَ يَمْشِى بِمَكَّةَ غَيْرَ مُدْخَلٍ سَقِيمِ

وَكَانَ البَخْتَرِىُّ غَدَاةَ جَمْعٍ يُدَافِعُهُمْ بِلُقْمَانَ الحَكِيمِ

بِأَزْهَرَ مِنْ سَرَاةِ بَنِى لُؤَىٍّ كَبَدْرِ اللَّيلِ رَاقَ على النُّجُومِ

هُوَ البَيْتُ الذِى بُنِيَتْ عليهِ قُرَيْشُ السِّرَّ فى الزَّمَنِ القَدِيمِ

وَسَطْتَ ذَوَائِبَ الفَرْعَيْنِ مِنهم فأَنْتَ لُبَابُ سِرِّهِم الصَّمِيمِ

وقال غَيْلَانُ بن خَرَشَةَ للأحنف : يا أبا بحر ، ما بقاء ما فيه العرب ؟ قال : إذا تقلدوا السيوف وشدّوا العمائم واستجادوا النعال ولم تأخذهم حميّة الأوغاد ! قال : وما حميّة الأوغاد ؟ قال : أن يعدوا التواهب ذلا . (٦) وقال الأحنف : استجيدوا النّعال فإنها خلاخل الرجال . (٦) والعرب تسمى السيوف بحمائلها « أردية » وقال على بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه قولا أحسن من هذا قال : تمام جمال المرأة فى خفها وتمام جمال الرجل فى لمته (٧) . ومما يؤكد ذلك قول مجنون بنى عامر : (٨)

---

(١) ذوات الرايات : هن الاماء اللاتى كن يحترفن البغاء

(٢) هو الزبرقان بن بدر ، مضت ترجمته فى ص ٦٠ من الجزء الاول

(٣) الحلول : البيوت النازلة فى مكان . والسب : الشقة من الحرير

(٤) مضت ترجمته فى ص ٢٥٠ من الجزء الاول

(٥) مضت ترجمته فى ص ١٦ من هذا الجزء

(٦) راجع ص ٧٠ من الجزء الثانى . وفيها بعض خلاف

(٧) راجع ص ٧٠ من الجزء الثاني . وهناك بدل في لمته : فى كمه . ولعل ما ههنا اصح

(٨) مضت ترجمته فى ص ٣١ من الجزء الثانى

أأعقرُ مِن جرَّا كريمة ناقتى ... ووَصْلى مَفروشٌ لِوَصْلِ مُنازِل
إذا جاء قعقعْنَ الحُلِيَّ ولَمْ أَكُنْ ... إذا جِئْتُ أَرْضى صوتَ تِلكَ الخلاخِلِ (١)
وَلَمْ تُغْنِ سيجانُ العراقين نقرَةً ... وَرَقْشُ القَلَنْسِ بالرِّجالِ الأطاوِلِ

والعصابة والعمامة سواء ، وإذا قالوا : سيد مُعمم . فإنما يريدون أن كل جناية يجنيها الجانى فى تلك العشيرة فهى معصوبة برأسه ، وقال دُرَيْدُ بنُ الصِّمَّةِ : (٢)

أَبلِغْ نُعَيْماً وَأَوْفَى إنْ لَقِيتَهما ... إنْ لم يكُنْ كانَ فى سَمْعَيْهما صَمَمُ (٣)
فلا يَزالُ شِهابٌ يُسْتَضاءُ بِهِ ... يَهْدِى المَقانِبَ ما لَمْ تَهْلِكِ الصِّمَمُ (٤)
عارِى الأشاجِعِ مَعصُوبٌ بِلِمَّتِهِ ... أَمْرُ الزَّعامَةِ فى عِرْنِينِهِ شَمَمُ

وقال الكنانى:

تَنَخَّبْتُها لِلنَّسْلِ وَهْىَ غَرِيبَةٌ ... فَجاءَتْ بِهِ كالبَدرِ خِرْقاً مُعَمَّما (٥)
فَلَوْ شاتَمَ الفِتْيانَ فى الحَىِّ ظالِماً ... لَما وَجَدُوا غيرَ التَّكَذُّبِ مَشْتَما

ولذلك قيل لِسَعِيدِ بنِ العاصِ « ذُو العِصابة » وقد قال خالِدُ بنُ يَزِيدُ : (٦)

كَعابٌ أبُوها ذو العِصابةِ وَابْنُهُ ... وَعُثْمانُ ما أَكْفَاؤُها بِكَثِيرِ

(١) فى الاصول : إذا جئت ارجو . والتصويب عن الاغانى . وبعد هذا البيت يقول :
إذا ما انتضلنا فى الخلاء نضلته ... وإن يرم رشقا عندها فهو ناضل
(٢) مضت ترجمته فى ص ١٠١ من الجزء الأول . وهذه الأبيات قالها يوم قتل مجمع بن مزاحم اليربوعى اخاه عبد يغوث بن الصمة وكان نازلا بين اظهر بنى الصارد
(٣) وبعد هذا البيت :
فما اخى بأخى سوء فينقصه ... إذا تقارب بابن الصارد القسم
(٤) المقانب : جماعات الخيل عليها الفرسان : الصمم : الشجعان
(٥) الخرق : الكريم
(٦) هو خالد بن يزيد بن معاوية . كان من سرات بنى امية وعظمائهم ، وكان عالما عاقلا فصيحا سخيا جوادا شاعرا بليغا جليل القدر . وهو اول من اشتغل بنقل الكتب اليونانية إلى العربية وكان ذا شغف بالكيميا . توفى سنة ٨٢ هـ وهذا البيت الذى رواه الجاحظ من ابيات قالها حينما طلق زوجته آمنة بنت سعيد بن العاص وخلفه عليها الوليد بن عبد الملك . وقد روى المبرد منها قوله :
فتاة أبوها ذو العصابة وابنه ... وعثمان ما أكفاؤها بكثير
فان تفتلتها والخلافة تنقلب ... بأكرم علق منبر وسرير

وقال عُمَرُ بنُ الخطَّابِ رضى الله تعالى عنه : ألعمائم تيجان العرب .

وقيل لاعرابى : إنك لتكثر لبس العمامة ! قل : إن شيئاً فيه السمع والبصر لجدير أن يوقى من القرّ .

وذُكرت العمامة عند أبى الأسْوَدِ الدُّؤلى فقال : جُنَّةٌ فى الحرب ، ومِكنَّة من الحر ، ومَدْفأة من القرّ ، ووقارٌ فى النَّدِىّ ، وواقية من الأحداث ، وزيادة فى القامة ، وهى تعد عادة من عادات العرب . وقل عَمْرُو بنُ امْرِءِ القَيْسِ :[(١)]

يَا مَالِ وَالسَّيِّدُ المعمَّمُ قَدْ يبْطِرُهُ بعدَ رَأْيِهِ السَّرَفُ

نَحْنُ بما عِنْدَنا وَأَنْتَ بمَا عِنـــدكَ رَاضٍ والرَّأىُ مُخْتَلِفُ[(٢)]

وكان من عادة فُرسان العرب فى المواسم والجموع وفى أسواق العرب كأيام «عُكاظ» و«ذى المجاز» وما أشبه ذلك التقَنُّع ، إلا ما كان من أبى سَلِيطٍ طَرِيفِ بنِ تَمِيمٍ أحد بنى عَمْرِو بنِ جُنْدَبٍ فانه كان لا يتقنع ولا يبالى أن يُثبت عينَه جميعُ فرسان العرب ، وكانوا يكرهون أن يُعرفوا ، فلا يكون لفرسان عدوّهم غيرهم . ولما أقبل «حَمَيْصَةُ الشيبانى»[(٣)] يتأمل طريفاً قال طريفٌ :

أَوَ كُلَّمَا وَرَدَتْ عُكاظُ قَبيلَةٌ بَعَثُوا إلىَّ عَرِيفَهُمْ يَتَوَسَّمُ

فَتَوَسَّمُونِى إنَّنى أنَا ذَا كُمُ شَاكٍ سِلَاحى فى الحَوَادِثِ مُعْلِمُ

تَحْتِى الأغرُّ وَفَوْقَ جِلْدِى نَثْرَةٌ زَغْفٌ تَرُدُّ السَّيفَ وَهْوَ مُثَلَّمُ[(٤)]

وَلِكلِّ بَكْرِىٍّ إلَىَّ عَدَاوَةٌ وَأَبُو رَبِيعَةَ شَانِئٌ وَمُحَلَّمُ

(١) هو أبو سريح عمرو بن امرىء القيس أحد بنى الحارث بن الخزرج وهو جد عبد الله بن رواحة . كان من حكام العرب وقضاتهم ، وكان شاعرا مقلا ، يخاطب بهذا الشعر مالك بن العجلان حين رد قضاءه فى إحدى وقائع الاوس والخزرج فى الجاهلية

(٢) أراد أن يقول : نحن بما عندنا راضون وأنت بما عندك راض فكف عن خبر الاول إذ كان فى الآخر معناه

(٣) كان بالاصول : حميصة . والصواب ما اثبتناه عن ابن دريد والصاغانى . وهو حميصة بن جندل الشيبانى شاعر من فصحاء الشعراء بالجاهلية

(٤) النثرة : الدرع الجيدة النسج

فكان هذا من شأنهم ، وربما مع ذلك أعلم الفارسُ منهم نفسه بِسِيما ، وكان حَمْزَةُ(١) يوم بدر معلماً بريشة نعامة حمراء ، وكان الزُّبَيْرُ(٢) معلماً بعمامة صفراء ، ولذلك قال دِرْهَمُ بن زيد :(٣)

إنَّكَ لاقٍ غداً غُواة بنى المَلْـكاء فانظُرْ ما أنتَ مُزْدَهِفُ(٤)

يَمْشُونَ فى البَيْضِ وَالدُّرُوعِ كما تَمْشِى جِمالٌ مَصاعِبٌ قُطُفُ(٥)

فأبْدِ سِيماكَ يَعْرِفُوكَ كما يُبْدُونَ سِيماهُمْ فتَعْتَرِفُ(٦)

وكان المُقَنَّعُ الكندى الشاعر واسمه «مُحَمَّدُ بن عُمَيْرٍ»(٧) كان الدهر مقنعاً والقناع من سيما الرؤساء ، والدليل على ذلك والشاهد الصادق والحجة القاطعة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لايكاد يُرى إلا مقنعاً ، وجاء فى الحديث «حتى كأن الموضع الذى يصيب رأسه من ثوبه ثوب دهان» وكان «المُقَنَّعُ»(٨)

---

(١) هو حمزة بن عبد المطلب

(٢) هو الزبير بن العوام

(٣) عند ابى الفرج ان اسمه درهم بن يزيد بن ضبيعة الأوسى . من شعراء الجاهلية

(٤) رواية الأغانى : غواة بنى عمى . مزدهف : مقتحم ومقدم عليه من الشر

(٥) البيض : الخوذ التى تلبس على الرؤس للوقاية فى الحرب . المصاعب : الفحول من الابل لم تمكن احدا من ركوبها وتذليلها . القطف : التى فى مشيها تثاقل وفى خطوها قطف . وبعده ، ويروى لمالك بن العجلان :

كما تمشى الأسود فى رهج المـوت إليه وكلهم لهف

(٦) يقول ذلك لمالك بن العجلان لأنه كان إذا شهد الحرب غير لباسه وتنكر لئلا يعرف فيقصد . فالشاعر يعيره بذلك

(٧) هو محمد بن ظفر بن عمير المقنع الكندى . ولقب بالمقنع لأنه فيما زعموا كان اجمل الناس وجها وامدهم قامة واكملهم خلقا ، وزعموا انه كان إذا سفر اللثام اصابته العين فيمرض ويلحقه عنت ولذلك لم يكن يمشي إلا مقنعا . وهو شاعر مقل مجيد من شعراء الدولة الأموية ، وكان سريا فى قومه سيدا فى عشيرته

(٨) هو المقنع الخراساني واسمه عطاء من اهل مرو من قرية كره . كان مشوه الخلق اعور قصيرا ، وكان فى اول امره قصارا ، ثم عرف الشعبذة والنيرنجيات فاستغوى العامة وجمع منهم جموعا وخرج على الدولة مدعيا النبوة ثم الالوهية . وكانت له حيل يستهوى بها الناس وان الله حل فيه . فسير المهدى اليه الجيوش فحاصرته فى قلعته . فسقى اهله السم فماتوا عن آخرهم ثم اشعل النار فى القلعة والقى نفسه فيها فمات سنة ١٦٣هـ

الذى خرج بخراسان يدعى الربوبية لا يدع القناع في حال من الحالات ، وجهل ادعاء الربوبية من جهة المناسخة فادعاها من الوجه الذى لا يختلف فيه الأحمر والاسود والمؤمن والكافر أن باطله مكشوف كالنهار لا يعرف فى شىء من الملل والنحل القول بالتناسخ إلا من هذه الفرقة من الغالية ، وهذا « المقنع » كان قصاراً من أهل مرو ، وكان أعور ألكن ، فما أدرى أيهما أعجب . أدعواه بأنه رب ، أو إيمان من آمن به وقاتل دونه ؟ وكان اسمه عطاء . وقال الآخر :

إِذَا المَرْءُ أَثْرَى ثُمَّ قَالَ لِقَوْمِهِ ... أَنَا السَّيِّدُ المُفْضَى إِليهِ المُعَمَّمُ
وَلَمْ يُعْطِهِمْ شيئاً أَبَوْا أَنْ يَسُودَهُمْ ... وَهَانَ عَلَيْهِمْ زَعْمُهُ وَهوَ أَلْوَمُ (١)

وقال آخر :

إِذَا كَشَفَ اليَوْمُ العَمَاسُ مِنَ اسْتِهِ ... فَلاَ يَرْتَدِى مِثْلِى وَلاَ يَتَعَمَّمُ (٢)

قالوا . وكان «مُصْعَبُ بنُ الزُّبَيْرِ» يتعمم العقداء،وهو أن يعقد العمامة فى القفاء. وكان « محمدُ بنُ سَعْدِ بنِ أَبِى وَقَّاصٍ » الذى قتله الحجاج يعتم الميلاء . وقال الفَرَزْدَقُ :

وَلَوْ شَهِدَ الخيلَ ابنُ سَعْدٍ لَقَنَّعُوا ... عِمَامَتَهُ المِيلاَءَ عَضْباً مُهَنَّدَا

وقال شَمْعَلَةُ بنُ أَخْضَرَ الضَّبى :

جَلَبْنَا الخَيْلَ مِنْ أَطْرَافِ فَلْجٍ ... تَرَى فِيهَا مِنَ الغَزْوِ ازْوِرَارَا (٣)
بِكُلِّ طِمِرَّةٍ وَبِكُلِّ طِرْفٍ ... يَزِينُ سَوَادُ مُقْلَتِهِ العِذَارَا (٤)
حَوَالَى عَاصِبٍ بِالتَّاجِ مِنَّا ... جَبِينَ أَغَرَّ يَسْتَلِبُ الدُّوَارَا
رَئِيسٌ مَا يُنَازِعُهُ رَئِيسٌ ... سِوَى ضَرْبِ القِدَاحِ إِذَا اسْتَشَارَا

وأنشد :

---

(١) يعنى ان اللوم واقع عليه إذا استهانوا بشأنه
(٢) يوم العماس : يوم الشدة
(٣) اطراف فلج : طريق بين البصرة واليمامة . الازورار : التغير والضمور
(٤) الطمرة : الفرس الخفيفة العدو والوثب . والطرف : الفرس الكريم

إذا لَبِسُوا عمائِمَهُمْ طوَوْها — عَلَى كَرَمٍ وإنْ سَفَرُوا أنارُوا
يَبيعُ ويَشْتَرِى لَهُمُ سِواهُمْ — ولَكِنْ بالطِّعانِ هُمُ تِجارُ
إذا ما كُنْتَ جارَ بَنِى لُؤَيٍّ — فأنتَ لأكْرَمِ الثَّقَلَيْنِ جارُ

وأنشد :

ودَاهِيَةٍ جَرَّهَا جارِمٌ — جَعَلْتَ رِدَاءَكَ فِيهَا خِمارَا

ولذكر العمائم مواضع ، قال يزيد بن كثوة العنبرى :(١)

مَنَعَتْ مِنَ العُهَّارِ أطْهارَ أُمِّهِ — وَبَعْضُ الرِّجالِ المُدَّعِينَ زَنَاءُ
فَجَاءَتْ بِهِ عَبْلَ القَوامِ كَأَنَّمَا — عِمَامَتُهُ فَوْقَ الرِّجالِ لِوَاءُ

لأن العمامة ربما جعلوها لواء ، ألا ترى أن « الأحْنَفَ بنَ قَيْسٍ » يوم « مَسْعُودِ بنِ عَمْرٍو » حين عقد « لِعَبْسِ بنِ طَلْقٍ » اللواء إنما نزع عمامته من رأسه فعقدها له ؟ وربما شدوا بالعمائم أوساطهم عند المجهدة واذا طالت العقبة ، ولذلك قال شاعرهم :

فَسِيرُوا فقَدْ جَنَّ الظَّلامُ عَلَيْكُمُ — فَبَاسْتِ الَّذِى يَرْجُو القِرَى عِنْدَ عَاصِمِ
دُفِعْنَا إِلَيْهِ وَهْوَ كَالذِّيخِ خَاطِياً — نَشُدُّ عَلَى أَكْبَادِنَا بِالعَمَائِمِ(٢)

وقال الفَرَزْدَقُ :

بَنِى عَاصِمٍ إنْ تَلْحَبُوهَا فإنَّكُمْ — مَلاجِى لِلسَّوْآتِ دُسْمُ العَمَائِمِ

وقال آخر :

خَلِيلَىَّ شُدَّا لِى بِفَضْلِ عِمَامَتِى — عَلَى كَبِدٍ لَمْ يَبْقَ إلَّا صَمِيمُهَا

قولهم فى النعال

ألعرب تلهج بذكر النعال ، والفُرس تلهج بذكر الخفاف ، وفى الحديث المأثور أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا ينهون نساءهم عن لبس

(١) راجع ص ١٤٦ من الجزء الاول
(٢) الذيخ : ذكر الضباع

الخفاف الحمر والصفر ، ويقولون: هو من زينة نساء آل فرعون . وأما قول شاعرهم :

إِذَا اخضرَّتْ نِعَالُ بنى غُرَابٍ … بَغَوْا وَوَجَدْتَهُمْ أَشْرَى لِئَامَا

لم يُرِدْ صفة النعل وإنما أراد بأنهم إذا اخضرت الأرض وأخصبوا طغوا وبغوا ، كما قال الآخر :

وَأَطْوَلُ فى دَارِ الحِفَاظِ إِقَامَةً … وَأَوْزَنُ أَحْلَامًا إِذَا النَّعْلُ أَخْضَلَا(١)

ومثل قوله :

يا بْنَ هِشَامٍ أَهْلَكَ النَّاسَ اللَّبَنْ … فَكُلُّهُمْ يَسْعَى بِسَيْفٍ وَقَرَنْ

وأما قول الآخر :

وَكَيْفَ أُرَجِّى أَنْ أَسُودَ عَشِيرَتِى … وَأُمِّى مِنْ سَلْمَى أَبُوهَا وَخَالُهَا

رَأَيْتُكُمُ سُودًا جِعَادًا وَمَالِكٌ … مُخَصَّرَةٌ بِيضٌ سِبَاطٌ نِعَالُهَا

فلم يذهب إلى مدح النعال فى أنفسها وإنما ذهب إلى سباطة أرجلهم وأقدامهم ونفى الجعودة والقصر عنهم ، وقال النابغة [الذبيانى](٢)

رِقَاقُ النِّعَالِ طَيِّبٌ حُجُزَاتُهُمْ … يُحَيَّوْنَ بِالرَّيْحَانِ يَوْمَ السَّبَاسِبِ

يَصُونُونَ أَجْسَادًا قَدِيمٌ نَعِيمُهَا … بِخَالِصَةِ الأَرْدَانِ خُضْرِ المَنَاكِبِ

قال : وبنو الحارث بن سدوس لم ترتبط حماراً قط ولم تلبس نعلا قط إذا نقبت ، وقد قال قائلهم :

وَنُلْقِى النِّعَالَ إِذَا نُقِّبَتْ … وَلَا نَسْتَعِينُ بِأَخْلَاقِهَا

وَنَحْنُ الذُّؤَابَةُ مِنْ وَائِلٍ … إِلَيْنَا تُمَدُّ بِأَعْنَاقِهَا

وهم رهط «خَالِدِ بْنِ مُعَمَّرٍ» يقول فيه شاعرهم :

مُعَاوِىَ أَمِّرْ خَالِدَ بْنَ مُعَمَّرٍ … فَإِنَّكَ لَوْلَا خَالِدٌ لَمْ تُؤَمَّرِ

---

(١) دار الحفاظ : يريد بها دار الحرب

(٢) راجع ص ٢٧٥ من الجزء الثانى

وقائلهم يقول :

أغاضِبةٌ عمرُو بنُ شيبانَ أنْ رأتْ عديدَين مِنْ جُرثومةٍ ودَخِيس (١)

فلوْ شاءَ ربّى كانَ أيرُ أبيكمُ طويلاً كأيْرِ الحارثِ بنِ سدوس

وكان عمر رضى الله تعالى عنه جعل رياسة بكر لمجزأة بن ثور فلما استشهد مجزأة جعلها أبو موسى لخالد بن المعمَّر ، ثم ردها عثمان على شقيق بن مجزأة بن ثور ، فلما خرج أهل البصرة إلى صِفّين تنازع شقيق وخالد الرياسة فصيرها عند ذلك علىٌّ إلى حُضَين بن المنذر فرضى كل واحد منهما ، وكان يخاف أن يصيرها إلى خصمه ، فسكنت بكر وعرف الناس صحة تدبير على رضى الله تعالى عنه فى ذلك.

وأما قول الآخر :

يا ليتَ لى نعلَينِ من جلدِ الضبُعْ وشُرُكاً من استِها لا تنقطِعْ

كلَّ الحِذاءِ يحتذى الحافى الوَقِعْ

فهذا كلام محتاج ، والمحتاج يتجوز، أما قول « النجاشى » (٢) لهند بن عاصم :

إذا اللهُ حيّا صالحًا من عبادِهِ كريمًا فحيّا اللهُ هندَ بنَ عاصمِ

وكلُّ سلولىٍّ إذا ما لقيتَهُ سريعٌ إلى داعى الندى والمكارمِ

ولا يأكلُ الكلبُ السَّروقُ نعالَهمْ ولا تنتقى المخَّ الذى فى الجماجمِ

فقال يونس : كانوا لا يأكلون الأدمغة ولا ينتعلون إلا بالسبت . وقال كثير :

إذا انُبِذَتْ لمْ تَطَّبِ الكلبَ ريحُها وإنْ وُضِعتْ فى مجلسِ القومِ شُمَّتِ

وقال عُيَيْنةُ بن مرداس (٣) وهو ابن فَسْوة :

(١) الجرثومة : الاصل . الدخيس : العدد الكثير

(٢) مضت ترجمته فى ص ٢٠٢ من الجزء الاول

(٣) فى بعض الاصول : قتيبة بن الحرث . وفى بعضها : عتيبة بن الحارث ، وكله خطأ . والصواب ما اثبتناه . وهو عيينة بن مرداس السلمى . وكان من الشعراء المقلين قال الشعر فى الجاهلية وادرك الاسلام وطال عمره . وكان هجاء خبيث اللسان يخشى معرة القول . وهذا البيت من قصيدة يهجو بها عبد الله بن عباس وكان يلى البصرة لعلى بن ابى طالب ويمدح بها الحسن بن على وعبد الله بن جعفر وفيها يقول :

إلى مَعْشرٍ لا يَخْصِفُونَ نِعالَهُمْ　　وَلاَ يَلْبَسُونَ السِّبْتَ مالمْ يُخَصَّرِ

وإذا مدح الشاعر النعال بالجودة فقد بدأ يمدح لابسها قبل أن يمدحها .

قال الله تبارك وتعالى لموسى عليه السلام « إخلعْ نعليكَ إنكَ بالوادي المقدَّسِ طُوَى » وقال بعض المفسرين : كان من جلد غير ذكى . وقال الزبيرى : ليس كما قال بل أعلمه حق المقام الشريف والمدخل الكريم ، ألا ترى أن الناس إذا دخلوا إلى الملوك ينزعون نعالهم خارجاً ! قال : وحدثنا سَلاَّمُ بنُ مِسْكِينٍ قال : ما رأيت الحسن [1] إلا وفى رجليه النعل ، رأيته على فراشه وهى فى رجليه ، وفى مسجده وهو يصلى وهى فى رجليه . وكان بَكْرُ بنُ عَبدِ الله تكون [2] نعله بين يديه فإذا نهض إلى الصلاة لبسها ، وروى ذلك عن عَمْرو بن عُبيد وهَاشِمٍ الأوقصِ وحوشب وكُلاب ، وعن جماعة من أصحاب الحسن . وكان الحسن يقول : ما أعجب قوماً يرون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى فى نعليه فلما انفتل من الصلاة علم أنه قد كان وطئ على كذا وكذا ، وأشباهاً لهذا الحديث ، ثم لا نرى أحداً منهم يصلى منتعلا ! وأما قوله :

قَامَ بَنَاتِي بِالنِّعَالِ حَوَاسِراً　　وَأَلْصَقْنَ وَقْعَ السِّبْتِ تَحْتَ الْقَلاَئِدِ

فان النساء دوات المصائب إذا قعدن فى المناحات كن يضربن صدورهن بالنعال .

وقال محمد بن يسير : [3]

كَمْ أَرَى مِنْ مُسْتَعْجِبٍ مِنْ نِعَالٍ　　وَرِضَائِي مِنْهَا بِلُبْسِ الْبَوَالِي

كُلُّ جَرْدَاءَ قَدْ تَحَيَّفَهَا الْخَصْـ　　ـفُ بِأَقْطَارِهَا بِسَرْوِ النِّعَالِ

لاَ تُدَانِي وَلَيْسَ تُشْبِهُ فى الْخِلْـ　　ـقَةِ إِنْ أَبْرَزَتْ نِعَالَ الْمَوَالِي

فليت قلوص عريت اورحلتها　　إلى حسن في داره وابن جعفر
إلى ابن رسول الله يأمر بالتقى　　وللدين يدعو والكتاب المطهر

إلى معشر ، البيت

(١) هو الحسن البصرى

(٢) مضت ترجمته فى ص ٩٧ من الجزء الاول

(٣) مضت ترجمته فى ص ٦٩ من الجزء الاول

لَا وَلَا عَنْ تَقَادُمِ الْعَهْدِ مِنْهَا ... بَلِيَتْ لَا وَلَا لِكَرِّ اللَّيَالِي
وَلَقَدْ قُلْتُ حِينَ أُوثِرُ ذَا الوُدِ ... دِ عَلَيْهَا بِثَرْوَتِي وَبِمَالِي
مَنْ يُغَالِي مِنَ الرِّجَالِ بِنَعْلٍ ... فَسِوَائِي إِذًا بِهِنَّ يُغَالِي
أَوْ يَعُدُّهُنَّ لِلْجَمَالِ فَإِنِّي ... فِي سِوَاهُنَّ زِينَتِي وَجَمَالِي
فِي إِخَائِي وَفِي وَفَائِي وَرَأْيِي ... وَعَفَافِي وَمَنْطِقِي وَفَعَالِي
مَا وَقَانِي الحفَا وَبَلَّغَنِي الحَا ... جَةَ مِنْهَا فَإِنَّنِي لَا أُبَالِي

وقال خلف الاحمر : (١)

سَقَى حُجَّاجَنَا نَوْءُ الثُّرَيَّا ... عَلَى مَا كَانَ مِنْ مَطْلٍ وَبُخْلِ
هُمُ جَمَعُوا النِّعَالَ فَأَحْرَزُوهَا ... وَسَدُّوا دُونَهَا بَابًا بِقُفْلِ
إِذَا أَهْدَيْتُ فَاكِهَةً وَشَاةً ... وَعَشْرَ دَجَائِجٍ بَعَثُوا بِنَعْلِ
وَمِسْوَاكَيْنِ طُولُهُمَا ذِرَاعٌ ... وَعَشْرٍ مِنْ رَدِيِّ المُقْلِ خَشْلِ (٢)
فَإِنْ أَهْدَيْتُ ذَاكَ لِتَحْمِلُونِي ... عَلَى نَعْلٍ فَدَقَّ اللهُ رِجْلِي

وقال كثير : (٣)

كَأَنَّ ابْنَ لَيْلَى حِينَ يَبْدُو فَتَنْجَلِي ... سُجُوفُ الخِبَاءِ عَنْ مَهِيبٍ مُشَمَّتِ
مُقَارِبُ خَطْوٍ لَا يُغَيِّرُ نَعْلَهُ ... رَهِيفُ الشِّرَاكِ سَهْلَةُ المُتَسَمَّتِ
إِذَا طُرِحَتْ لَمْ تَطَّبِ الكَلْبَ رِيحُهَا ... وَإِنْ وُضِعَتْ فِي مَجْلِسِ القَوْمِ شُمَّتِ

وقال بشار : (٤)

إِذَا وُضِعَتْ فِي مَجْلِسِ القَوْمِ نَعْلُهَا ... تَضَوَّعَ مِسْكًا مَا أَصَابَتْ وَعَنْبَرَا

ولما قال على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه لصعصعة بن صُوحان فى المنذر بن الجارود ما قال ، قال صعصعة : يا أمير المؤمنين ، لئن قلت ذاك إنه لنظار فى عطفيه

(١) مضت ترجمته فى ص ١٢٠ من الجزء الاول
(٢) المقل: ثمر الدوم . الخشل : اليابس منه
(٣) مضت ترجمته فى ص ١٥٦ من الجزء الثانى
(٤) مضت ترجمته فى ص ١٨ من الجزء الاول

تفال فى شراكيه ، تعجبه حمرة برديه . وذم رجل ابن التوام فقال : رأيته مشحم النعل درن الجورب مغضن الخف ، دقيق الجُربَّان . وقال الهيثم : يمين لا يحلف بها الاعرابى أبداً ، أن يقول : لا أورد الله لك صادراً ولا أصدر لك وارداً ، ولا حططت رحلك ولا خلعت نعلك . وقال آخر :

عَلِقَ الفُؤادُ بِرَيِّقِ الجَهْلِ ... وَأَبَرَّ وَاسْتَعْصَى عَلَى الأَهْلِ (١)
وَصِبَا وَقَدْ شَابَتْ مَفَارِقُهُ ... سَفَهاً وَكَيفَ صَبَابَةُ الكَهْلِ
أَدْرَكْتُ مُعْتَصِرِى وَأَدْرَكَنِى ... حِلْمِى وَيَسَّرَ قَائِدِى نَعْلِى (٢)

ثم رجع الكلام الى القول فى العصا

قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فى تعظيم شأن عصا موسى عليه السلام : الدابة ينشق عنها الصفا معها عصا موسى وخاتم سليمان ، تمسح المؤمن بالعصا وتختم الكافر بالخاتم .(٣) وجعل الله تبارك وتعالى أكبر آداب النبى صلى الله عليه وسلم فى السواك وحض عليه صلى الله عليه وسلم . والمسواك لا يكون إلا عصا . وقال أبو الوجيه : قضبان المساويك : البشام والضرو والعتم والأراك والعرجون والجريد والإسحِل .

تخالف الناس فى صنوف اللباس

وقد يلبس الناس الخفاف والقلانس فى الصيف كما يلبسونها فى الشتاء إذا دخلوا على الخلفاء وعلى الامراء وعلى السادة والعظماء ، لأن ذلك أشبه بالاحتفال وبالتعظيم والاجلال ، وأبعد من التبذل والاسترسال ، وأجدر أن يفصلوا بين مواضع أنسهم فى منازلهم ومواضع انقباضهم .

(١) ريق الجهل : اول الشباب وعدم استحكام العقل . وابر : زاد
(٢) المعتصر : الشيخوخة والهرم
(٣) يريد بالدابة تلك التى وردت فى الاساطير بأنها تخرج عند اقتراب الساعة اى عند انتهاء الحياة الدنيا

وللخلفاء عمة ، وللفقهاء عمة ، وللبقالين عمة ، وللاعراب عمة ، وللصوص عمة ، وللابناء عمة ، وللروم والنصارى عمة ، ولأصحاب التشاجى عمة (١) . ولكل قوم زى : فللقضاة زى ، ولأصحاب القضاة زى ، وللشرط زى ، وللكتاب زى ، ولكتاب الجند زى ، ومن زيهم أن يركبوا الحمير وإن كانت الهماليج (٢) لهم معرضة. وأصحاب السلطان ومن دخل الدار على مراتب : فمنهم من يلبس المبطنة، ومنهم من يلبس الدُّراعة ، ومنهم من يلبس القَباء ، ومنهم من يلبس الباز بكند ويعلق الخنجر ويأخذ الجرز ويتخذ الجمة .

وزى مجالس الخلفاء فى الصيف القطن وفى الشتاء فُرُش الصوف وترى أن ذلك أجزل وأكمل وأفخم وأقبل ، ولذلك وضعت ملوك العجم على رؤسها التيجان وجلست على الأسرة وظاهرت بين الفرش ، وهل يملأ عيون الأعداء ويرعب قلوب المخالفين ويحشو صدور العوام إفراط التعظيم وتعظيم شأن السلطان والزيادة فى الأقدار إلا الآلات ؟ وهل دواؤهم إلا فى التهويل عليهم ؟ وهل يصلحهم إلا إخافتك إياهم ؟ وهل ينقادون لما فيه الحظ لهم ويسلمون بالطاعة التى فيها صلاح أمورهم إلا بتدبير يجمع المحبة والمهابة ؟

وكانت الشعراء تلبس الوشى والمقطعات والأردية السود وكل ثوب مُشهَّر ، وقد كان عندنا منذ نحو من خمسين سنة شاعر يتزيا بزى الماضين ، وكان له بُرد أسود يلبسه فى الصيف والشتاء فهجاه بعض الطياب من الشعراء، فقال فى قصيدة له:

بِعْ بُرْدَكَ الأسْوَدَ قَبْلَ البَرْدِ فِى قِرَّةٍ تأْتِيكَ صَمًّا صَرْدِ (٣)

وكان لجرُبّانِ قميص بشار الأعمى وجبته لَبِنَتَانِ (٤) فكان إذا أراد نزع شىء منهما أطلق الأزرار فسقطت الثياب على الأرض ولم ينزع قميصه من جهة رأسه قط

(١) المراد بكلمة «عمة» فى كل هذا هيئة الإعتمام

(٢) الهماليج : البراذين

(٣) القرة : البرد . صماصرد : شديدة البرودة

(٤) اللبنة : بنيقة القميص

« وقدويه العدوى الشحَّاجى » لم يلبس قميصاً قط وهو اليوم حى وهو شيخهم ، وسعيد بن العاص الجواد الخطيب لم ينزع قميصه قط . فقدويه الشحاجى ضد سعيد ابن العاص الأموى . وقال الحطيئة :

سَعِيدٌ فلاَ تَغْرُرْكَ قِلَّةُ لَحْمِهِ　　تَخَدَّدَ عَنْهُ اللَّحْمُ وَهُوَ صَلِيبُ[(١)]

وكان شديد السواد نحيفا :

ومن شأن المتكلمين أن يشيروا بأيديهم وأعناقهم وحواجبهم ، فاذا أشاروا بالعصا فكأنهم قد وصلوا بأيديهم أيديا أخر ، ويدلك على ذلك قول الأنصارى[(٢)] حيث يقول :

وَسَارَتْ لَنَا سَيَّارَةٌ ذَاتُ سُؤْدُدٍ　　بِكُومِ الْمَطَايَا وَالْخُيُولِ الْجَمَاهِرِ
يَؤُمُّونَ مُلْكَ الشَّامِ حَتَّى تَمَكَّنُوا　　مُلوكًا بِأَرْضِ الشَّامِ فَوْقَ الْمَنَابِرِ
يُصِيبُونَ فَصْلَ الْقَوْلِ فى كُلِّ خُطْبَةٍ　　إِذَا وَصَلُوا أَيْمَانَهُمْ بِالْمَخَاصِرِ

وقال الكميت بن زيد :[(٣)]

وَنَزُورُ مَسْلَمَةَ الْمُهَذَّ　　بَ بِالْمُؤَبَّدَةِ السَّوَائِرْ
بِالْمُذْهَبَاتِ الْمُعْجِبَا　　تِ لِمُفْحَمٍ مِنَّا وَشَاعِرْ
أَهْلِ التَّجَاوُبِ فى الْمَحَا　　فِلِ وَالْمَقَاوِلِ بِالْمَخَاصِرِ

وأيضا إن حمل العصا والمخصرة دليل على التأهب للخطبة والتهيؤ للاطناب والاطالة وذلك شىء خاص فى خطباء العرب ومقصور عليهم ومنسوب إليهم حتى إنهم ليذهبون فى حوائجهم والمخاصر فى أيديهم اتقاء وتوقعاً لبعض ما يوجب حملها والاشارة بها . وعلى ذلك المعنى أشار النساء بالمآلى[(٤)] وهن قيام فى المناحات ، وعلى ذلك المثال ضربن الصدور بالنعال . وإنما يكون العجز والذلة فى دخول

(١) تخدد : ضمر وهزل ، وفى نسخة : تخدر ، وهو خطأ
(٢) راجع ص ٣٦ و ص ٢٨٦ من الجزء الاول
(٣) راجع ص ٢٨٦ من الجزء الاول
(٤) المآلى : الخرق

الخلل والنقص على الجوارح ، فأما الزيادة فيها فالصواب فيه ، وهل ذلك إلا كتعظيم كور العمامة واتخاذ القضاة القلانس العظام فى حمارّة القيظ واتخاذ الخلفاء العمائم على القلانس ! فان كانت القلانس مكشوفة زادوا فى طولها وحدة رؤسها حتى تكون فوق قلانس جميع الامة ، وكذلك القناع لأنه أهيب .

وعلى ذلك المعنى كان يتقنع « العباسُ بنُ محمد » و « عبدُ الملك بن صالح » و « العباسُ بنُ موسى » وأشباههم و « سليمان بن أبى جعفر » و « عيسى بن أبى جعفر » و « إسحٰق بن عيسى » و « محمد بن سليمان » ثم « الفضل بن الربيع » و « السندي بن شاهك » وأشباههما من الموالى ، لأن ذلك أهيب فى الصدور وأجل فى العيون ، والمتقنع أروع من الحاسر لأنه إذا لم يفارقه الحجاب وإن كان ظاهراً فى الطرق وكان أشبه بعلانية العوام وسياسة الرعية ، وطرح القناع ملابسة وابتذال ومؤانسة ومقاربة .

والدليل على صواب هذا العمل من بنى هاشم ومن صنائعهم ورجال دعوتهم وأنهم قد علموا حاجة الناس إلى أن يهابوهم وأن ذلك هو صلاح شأنهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أكثر الناس قناعا .

والدليل على أن ذلك كان فى الأسلاف المتبوعين أنا نجد رؤساء جميع أهل الملل وأرباب النحل على ذلك ، ولذلك اتخذوا فى الحروب الرايات والأعلام ، وإنما ذلك كله خِرَقٌ سودٌ وحمرٌ وصفرٌ وبيضٌ ، وجعلوا اللواء علامة للعقد والعلَم فى الحروب مرجعا لصاحب الجولة ، وقد علموا أنها وإن كانت خرقاً على عصىٍّ أن ذلك أهيب فى القلوب وأهول فى الصدور وأعظم فى العيون ، ولذلك أجمعت الأمم رجالها ونساؤها على إطالة الشعور ، لأن ذا الجُمة أضخم هامة وأطول قامة والكاسى أفخم من العارى ، ولولا أن حلق الرأس طاعة وعبادة وتواضع وخضوع وكذلك السعى ورمى الجمار لما فعلوا ذلك ، وفى الحديث : إنه لا يفتح عَمُّورِيَةَ إلا رجال ثيابهم ثياب الرهبان وشعورهم شعور النساء . وكل

ما زادوه فى الابدان ووصلوه فى الجوارح فهو زيادة فى تعظيم تلك الابدان . والعصى والمخاصر ، مع الذى عددناه ومع الذى ذكرناه ونريد ذكره من خصال منافعها ، كله باب واحد فى المعنى .

والمغنى قد يوقِّع بالقضيب على أوزان الاغانى ، والمتكلم قد يشير برأسه ويده على أقسام كلامه وتقطيعه ، ففرقوا ضروب الحركات على ضروب الألفاظ وضروب المعانى ، ولو قبضت يده ومنع حركة رأسه لذهب ثلثا كلامه.

وقال عبد الملك بنُ مَرْوَانَ : لو ألقيت الخيزرانة من يدى لذهب شطر كلامى. وأراد معاويةُ سحبانَ وائل على الكلام ، وقد كان اقتضبه اقتضاباً ، فلم ينطق حتى أتوه بِمِخْصَرَةٍ فَرَطَلَهَا[1] بيده فلم تعجبه، حتى اتوه بمخصرته من بيته . والمثل المضروب بعصا الأعرج يقولون : أقرب من عصا الأعرج ، ويضربون المثل بعصا النَّهْدِىِّ ، وقال : عَلْقَمَةُ[1] فى صفة فرس أنثى :

سُلَاءَةٌ كَعَصَا النَّهْدِىِّ غُلَّ لَهَا ... مُنَظَّمٌ من نَوَى قُرَّانَ مَعْجُومُ[2]

ويضربون المثل بِرُمَيْحِ أبى سَعْدٍ ، وكان أبوسعد أعرج وفد فى وفد عَدْوَانَ.

قال ذُو الإصبع العَدوانى :

إنْ تَكُنْ شِكَّتى رُمَيْحَ أبى سَعْـــدٍ فَقَدْ أَحْمِلُ السِّلَاحَ مَعاً

وقال عباس بن مرداس :

جَزَى اللهُ خَيْرًا خَيْرَنا لِصَدِيقِهِ ... وَزَوَّدَهُ زَادًا كَزَادِ أبى سَعْدِ
وَزَوَّدَهُ صِدْقًا وَبِرًّا وَنَائِلاً ... وَمَا كَانَ فى تِلْكَ الوِفَادَةِ مِنْ حَمْدِ

وقال آخر :

فَآبَ بِجَدْوَى زَامِلٍ وَابْنُ زَامِلٍ ... عَدُوُّكَ أوْجَدْوَى كُلَيْبِ بنِ وائل

ويقولون : لو كان فى العصا سير ؟ ويقولون : ما هو إلا أُبنة عصا ، وعقدة رشا

(١) رطلها : وزنها
(٢) هو علقمة بن عبدة الفحل
(٣) فى الديوان : غل لها ذو فيئة

ويقولون : أخرج عوده كعصا البقار . وأخرج عوده كعصا الحادى .

وكان أبو العتَاهيَة أهدى إلى أمير المؤمنين المأمون عصا نبع وعصا شريان وعصا أبنوس وعِصِيّاً أخرى كريمة العيدان شريفة الأغصان وأردية قطرية ورِكاء يمانية ونعالا سِبتية ، فقبل من ذلك عصا واحدة ورد الباقى ، و بعث إليه مرة أخرى بنعل وكتب اليه :

نَعْلٌ بَعَثْتُ بها لِتَلْبَسَها ... تَسْعَى بها قدمٌ إلى المجدِ
لَوْ كُنْتُ أَقْدِرُ أَنْ أُشَرِّكَها ... خَدِّى جعلتُ شِراكَها خَدِّى

فقبلها .

عن ابن عباس أن الشجرة التى نودى منها موسى عليه السلام هى عوسج ، وأنه نودى من جوف العوسج ، وأن عصاه كانت من آس الجنة ، وأنها كانت من العود الذى فى وسط الورقة ، فكان طولها طول موسى عليه السلام . وقالوا: من العليق . وقال آخر :

صَفْرَاءُ مِنْ نَبْعٍ كَلَوْنِ الوَرْسِ ... أَبْدَأُها بالدُّهْنِ قَبْلَ نَفْسِى

وأنشد الأصمعى عن بعض الاعراب :

ألا قالتِ الخنساءُ يَوْمَ لَقِيتُها ... كَبِرْتَ ولم تجزعْ من الشَّيْبِ مَجْزَعا
رَأَتْ ذا عَصاً يمشِى عليها وشَيْبةً ... تَقَنَّعَ مِنها رَأْسُهُ ما تَقَنَّعا
فَقُلْتُ لها لا تَهْزَئى بى فَقَلَّما ... يَسُودُ الفَتَى حتى يَشِيبَ ويَصْلَعا
وللقارحُ اليَعْبُوبُ خيرٌ علالَةً ... مِنَ الجَذَعِ المُجْرَى وأبعدُ منزَعا[1]

وقال إسحق بن سويد :

فى رِداءِ النبىِّ أقوى دليلٍ ... ثمَّ فى العقبِ والعصا والقضيبِ

(١) القارح اليعبوب : الكبير القوي . الجذع المجري : الفتى المزيل

وقال أبو الشيص الأعمى (١) فى هرون الرشيد :

يا بنى هاشم أفيقوا فإنّ الـملك منكم حيث العصا والرداء
ما لهرون فى قريش كفاء وقريش ليست لهم أكفاء

وقال الآخر:

على خشبات الملك منه مهابة وفى الحرب عبل الساعدين قروع
يشق الوغى عن رأسه فضل نجدة وأبيض من ماء الحديد وقيع

ومما يجوز أيضا فى العصا قول أبى الشيص :

أنعى فتى الجود إلى الجود ما مثل من أنعى بموجود
أنعى فتى مص الثرى بعده بقية الماء من العود

ومن هذا الباب قول عبد الله بن جدعان : (٢)

فلم أر مثلهم حيين أبقى على الحدثان إن طرقت طروقا
وأصبر عند ضنك الأمر منهم وأسلكهم لأحزنه طريقا (٣)
شريت صلاحهم بتلاد مالى فعاد الغصن معتدلا وريقا

ويقولون للرجل إذا أفاد وأثرى وكثرت نعمته : ضع عصاك ، وقد وضع عصاه . وقال أبو الأعور سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل : (٤)

(١) هو محمد بن رزين بن سليمان أبو الشيص الخزاعي ، وهو عم دعبل بن علي الشاعر المشهور . كان شاعرا مجيدا يعد من طبقة مسلم بن الوليد وأشجع السلمى وأبي نواس ، وكان منقطعا إلى عقبة ابن جعفر الخزاعي أمير الرقة . أغناه عقبة عن الناس فصرف أكثر شعره إلى مدحه . قال أبو خالد العامري : من أخبرك انه كان فى الدنيا اشعر من ابي الشيص فكذبه ، والله لكان الشعر اهون عليه من شرب الماء على العطشان . قلت : وانا لا تعجبنى هذه الاحكام ولا اعنى بمن يصدرها لما فيها من المجازفة وعدم الاتزان والتقدير وخلوها من البرهان الذى يشد ازرها ويقيم اودها . قيل إن ابا الشيص كف بصره فى اواخر عمره ومات مقتولا بيد غلام سنة ١٩٦ هـ

(٢) مضت ترجمته فى ص ٣١ من الجزء الأول

(٣) ضنك الامر : شدته . واحزنه : صعوبته

(٤) كان سعيد من السابقين الاولين فى الاسلام . وكان إسلام عمر فى بيته لأنه كان زوج اخته فاطمة . وكان شاعرا بليغا . توفى عن ٧٣ سنة فى سنة ٥١ هـ وهو احد العشرة الكرام

وتَجُرَّا الأذْيَالَ فى نِعْمَةٍ زَوْ ل تَقُولاَن: ضَعْ عَصَاكَ لِدَهْرِ (١)

ويقولون للمستوطن فى البلد والمستطيب للمكان: قد ألقى عصاه. وقال زُهير ابن أبى سُلمى: (٢)

فلمّا وَرَدْنَ الماءَ زُرْقاً جِمَامُهُ وضَعْنَ عُصِيَّ الحَاضِرِ المُتَخَيِّمِ (٣)

(١) هذا البيت من ابيات اوردها الجاحظ فى ص ١٩٩ من الجزء الاول. وهنا اقول: إن صاحب الاغانى قد نسب هذه الابيات إلى منبه بن الحجاج السهمى وكان من شعراء قريش وقتل يوم بدر، وقد نسبها الزمخشرى عن ابن الأعرابى إلى ابيه زيد بن عمرو بن نفيل. ويجب ان يصحح البيت الرابع هناك هكذا:

وتري اعبد لنا وإماء ومناصيف من خوادم عشر

(٢) مضت ترجمته فى ص ١٠٤ من الجزء الاول

(٣) زرقا جمامه: صاف ماؤه على كثرته لم يكدره وارد قبلهن وهذا البيت من معلقته المشهورة

كتاب الزهد

بسم الله الرحمٰن الرحيم

نبدأ باسم الله وعونه بشىء من كلام النساك فى الزهد ، وبشىء من ذكر أخلاقهم ومواعظهم .

الحسن [١] قال : لاتزول قدما ابن آدم حتى يُسأل عن ثلاث : شبابه فيم أبلاه وعمره فيم أفناه ، وماله من أين كسبه وفيم أنفقه . وقال يونس بنُ عُبيد : سمعت ثلاث كلمات لم أسمع بأعجب منهن ، قول حسان بن أبى سنان : ما شىء أهون من ورع ، إذا رابك أمر فدعه ، وقول ابن سِيرين : ماحسدت أحداً على شىء قط ، وقول مُوَرِّق العجلى [٢] لقد سألت الله حاجة منذ أربعين سنة ما قضاها ولا يئست منها ! فقيل لمؤرق : ما هى ؟ قال : ترك ما لا يعنينى . وقال أبو حازِم الأعرج [٢] إن عُوفينا من شر ما أُعطينا لم يُضرنا فقد ما زوى عنا . وقال أبو عبد الحميد : لم أسمع أعجب من قول عُمَر : لو أن الصبر والشكر بعيران ما باليت أيهما ركبت . وقال ابن ضُبارة : إنا نظرنا فوجدنا الصبر على طاعة [الله] أهون من الصبر على عذاب الله . وقال زِيادٌ [٤] عبدَ عياش بن أبى ربيعة : أنا من أن أُمنع الدعاء أخوف منى من أن أُمنع الإجابة . وقال له عمر بن عبد العزيز رحمه الله : يازياد ، إنى أخاف الله مما دخلت فيه . قال : لست أخاف عليك أن تخاف وإنما أخاف عليك أن لا تخاف . وقال بعض النساك : كفى موعظة أنك لا تموت إلا بحياة ولا تحيا إلا بموت ، وهو الذى قال : إصحب من ينسى معروفه عندك ،

---

(١) هو الحسن البصرى

(٢) مضت ترجمتهما فى ص ٢٨٢ من الجزء الاول

(٣) فى سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم : زياد مولى ابن عياش

وهو الذى قال : لا تجعل بينك و بين الله مُنعما وُعدّ النعم عنه عليك مَغرماً .

ودخل سالمُ بنُ عبدِ الله (١) مع هِشام بن عبد الملك البيتَ فقال له هشام : سلنى حاجتك ؟ قال : أكره أن أسأل فى بيت الله غير الله . وقيل لِرَابعة القيسية (٢) لو كلمنا رجال عشيرتك فاشتروا لك خادماً تكفيك مؤنة بيتك ! فقالت : والله إني لأستحى أن أسأل الدنيا من يملك الدنيا فكيف أسألها من لايملكها ؟ . وقال بعض النساك : ديارُكم أمامكم وحياتكم بعد موتكم . وقال السموأل بن عادياء اليهودى :

مَيْتاً خُلِقتُ ولم أكُنْ منْ قبلها شيئاً يموتُ فمتُّ حِينَ حَييتُ

وقال أبو الدرداء : كان الناس ورقاً لاشوك فيه وهم اليوم شوك لا ورق فيه . الحسن بن دينار ، قال : رأى الحسن رجلا يَكِيدُ (٣) بنفسه فقال : إنَّ أمراً هذا آخره لجدير أن يزهد فى أوله ، و إن أمراً هذا أوله لجدير أن يُخاف آخره . وقال أبو حازم : ألدنيا غرَّت أقواماً فعملوا فيها بغير الحق ففاجأهم الموت فخلفوا مالهم لمن لايحمدهم وصاروا إلى من لايعذرهم ، وقد خُلفنا بعدهم فينبغى لنا أن ننظر إلى الذى كرهناه منهم فنجتنبه و إلى الذى غبطناهم به فنستعمله . موسى بن داود رفع الحديث قال : ألنظر إلى خمسة عبادة : ألنظر إلى الوالدين والنظر إلى البحر والنظر إلى المصحف والنظر إلى الصخرة والنظر إلى البيت . عبد الله بن شداد (٤) قال : أربع من كُن فيه برىء من الكبر : من اعتقل البعير وركب الحمار ولبس الصوف وأجاب دعوة الرجل الدون .

وذُكر عند أنَسٍ الصوم فقال : ثلاث من أطاقهن فقد ضبط أمره : من تسحرَ ، ومن قال (٥) ومن أكل قبل أن يشرب وشرب ثم لم يأكل ، فقد ضبط نفسه . وقال الجماز (٦) ليس يقوى على الصوم إلا من كثر لَقْمُهُ وطاب أدْمُه

(١) هو سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب

(٢) مضت ترجمتها فى ص ٢٨٣ من الجزء الاول

(٣) يكيد بنفسه : يحتضر بالموت

(٤) مضت ترجمته فى ص ٢٠٦ من الجزء الثانى

(٥) قال ، من القيلولة : النوم فى الظهيرة

(٦) راجع ترجمته فى كتابنا « ادب الجاحظ »

مجالد بن سعيد عن الشعبي قال : حدثني مُرّة الهمداني ـ قال مجالد : وقد رأيته ـ وحدثنا اسماعيل بن أبي خالد أنه لم ير مثل مُرّة قط ، كان يصلي في اليوم والليلة خمسمائة ركعة ! وكان مرة يقول لما قُتل عثمان رضي الله تعالى عنه : حمدت الله ألا أكون دخلت في شيء من قتله ، فصليت مائة ركعة ، فلما وقع الجمل وصِفين حمدت الله ألا أكون دخلت في شيء من تلك الحروب ، وزدت مائتي ركعة ، فلما كانت وقعة النهروان حمدت الله إذ لم أشهدها ، وزدت مائة ركعة ، فلما كانت فتنة ابن الزُّبير حمدت الله إذ لم أشهدها وزدت مائة ركعة .

وأنا أسأل الله أن يغفر لمرة ، على أنا لا نعرف لبعض ما قال وجها ، لأنك لا تعرف فقيها من أهل الجماعة لايستحل قتال الخوارج كما أنا لا نعرف أحداً منهم لا يستحل قتال اللصوص ؛ وهذا ابن عمر وهو رئيس الحِلسية (١) وزعيمهم قد لبس السلاح لقتال نجدة (٢) وقيل لشريح : الحمد لله الذى سلمك من القتال في شيء من هذه الفتن ؛ قال : فكيف أصنع بقلبي وهواى ! وقال الحسن : قتل الناقة رجل واحد (٣) ولكن الله عم القوم بالعذاب لأنهم عموه بالرضا . وسئل عمر بن عبد العزيز عن قتلة عثمان وخاذليه وناصريه فقال : تلك دماء كف الله يدى عنها فانا أحب ألا أغمس لساني فيها . ودخل أبو الدرداء على رجل يعوده فقال : كيف تجدك ؟ قال : أفرق من الموت ! قال : فمن أصبت الخير كله ؟ قال : من الله . قال : فلم تفرق ممن لم تصب الخير كله إلا منه ؟ ! ولما قذف ابراهيم عليه السلام في النار قال له جبريل عليه السلام : ألك حاجة يا خليل الله ؟ قال : أما إليك فلا .

ورأى بعض النساك صديقاً له من النساك مهموماً فسأله عن ذلك فقال : كان عندي يتيم أحتسب فيه الأجر فمات ! قال : فاطلب يتيما غيره فان ذلك لايعدمك

---

(١) إبن عمر : هو عبد الله بن عمر بن الخطاب . رئيس الحلسية : يريد انه رئيس كل من كان حلسا لمسجده او بيته ، وليس هناك فرقة ولا جماعة تسمى الحلسية ، ولكنه جعله راس كل من جعل الاعتكاف عن الناس وعدم الدخول في شؤونهم مذهبا له

(٢) هو نجدة بن عامر الحنفي رأس الاباضية من الخوارج

(٣) هي ناقة صالح النبي التي قتلها قدار احمر ثمود

إن شاء الله تعالى ؟ قال أخاف ألا أصيب يتيما فى سوء خلقه ! قال: أما إنى لو كنت مكانك لم أذكر سوء خلقه . ودخل بعض النساك على صاحب له وهو يكيد بنفسه فقال : طب نفساً فانك تلقى ربا رحيما ! قال : أما ذنوبى فانى أرجو أن يغفرها الله لى ، وليس اغتمامى إلا لمن أدع من بناتى ! قال له صاحبه : الذى ترجوه لمغفرة ذنوبك فارجه يحفظ بناتك ! ؟ وكان مالك بن دينار يقول : لو كانت الصحف من عندنا لاقللنا الكلام . وقال يونس بن عبيد: لو أمرنا بالجزع لصبرنا ! وكان يقول: كسبت فى هذه السوق ثمانين ألف درهم ما فيها درهم إلا وأنا أخاف أن أسئل عنه . سمع عمرو بن عبيد عبد الرحمن بن حذيفة يقول : قال الحطيئة: إنما أنا حسب موضوع ! فقال عمرو : كذب ترحه الله، ذلك التقوى ! وقال أبو الدرداء: نعم صومعة المؤمن منزل يكف فيه نفسه و بصره وفرجه ، و إياكم والجلوس فى هذه الأسواق فانها تلغى وتلهى .

من مواعظ الحسن البصرى

وقال الحسن : يا ابن آدم ، بع دنياك بآخرتك تربحهما جميعاً ولا تبع آخرتك بدنياك فتخسرهما جميعاً . يا ابن آدم ، إذا رأيت الناس فى الخير فنافسهم فيه وإذا رأيتهم فى الشر فلا تغبطهم فيه ، الثواء هٰهنا قليل والبقاء هناك طويل ، أمتكم آخر الأمم وأنتم آخر أمتكم وقد أسرع بخياركم فماذا تنظرون ؟ ألمعاينة ! ؟ فكأن قد ! هيهات هيهات ذهبت الدنيا بحال بالها و بقيت الأعمال قلائد فى أعناق بنى آدم فيالها موعظة لو وافقت من القلوب حياة ! أما إنه والله لا أمة بعد أمتكم ولا نبى بعد نبيكم ولا كتاب بعد كتابكم ، أنتم تسوقون الناس والساعة تسوقكم وإنما يُنتظر بأولكم أن يلحقه آخركم . من رأى محمداً صلى الله عليه وسلم فقد رآه غاديا ورائحا ، لم يضع لَبِنَةً على لَبِنَةٍ (١) ولا قصبة على قصبة ، رفع له علم فشمر إليه ،

(١) يعنى لم يبن له بيتا

فالوحاء الوحاء ، والنجاء النجاء ! علام تعرجون ! أتيتم ورب الكعبة ، قد أسرع بخياركم وأنتم كل يوم ترذلون فماذا تنتظرون ! إن الله تبارك وتعالى بعث محمداً صلى الله عليه وسلم على علم منه إختاره لنفسه و بعثه برسالته وأنزل عليه كتابه ، وكان صفوته من خلقه ورسوله إلى عباده ، ثم وضعه من الدنيا موضعا ينظر إليه أهل الأرض ، وآتاه منها قوتا و بلغة ، ثم قال « لَقَدْ كَانَ لَكُم فِى رَسُولِ اللهِ أُسوَةٌ حَسَنَةٌ » فرغب أقوام عن عيشه وسخطوا ما رضى له ربه فأبعدهم الله وسحقهم ، يا ابن آدم طأ الأرض بقدمك فانها عن قليل قبرك ، واعلم أنك لم تزل فى هدم عمرك منذ سقطت من بطن أمك ، رحم الله رجلا نظر فتفكر وتفكر فاعتبر وأبصر فصبر ، فقد أبصر أقوام ولم يصبروا فذهب الجزع بقلوبهم ولم يدركوا ما طلبوا ولم يرجعوا إلى ما فارقوا ، يا ابن ادم ، اذكر قوله « وَكُلَّ إِنسانٍ أَلْزَمْناهُ طَائِرَهُ فِى عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ كِتاباً يَلْقاهُ مَنْشُوراً اقْرَأْ كِتابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً » عدل والله عليك من جعلك حسيب نفسك ! خذوا صفاء الدنيا وذروا كدرها فليس الصفو ما عاد كدراً ولا الكدر ما عاد صفواً ، دعوا ما يريبكم إلى ما لا يريبكم ، ظهر الجفاء ، وقلت العلماء ، وعفت السنة وشاعت البدعة ، لقد صحبت أقواما ما كانت صحبتهم إلا قرة العين وجلاء الصدور ولقد رأيت أقواما كانوا لحسناتهم أشفق من أن ترد عليهم منكم من سيئاتكم أن تعذبوا عليها ، وكانوا فيما أحل الله لهم من الدنيا أزهد منكم فيما حرم الله عليكم منها مالى أسمع حسيساً ولا أرى أنيساً ! ذهب الناس و بقى النسناس ، لو تكاشفتم ماتدافنتم تهاديتم الأطباق ولم تهادوا النصائح . قال ابن الخطاب : رحم الله أمرأ أهدى إلينا مساوينا . أعدوا الجواب فانكم مسئولون ، المؤمن لم يأخذ دينه عن رأيه ولكنه أخذه من قبل ربه ، إن هذا الحق قد جهد أهله وحال بينهم و بين شهواتهم وما يصبر عليه إلا من عرف فضله ورجا عاقبته ، فمن حمد الدنيا ذم الآخرة ، وليس يكره لقاء الله إلا مقيم على سخطه ، يا ابن آدم ، ألا إيمان ليس بالتحلى ولا بالتمنى ، ولكنه ماوقر فى القلب وصدقه العمل .

وكان إذا قرأ « أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ » قال : عم الهاكم ! عن دار الخلود وجنة لاتبيد ، هذا ، والله فضح القوم وهتك الستر وأبدى العوار ، تنفق مثل دينك فى شهواتك سرفا وتمنع فى حق الله درهما ! ستعلم يالكم ، الناس ثلاثة : مؤمن وكافر ومنافق . فأما المؤمن فقد ألجمه الخوف وقومه ذكر العرض ، وأما الكافر فقد قمعه السيف وشرده الخوف فأذعن بالجزية وسمح بالضريبة ، وأما المنافق ففى الحجرات والطرقات ، يسرون غير ما يعلنون ويضمرون غير ما يظهرون ، فاعتبروا إنكارهم ربهم بأعمالهم الخبيثة . ويلك ، قتلت وليه ثم تتمنى عليه جنته ! ؟

وكان يقول : رحم الله رجلا خلا بكتاب الله فعرض عليه نفسه فان وافقه حمد ربه وسأله الزيادة من فضله ، وإن خالفه أعتب وأناب وراجع من قريب ، رحم الله رجلا وعظ أخاه وأهله فقال : ياأهلى ، صلاتكم صلاتكم زكاتكم زكاتكم جيرانكم جيرانكم إخوانكم إخوانكم مساكينكم مساكينكم ، لعل الله يرحمكم ، فان الله تبارك وتعالى أثنى على عبد من عباده فقال « وكان يَأْمُرُ أَهْلَهُ بالصلاةِ والزكاةِ وكانَ عندَ ربِّهِ مرْضِيًّا » يا ابن آدم ، كيف تكون مسلما ولم يسلم منك جارك ! وكيف تكون مؤمنا ولم يأمنك الناس ! ؟

وكان يقول : لا يستحق أحد حقيقة الإيمان حتى لا يعيب الناس بعيب هو فيه ، ولا يأمر باصلاح عيوبهم حتى يبدأ باصلاح ذلك من نفسه ، فانه إذا فعل ذلك لم يصلح عيبا إلا وجد فى نفسه عيبا آخر ينبغى له أن يصلحه ، فاذا فعل ذلك شغل بخاصة نفسه عن عيب غيره ، وإنك ناظر إلى عملك بوزن خيره وشره فلا تحقرن شيئا من الخير وإن صغر فانك إذا رأيته سرك مكانه ، ولا تحقرن شيئا من الشر وإن صغر فانك إذا رأيته ساءك مكانه .

وكان يقول : رحم الله عبداً كسب طيبا وأنفق قصداً وقدم فضلا ، وجهوا هذه الفضول حيث وجهها الله ، وضعوها حيث أمر الله ، فان من كان قبلكم كانوا يأخذون من الدنيا بلاغهم ويؤثرون بالفضل . ألا إن هذا الموت قد أضر بالدنيا ففضحها ، فلا والله ما وجد ذو لب فرحا ، فاياكم وهذه السبل المتفرقة التى

جماعها الضلالة وميعادها النار ؟ أدركت من صدر هذه الأمة قوماً كانوا إذا جنّهم الليل فقيام على أطرافهم يفترشون خدودهم تجرى دموعهم على خدودهم يناجون مولاهم فى فكاك رقابهم ، إذا عملوا الحسنة سرتهم وسألوا الله أن يتقبلها منهم ، وإذا عملوا سيئة ساءتهم وسألوا الله أن يغفرها لهم . يا ابن آدم ، إن كان لايغنيك ما يكفيك فليس ها هنا شىء يغنيك ، وإن كان يغنيك ما يكفيك فالقليل من الدنيا يكفيك . يا ابن آدم ، لا تعمل شيئاً من الحق رياء ولا تتركه حياء .

وكان يقول : إن العلماء كانوا قد استغنوا بعلمهم عن أهل الدنيا ، وكانوا يقضون بعلمهم على أهل الدنيا ما لا يقضي أهل الدنيا بدنياهم فيها ، وكان أهل الدنيا يبذلون دنياهم لأهل العلم رغبة فى علمهم فأصبح اليوم أهل العلم يبذلون علمهم لأهل الدنيا رغبة فى دنياهم ، فرغب أهل الدنيا بدنياهم عنهم وزهدوا فى علمهم لما رأوا من سوء موضعه عندهم .

وكان يقول : لا أذهب إلى من يوارى عنى غناه ويبدى لى فقره ويغلق دونى بابه ويمنعنى ما عنده ، وأدع من يفتح لى بابه ويبدى لى غناه ويدعونى إلى ما عنده .

وكان يقول : يا ابن آدم ، لاغنى بك عن نصيبك من الدنيا وأنت إلى نصيبك من الآخرة أفقر ، مؤمن مهتم ، وعلج أغتم ، وأعرابى لافقه له ، ومنافق مكذب ، ودنياوى مترف ! نعق بهم ناعق فاتبعوه ، فراش نار ، وذِبان طمع ، والذى نفس الحسن بيده ما أصبح فى هذه القرية مؤمن إلا أصبح مهموماً رزيناً ، وليس لمؤمن راحة دون لقاء الله . الناس ما داموا فى عافية مستورون ، فاذا نزل بهم بلاء صاروا إلى حقائقهم : فصار المؤمن إلى إيمانه ، والمنافق إلى نفاقه . أى قوم ، إن نعمة الله عليكم أفضل من أعمالكم ، فسارعوا إلى ربكم فإنه ليس لمؤمن راحة دون الجنة ، ولا يزال العبد بخير ما كان له واعظ من نفسه ، وكانت المحاسبة من همه .

وقال الحسن فى يوم فطرٍ — وقد رأى الناس وهيآتهم — : إن الله تبارك وتعالى جعل رمضان مضماراً لخلقه يستبقون فيه بطاعته إلى مرضاته ، فسبق أقوام

ففازوا وتخلف آخرون فخابوا ، فالعجب من الضاحك اللاعب فى اليوم الذى يفوز فيه المحسنون ويخسر فيه المبطلون ! أما والله لو أن كشف الغطاء لشغل محسن باحسانه ومسىء باساءته عن ترجيل شعر أو تجديد ثوب .

كلمات لعمر بن الخطاب

وحدث عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه أنه قال : الناس طالبان : طالب يطلب الدنيا فارفضوها فى نحره فإنه ربما أدرك الذى طلب منها فهلك بما أصاب منها وربما فاته الذى طلب منها فهلك بما فاته منها ، وطالب يطلب الآخرة فاذا رأيتم طالب الآخرة فنافسوه . وحدث عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه أنه قال : أيها الناس : إنه أتي على حين وأنا أحسب أن من قرأ القرآن أنه إنما يريد به الله وما عنده ، ألا وقد خيل إلى أن أقواما يقرؤن القرآن يريدون به ما عند الناس ! ألا فأريدوا الله بقراءتكم وأريدوه بأعمالكم فإنا كنا نعرفكم إذ الوحى ينزل وإذ النبى صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا ، فقد رُفع الوحى وذهب النبى صلى الله عليه وسلم فانما أعرفكم بما أقول لكم ، ألا فمن أظهر لنا خيراً ظننا به خيراً وأثنينا به عليه ، ومن أظهر لنا شراً ظننا به شراً وأبغضناه عليه . إقدعوا هذه النفوس عن شهواتها فانها طُلعةٌ ، فانكم إلا تقدعوها تنزع بكم إلى شر غاية ، إن هذا الحق ثقيل مرىء ، وإن الباطل خفيف وبىء ، وترك الخطيئة خير من معالجة التوبة ، ورُب نظرة زرعت شهوة وشهوة ساعة أورثت حزنا طويلا .

* * *

وكتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز : أما بعد فكأنك بالدنيا لم تكن وبالآخرة لم تزل . وقال أبو حازم الأعرج : وجدت الدنيا شيئين : شيئاً هو لى لن أعجله دون أجله ولو طلبته بقوة السموات والارض ، وشيئاً هو لغيرى لم أنله فيما مضى ولا

أناله فيما بقى ، يمنع الذى لى كما يمنع الذى لغيرى منى ، ففى أى هذين أفنى عمرى وأهلك نفسى ؟

ودخل على بعض ملوك بنى مروان فقال: يا أبا حازم ، ما المخرج مما نحن فيه ؟ قال : تنظر إلى ماعندك فلا تضعه إلا فى حقه ، وما ليس عندك فلا تأخذه إلا بحقه قال : ومن يطيق ذلك يا أبا حازم ؟ قال : فمن أجل ذلك ملئت جهنم من الجنة والناس أجمعين ! قال : ما مالك ؟ قال: مالان ! قال: ماهما ؟ قال الثقة بما عند الله واليأس مما فى أيدى الناس، قال . إرفع حوائجك إلينا ؟ قال: هيهات ، رفعتها إلى من لا تختزل الحوائج دونه ، فان أعطانى منها شيئا قبلت وإن زوى عنى شيئا رضيت .

وقال الفضيل بن عياض : يا ابن آدم ، إنما يفضلك الغنى بيومين ، أمس قد خلا وغد لم يأت ، فان صبرت يومك أحمدت أمرك وقويت على غدك ، وإن جزعت يومك أذممت أمرك وضعفت عن غدك ، وإن الصبر يورث البرء وإن الجزع يورث السقم ، وبالسقم يكون الموت و بالبرء تكون الحياة .

وقال الحسن : أبا فلان ، أترضى هذه الحال التى أنت عليها للموت إذا نزل بك ؟ قال : لا . قال : أفتحدث نفسك بالإنتقال عنها إلى حال ترضاها للموت إذا نزل بك ؟ قال: حديثاً بغير حقيقة ! قال : أفبعد الموت دار فيها مستعتب ؟ قال : لا . قال: فهل رأيت عاقلا رضى لنفسه بمثل الذى رضيت به لنفسك ! ؟

كلام منسوب لسيدنا عيسى

قال عيسى بن مريم عليه السلام : ألا إن أولياء الله لاخوف عليهم ولا هم يحزنون ، الذين نظروا إلى باطن الدنيا حين نظر الناس إلى ظاهرها ، وإلى آجل الدنيا حين نظر الناس إلى عاجلها ، فأماتوا فيها ماخشوا أن يميت قلوبهم ، وتركوا منها ما علموا أن سيتركهم . ورأوه يخرج من بيت مومسة فقيل له : ياروح الله

ماتصنع عند هذه ؟ قال : إنما يأتى الطبيب المرضى . وقال حين مر ببعض الخلق فشتموه ثم مر بآخرين فشتموه فكلما قالوا شراً قال خيراً فقال له رجل من الحواريين: أكلما زادوك شراً زدتهم خيراً حتى كأنك إنما تغريهم بنفسك وتحثهم على شتمك! قال : كل إنسان يعطى مما عنده . وقال : ويلكم ياعبيد الدنيا كيف تخالف فروعكم أصولكم وعقولكم أهواؤكم ! قولكم شفاء يبرىء الداء وعملكم داء لايقبل الدواء ، ولستم كالكرمة التى حسن ورقها وطاب ثمرها وسهل مرتقاها ، بل أنتم كالثمرة التى قل ورقها وكثر شوكها وصعب مرتقاها ، ويلكم ياعبيد الدنيا ، جعلتم العمل تحت أقدامكم من شاء أخذه ، وجعلتم الدنيا فوق رؤسكم لايستطاع تناولها ، لاعبيد أتقياء ولا أحرار كرام ، ويلكم أجراء السوء ، الأجر تأخذون والعمل تفسدون ! سوف تلقون ما تحذرون ، يوشك رب العمل أن ينظر فى عمله الذى أفسدتم وفى أجره الذى أخذتم ! ويلكم غرماء السوء تبدؤن قبل قضاء الدين بالنوافل ، تطوعون وما أمرتم به لاتؤدون ! إن رب الدين لايقبل الهدية حتى يقضى دينه .

قولهم فى الغضب

وكان أبو الدرداء يقول : أقرب ما يكون العبد من غضب الله إذا غضب ، واحذر أن تظلم من لاناصر له إلا الله . وقال وزر العبد :

لَعَمْرُ أَبِى المَمْلُوكِ مَاعَاشَ إِنَّهُ   وَإِنْ أَعْجَبَتْهُ نَفْسُهُ لَذَلِيلُ
تَرَى النَّاسَ أَنْصَارًا عليهِ وَمَالَهُ   مِنَ النَّاسِ إِلاَّ نَاصِرُونَ قَلِيلُ

وقال شيخ من أهل المدينة : المعرض بالناس اتقى صاحبه ولم يتق ربه . وكان بكر بن عبد الله يقول : أطفئوا نار الغضب بذكر نار جهنم . وقال : من كان له من نفسه واعظ عارضه ساعة الغفلة وحين الحمية . وقال على رضى الله تعالى عنه للأشتر حين جرى بينه وبين الأشعث بن قيس ماجرى : أنظر فى وجهى !

وكانت العجم تقول : إذا غضب الرجل فليستلق ، وإذا أعيا فليرفع رجليه .

وقال أبو الحسن : كان لرجل من النساك شاة وكان معجباً بها فجاء يوماً فوجدها

على ثلاث قوائم فقال : من صنع هذا بالشاة ؟ قال غلامه : أنا ! قال : ولم ؟ قال : أردت أن أغمك ! قال : لاجرم لأغمن الذى أمرك بغمى : إذهب فأنت حر .

محمد بن عمرو بن علقمة قال : سمعت عمر بن عبد العزيز يخطب الناس وهو يقول : ما أنعم الله على عبد نعمة فانتزعها منه فعاضه من ذلك الصبر إلا كان ماعاضه الله أفضل مما انتزعه منه . ثم قرأ « إنما يوفَّى الصابرون أجرَهم بغير حساب »

أخبرنا أبو الحسن على بن محمد عن اصحابه قال : حضرت عَمْرو بنَ عُبيد الوفاة فقال لعديله : نزل بى الموت ولم أتأهب له ، اللهم إنك تعلم أنه لم يسنح لى أمران لك فى أحدهما رضى ولى فى الآخر هوى إلا آثرت رضاك على هواى ، فاغفرلى . ولما خبر أبو حازم سليمان بن عبد الملك بوعيد الله للمذنبين قال : فأين رحمة الله ؟ قال ابو حازم : « قريب من المحسنين » قالوا : وخرج عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه من داره فرأى فى دهليزه أعرابيا فى بَتٍّ ، أشغى غائر العينين مشرف الحاجبين فقال : يا اعرابى ، أين ربك ؟ قال : بالمرصاد . وكان الاعرابى عامر بن عبد قيس ، وكان ابن عامر سيره اليه .

قال : وغدا أعرابى من طيء مع امرأة له فاحتلبا لبناً ثم قعدا يتمجعان فقالت له امرأته : أنحن أنعم عيشاً أم بنى مروان ! قال : هم أطيب طعاما منا ونحن أردأ كسوة منهم وهم أنعم منا نهارا ونحن أظهر منهم ليلا .

قال : وعظ عمر بن الخطاب رجلا فقال : لا يلهك الناس عن نفسك فان الأمر يصير إليك دونهم ، ولا تقطع النهار سادراً فانه محفوظ عليك ما عملت ، واذا أسأت فأحسن ، فانى لم أر شيئاً أشد طلبا ولا أسرع دركا من حسنة حديثة لذنب قديم . قال : وكان بلال بن مسعود يقول : زاهدكم راغب ومجتهدكم مقصر وعالمكم جاهل وجاهلكم مقتر .

قال عامر بن عبد قيس : ألدنيا والدة الموت ناقضة للمبرم مرتجعة للعطية ، وكل من فيها يجرى إلى مالا يدرى ، وكل مستقر فيها غير راض بها ، وذلك

شهيد بأنها ليست بدار قرار . قال الحسن : من أيقن بالخلف جاد بالعطية .

وقال أسماء بن خارجة : اذا قدمت المودة سمج الثناء . وقال عمر بن عبد العزيز لمحمد بن كعب القُرَظى : عظنى ؟ قال : لا أرضى نفسى لك ، إنى لأُصلى بين الغنى والفقير فأميل على الفقير وأوسع على الغنى . وقال الحسن : ما أطال عبد الأمل إلا أساء العمل . قال : وكان أبو بكر رضى الله عنه إذا قيل له : مات فلان. قال: لا إله إلا الله ، وكان عثمان يقول: فلا إله إلا الله ، وكان أبو بكر رضى الله تعالى عنه كثيراً ما ينشد :

لاتزَالُ تنعَى ميّتاً حتى تكُونَهْ وقدْ يَرْجُو الفتى الرَّجَا فيمُوتُ دُونهُ

وركب سليمان بن عبد الملك يوما فى زى عجيب فنظرت اليه جارية فقالت: إنك لمعنى ببيتى الشاعر ! قال: وما هما ؟ فأنشدته :

أنتَ نِعْمَ المتاعُ لوْ كُنْتَ تبقَى غَيْرَ أنْ لاَ بَقاءَ لِلإنْسانِ

ليْسَ فِيماَ بَدَا لنَا مِنْكَ عَيْبٌ كانَ فى النَّاس غيرَ أنَّكَ فانِ

قال : ويلك ، نعيت الى نفسى !

قال : وصام رجل سبعين سنة ثم دعا الله فى حاجة لم يستجب له فرجع إلى نفسه فقال: منك أتيت ! فكان اعترافه أفضل من صومه ، وقال: من تذكر قدرة الله لم يستعمل قدرته فى ظلم عباده .

وقال الحسن : إذا سرك أن تنظر إلى الدنيا بعدك فانظر إليها بعد غيرك . وكان الحسن يقول : ليس الايمان بالتمنى ولا بالتحلى ولكن ما وقر فى القلوب وصدقه العمل .

ومات ذر بن أبى ذر الهمدانى من بنى مرهبة — وهو ذر بن عمر بن ذر — فوقف أبوه على قبره فقال: ياذر ، شغلنى الحزن لك عن الحزن عليك ! ثم قال: أللهم إنك وعدتنى بالصبر ، على ذر صلواتك ورحمتك أللهم وقد وهبتُ ما جعلت لى من أجر على ذر لذر فلا تعرفه قبيحا من عمله ، أللهم وقد وهبت له إساءته الى

فهب لى إساءته إلى نفسه فانك أجود وأكرم . فلما انصرف عنه التفت إلى قبره فقال: ياذر ، قد انصرفنا وتركناك ولو أقمنا مانفعناك .

سحيم بن حفص قال : قال هَانىء بنُ قَبِيصَةَ لحُرَقَةَ ابنة النعمان — ورآها تبكى — : مالك تبكين ؟ قالت : رأيت لأهلك غضارة ولم تمتلىء دار قط فرحا إلا امتلأت حزنا . ونظرت امرأة أعرابية إلى امرأة حولها عشرة من بنيها كأنهم الصقور فقالت : لقد وَلَدَتْ أمكم حزنا طويلا .

وقال النبى صلى الله عليه وسلم لأزواجه « أسْرَعُكُنَّ لِحَاقًا بى أطْوَلُكُنَّ يداً » فكانت عائشة تقول : أنا تلك أطولكن يداً ! فكانت زينب بنت جحش وذلك أنها كانت امرأة كثيرة الصدقة وكانت صَنَاعاً تصنع بيدها وتبيعه وتَصَدَّقُ به . قال الشاعر :

فَمَا إنْ كانَ أكثرَهُمْ سوَاماً ولكِنْ كانَ أطْوَلَهُمْ ذِرَاعَا

وكان الحسن يقول : ما أنعم الله على عبد نعمة إلا وعليه فيها تبعة ، إلا ما كان من نعمته لسليمان عليه السلام فان الله عز وجل قال : « هَـذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ »

وباع عبدُ الله بنُ عُتْبَةَ بنِ مَسْعُود أرضاً بثمانين ألفاً ، فقيل له : لو اتخذت لولدك من هذا المال ذُخراً ؟ قال : أنا أجعل هذا المال ذُخراً لى عند الله وأجعل الله ذخراً لولدى ! وقسم المال . وقال رجل : صحبت الرَّبِيعَ بْنَ خُثَيْمٍ سنتين فما كلمنى إلا كلمتين ، قال لى مرة : أمك حية ؟ وقال لى مرة أخرى : كم فى بنى تميم من مسجد ؟ وقال أبو فَرْوَةَ : كان طارقُ صاحب شُرط خالدِ بنِ عبدِ الله القَسْرِىِّ مرَّ بابن شُبْرُمَةَ — وطارق فى موكبه — فقال ابن شُبْرُمَةَ :

أَرَاهَا وَإنْ كَانَتْ تُحَبُّ فإنَّها سَحَابَةُ صَيْفٍ عَنْ قَرِيبٍ تَقَشَّعُ

اللهم لى دينى ولهم دنياهم ! فاستعمل ابنُ شُبرمة على القضاء بعد ذلك فقال ابنه :

أتذكر قولك يوم مرّ طارق فى موكبه؟ فقال : يابني إنهم يجدون مثل أبيك ولا يجد أبوك مثلهم ، يا بنى إن أباك أكل من حلوائهم وحط فى أهوائهم .

قال الحسن : من خاف الله أخاف منه كل شىء ، ومن خاف الناس أخافه الله من كل شىء . وقال الحسن : ما أعطى رجل من الدنيا شيئا إلا قيل له : خذه ومثله من الحرص .

قال : ومرّ مَرْوَانُ بْنُ الحَكَمِ فى العام الذى بويع فيه بِزُرَارَةَ بنِ جُزَى الكلابى — وهم على مالهم — فقال : كيف أنتم آل جزى ؟ قالوا : بخير ، زرعَنا الله فأحسن زرعنا ، وحصدَنا فأحسن حَصادنا .

وقال الحسن : ابنَ آدم ، إنما أنت عدد ، فإذا مضى يوم فقد مضى بعضك .
وقال الحسن : ابن آدم ، إن كان يغنيك من الدنيا ما يكفيك فأدنى ما فيها يغنيك وإن كان لا يغنيك منها ما يكفيك فليس فيها شىءٌ يغنيك . قال : نزل الموت بفتى كان فيه رمق فرفع رأسه فإذا أبواه يبكيان عند رأسه ، فقال : مالكما تبكيان ؟ قالوا : تخوفا عليك من الذى كان منك من إسرافك على نفسك ! فقال : لا تبكيا فوالله ما يسرنى أن الذى بيد الله بأيديكما . قال قَتَادَةُ : يعطى الله العبد على نية الآخرة ما شاء من الدنيا ، ولا يعطى على نية الدنيا إلا الدنيا .

قال الحسن : قدم علينا بشْرُ بْنُ مَرْوَانَ أخو الخليفة وأمير المِصْرَيْنِ وأشبّ الناس ، فأقام عندنا أربعين يوما ثم طُعن فى قدمه فمات فأخرجناه إلى قبره فلما صرنا به إلى الجبانة فإذا نحن بأربعة سودان يحملون صاحبا لهم إلى قبره ، فوضعنا السرير فصلينا عليه ووضعوا صاحبهم فصلوا عليه ، ثم حملنا بشراً الى قبره وحملوا صاحبهم إلى قبره ، ودفنا بشرا ودفنوا صاحبهم ، ثم انصرفوا وانصرفنا ، ثم التفتُّ التفاتة فلم أعرف قبر بشر من قبر الحبشى ! فلم أر شيئا قط كان أعجب منه . وقال عبدُ الله ابنُ الزِّبَعْرَى :

وَالْعَطِيَّاتُ خِسَاسٌ بَيْنَنَا ... وَسَوَاءٌ قَبْرُ مُثْرٍ وَمُقِلِ

وتقول الحكماء : ثلاثة أشياء يستوى فيها الملوك والسوقة والعِلْيَةُ والسِّفْلَةُ : الموت والطلق والنزع .

وقال الهيثمُ بنُ عَدِيّ عن رجاله : بينا حُذَيفَةُ بنُ اليمان وسلمانُ الفارسيُّ يتذاكران أعاجيب الزمان وتغير الأيام — وهما فى عَرْصَةِ إيوان كسرى — وكان أعرابى من غامِدَ يرعى شُوَيهات له نهاراً فإذا كان الليل صَيَّرَهن إلى داخل العرصة ، وفى العرصة سرير رخام كان كسرى ربما جلس عليه — فصعدت غنيمات الغامدى على سرير كسرى ، فقال سلمان : ومن أعجب ماتذا كرنا صعود غُنيمات الغامدى على سرير كسرى !

قال : لما انصرف على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه من صِفِّينَ مر بمقابر فقال : السلام عليكم أهل الديار الموحشة والمحال المقفرة من المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات ، أنتم لنا سلف فارط ونحن لكم تبع وبكم عما قليل لاحقون ، اللهم اغفر لنا ولهم وتجاوز بعفوك عنا وعنهم ، الحمد لله الذى جعل الأرض كفاتاً أحياء وأمواتاً ، والحمد لله الذى منها خلقكم وعليها يحشركم ومنها يبعثكم ، طوبى لمن ذكر المعاد وأعد للحساب وقنع بالكفاف . وقال عمر رضى الله تعالى عنه : إستفزروا العيون بالتذكر . وقال الشاعر :

سَمِعْنَ بِهَيْجَاأُوْجِفَتْ فذكرْنَهُ ... وَلا يَبْعَثُ الأَحْزَانَ مِثْلُ التَّذَكُّرِ

وقال أعرابى :

لاتُشْرِفَنَّ يَفَاعاً إنَّهُ طَرِبٌ ... وَلا تَغَنَّ إذا مَا كُنْتَ مُشْتَاقَا

قال ابن الأعرابى : سمعت شيخاً أعرابيا يقول : إنى لأُسَر بالموت ولا دَين ولا بنات .

على بن الحسن قال : قال صَالِحُ المُرِّىّ : دخلت دار المُورِيَانى فاستفتحت ثلاث آيات من كتاب الله استخرجتها حين ذكرت الحال فيها قوله « فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إلاَّ قَلِيلاً » وقوله : « وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً

فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ » وقوله « فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا » قال : فخرج إلى أسود من ناحية الدار فقال : ياأبا بِشْرٍ هذا سُخط المخلوق فكيف سُخط الخالق ؟

قال : وأصاب ناسا مطر شديد وريح وظلمة ورعد و برق فقال رجل من النساك : اللهم إنك قد أريتنا قدرتك فأرنا رحمتك .

قال عبدُ الله بن عُمر : فاز عُمر بن أبى ربيعة بالدنيا والآخرة ، غزا البحر فأحرقوا سفينته فاحترق.

قال : وطلق أبو الخندق امرأته أم الخندق فقالت : أتطلقنى بعد طول الصحبة! فقال : مادهاك عندى غيره . وكان أبو إسحٰق يقول : ما ألأمها من كلمة !

قال : مرّ عمر بن الخطاب بقوم يتمنون فلما رأوه سكتوا قال : فيم كنتم ؟ قالوا : كنا نتمنى ! قال : فتمنوا وأنا أتمنى معكم ؟ قالوا : فتمن . قال : أتمنى رجالا ملء هذا البيت مثل أبى عُبَيْدَةَ بنِ الْجَرَّاحِ وسَالِمٍ مولى أبى حُذَيفة [1] إن سالما كان شديد الحب لله لو لم يخف الله ماعصاه ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينٌ وَأَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ »

عمر بن مرة قال : قدم وفد من أهل اليمن على أبى بكر رضى الله تعالى عنه فقرأ عليهم القرآن فبكوا ، فقال أبو بكر : هكذا كنا حتى قست القلوب . وقال أبو بكر : طوبى لمن مات فى نأناة الاسلام [2] .

وقال سعد بن مالك أو معاذ : مادخلت فى صلاة فعرفت مَن عن يمينى ولا مَن عن شمالى ، ولاشيّعت جنازةً قط إلا حدثت نفسى بما يقال له ومايقول . وما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال شيئاً قط إلا علمت أنه كما قال .

قال أبو الدرداء : أضحكنى ثلاث وأبكانى ثلاث : أضحكنى مؤمّل الدنيا والموت يطلبه ، وغافل لايُغفل عنه ، وضاحك ملء فيه ولا يدرى أساخط ربه

(١) هوسالم مولى أبي حذيفة بن عتبة ، كان من كبار الصحابة أصله من أهل أصطخر اخي النبي بينه وبين أبي بكر ، شهد المشاهد وقتل يوم اليمامة فى حرب مسيلمة الكذاب سنة ١١ هـ ٦٣٢ م

(٢) وروى عكرمة ان أبا بكر قال : طوبى لمن مات فى النأناة . يعنى اول الاسلام قبل ان يقوى ويكثر أهله والداخلون فيه فهو عند الناس ضعيف

أم راض ، وأبكاني هول المطلع ، وانقطاع العمل ، وموقفي بين يدى الله ولا يُدْرَى أيُؤمر بي إلى الجنة أم إلى النار .

سُحيم بن حفص قال : رأى إياس بن قَتَادة العبشمى شيبة لحيته فقال : أرى الموت يطلبنى وأرانى لا أفوته ، أعوذ [بالله] من فجآت الأمور و بغتات الحوادث ، يابنى سعد ، إني قد وهبت لكم شبابي فهبوا لى شيبتى ، ولزم بيته فقال له أهله : إنك تموت هزلا ! فقال : لأن أموت مؤمنا مهزولا أحب إلىّ من أن أموت منافقاً سميناً . وذكر قوم إبليس فلعنوه وتغيظوا عليه ، وقال أبو حَازِم الأعرج : وما إبليس ! لقد عُصى فما ضرّ وأُطيع فما نفع .! وقال بكر بن عبد الله المزني : ألدنيا مامضى منها فحلم وما بقى منها فأمانى . ودخل أبو حَازم مسجد دمشق فوسوس إليه الشيطان : إنك قد أحدثت بعد وضوئك ، فقال له : أو قد بلغ هذا من نصحك ! وقال بعض الطّيَّاب :

عَجِبْتُ مِنْ إِبْلِيسَ فِى كِبْرِهِ   وَخُبْثِ مَا أَظْهَرَ مِنْ نِيَّتِهِ
تَاهَ عَلَى آدَمَ فِى سَجْدَةٍ   وَصَارَ قَوَّاداً لِذُرِّيَّتِهِ

فأنشدتها مِسمَعَ بن عاصم فقال : وأبيك لقد ذهب مذهب الفضل بن مِسلم . وقال مُطَرِّفُ بنُ عبد الله الشِّخِّير : لا تنظروا إلى خفض عيشهم ولين ثيابهم ، ولكن انظروا إلى سرعة ظعنهم وسوء منقلبهم . قال أبو ذَرّ : لقد أصبحت و إن الفقر أحب إلىّ من الغنى والسقمَ أحب إلى من الصحة والموتُ أحب إلىّ من الحياة ! قال هُشيمٌ : لكنى لا أقول ذلك . وقال داود النبى : ألّلهم لاصحة تطغينى ولا مرض يضنينى ، ولكن بين ذلك . وقال الحسن : إن قوماً جعلوا تواضعهم فى ثيابهم وكبرهم فى صدورهم حتى لَصاحب المدرعة بمدرعته أشد فرحاً من صاحب المُطرف بمُطرفه .

وقال داود النبي : إن لله سطوات ونقمات ، فاذا رأيتموها فداووا قرحكم بالدعاء . فان الله تبارك وتعالى يقول : لولا رجالٌ خشّع وصبيان رضع وبهائم رتع

لصببت عليكم العذاب صباً . قال : اشترى محرز بن صفوان بُدنة بتسعة دنانير فقيل له : أتشترى بدنة بتسعة دنانير وليس عندك غيرها ؟ قال : سمعت الله تبارك وتعالى يقول : « لَكُمْ فيها خَيْرٌ » ، وقيل لمحمد بن سوقة : أتحج وعليك دين ؟ قال : هو أقضى للدين . وقال : ولقى ناسك ناسكا ومعه خف فقال : ماتصنع بهذا ؟ قال : أعده للشتاء . ! وكانوا يستحيون من هذا . قال أبو ذر : تخضمون ونقضم والموعد الله . . . ! قال الزبير : يكفينا من خضمكم القضم ، ومن نصكم العنق[1] وقال أيمن ابن خُريم :

رجَوْا بالشقاقِ الأكل خَضْما فقد رَضوْا أخيراً من اكلِ الخضم أن يأكلوا القضما

وقال عمرو لمعاوية : من أصبر الناس ؟ قال : من كان رأيه رادا لهواه . وتواصفوا حال الزهد بحضرة الزهرى ، فقال الزهرى : ألزاهد من لم يغلب الحرام صبره والحلال شكره . وذُكر عند أعرابى رجل بشدة الاجتهاد وكثرة الصوم وطول الصلاة فقال : هذا رجل سوء ! وما يظن هذا أن الله يرحمه حتى يعذب نفسه هذا التعذيب ! ؟

وقال أبو بكر رضى الله تعالى عنه : ماظنك بخالق الكرامة لمن يريد كرامته وهو عليه قادر ؟ وما ظنك بخالق الهوان لمن يريد هوانه وهو عليه قادر ؟

وزعم أبو عمرو الزعفرانى قال : كان عمْرُو بن عُبَيْدٍ عند حَفْصِ بن سَالِمٍ فلم يسأله أحد من أهله وحشمه حاجة إلا قال : لا . فقال عمرو : أقلّ من قول : لا ، فإنه ليس فى الجنة : لا . قال : وقال عمرو : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سئل مايجد أعطى وإذا سئل مالا يجد قال : يصنع الله . وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : أكثروا لهن من قول : لا ، فإن : نعم ، يُضريهن على المسألة . وإنما يخص عمر بذلك النساء . قال الحسن : أدركت أقواماً كانوا من حسناتهم أشفق من أن تردعليهم منكم من سيئاتكم أن تعذبوا عليها . قال أبو الدرداء : من يشترى مني عادا وأموالها بدرهم !

(١) النص : ضرب من السير سريع . والعنق : ضرب من السير بطىء .

ودخل على بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه المقابر فقال : أما المنازل فقد سُكنت وأما الأموال فقد قُسمت وأما الأزواج فقد نُكحت ، فهذا خبر ماعندنا فما خبر ماعندكم ؟ ثم قال : والذى نفسى بيده لو أذن لهم فى الكلام لأخبروا أن خير الزاد التقوى .

قال أبو سعيد الزاهد : عيرت اليهود عيسى بن مريم عليه السلام بالفقر فقال : من الغنى أُتيتم . وقال آخر : لو لم يعرف من شرف الفقر إلا أنك لاترى أحداً يعصى الله ليفتقر . وهذا الكلام بعينه مدخول .

قال : سأل الحجاج أعرابياً عن أخيه مُحمد بنِ يُوسف : كيف تركته ؟ فقال : تركته عظيما سميناً ! قال : ليس عن هذا أسألك ! قال : تركته ظلوماً غشوماً ! قال : أو ماعلمت أنه أخى ؟ قال : أتراه بك أعزَّ منى بالله ؟

وقال بعضهم : نجد فى زبور داود : من بلغ السبعين اشتكى من غير علة . جعفر بن سليمان قال : قال محمد بن حسان النبطى : لاتسأل نفسك العام ماأعطتك فى العام الماضى . وقيل لِخَالِدِ بْنِ يَزِيدِ بْنِ مُعَاوِيَةَ : ماأقرب شىء ؟ قال : الأجل . قيل : فما أبعد شىء ؟ قال : الأمل . قيل : فما أوحش شىء ؟ قال : الميت . قيل : فما آنس شىء ؟ قال : الصاحب المواتى . وقال آخر : آنس شىء الموت . وقال الآخر : نسى عَامِرُ بنُ عَبْدِ الله بنِ الزُّبَيْرِ عطاءه فى المسجد فقيل له : قد أُخذ ! فقال : سبحان الله ، وهل يأخذ أحد ماليس له ! ؟ عبدة الثقفى قال : لايشهد علىّ الليل بنوم أبداً ولا يشهد علىّ النهار بأكل أبداً ! فبلغ ذلك عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فعزم عليه فكان يفطر في العيدين وأيام التشريق . وقال الحسن ابن أبي الحسن : يكون الرجل عالماً ولا يكون عابداً ، ويكون عابداً ولا يكون عاقلا ، وكان مُسْلِمُ بنُ بَدْرٍ عالماً عابداً عاقلا . وقال عُبادة بن الصامت : من الناس من أوتى علما ولم يؤت حلما ، وشَدَّادُ بنُ أَوْسٍ أُوتى علما وحلما . قال ابراهيم [النظام] كان عَمْرُو بنُ عُبيد عالما عاقلا عابداً ، وكان ذا بيان وحلم وصاحب

قرآن . قال أبو الدرداء : لايحرز المؤمنَ من شرار الناس إلا قبرُه . وقال عيسى ابن مريم : الدنيا لابليس مزرعة وأهلها له حراثون . قَبيصة بن جابر قال : ما الدنيا فى الآخرة إلا كنفجَة الأرنب .

قال عُمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : لولا أن أسير فى سبيل الله ، وأضع جبهتى لله ، وأجالس أقواماً ينتقون لى أحسن الحديث كما ينتقى أطايب التمر لم أبال أن أكون قدِمتُ . قال عامِرُ بنُ عَبْدِ قَيْسٍ : ما آسى من العراق إلا على ثلاث : ظمأ الهواجر وتجاوب المؤذنين وإخوان لى منهم الأسود بن كلثوم . وقال المؤرق العجلى : ضاحك معترف بذنبه خير من باك مُدِلّ على ربه . وقال : خير من العجب بطاعة أن لا تأتى بطاعة . قالوا : كان الرَّبيع بن خَيْثم يقول : لا تطعم إلا صحيحاً ولا تكس إلا جديداً ولا تعتق إلا سويا .

وقال بعض الملوك لبعض العلماء : أذمم لى الدنيا ، فقال : أيها الملك ، الآخذة لما تعطى ، المورثة بعد ذلك الندم ، السالبة ما تكسو ، المعقبة بعد ذلك الفُضوح ، تسد بالأراذل مكان الأفاضل ، وبالعجزة مكان الحَزَمَةِ ، تجدُ فى كل من كل خلفا وَترضى بكل من كل بدلا ، تُسكن دار كل قرن قرنا وتطعم سؤر كل قوم قوما .

وكان سَعيد بنُ أبى العَرُوبَة يطعم المساكين السكر ويتأول قوله تعالى « ويُطْعِمُونَ الطَّعامَ عَلَى حُبِّهِ » وكان محمد بن على إذا رأى مبتلى أخفى الاستعاذة وكان لا يُسمع من داره للسائل : بورك فيك ولا ياسائل خذ هذا . وكان يقول : سموهم بأحسن أسمائهم . قال : وتمنى قوم عند يَزِيد الرَّقاشى فقال يزيد : سأتمنى كما تمنيتم ، قالوا تمنى ؟ قال : ليتنا لم نُخلق وليتنا إذ خلقنا لم نمت وليتنا إذ متنا لم نبعث وليتنا إذ بُعثنا لم نحاسب وليتنا إذ حوسبنا لم نعذب وليتنا إذ عذبنا لم نخلَّد . وقال رجل لأم الدَّرْداء : إنى لأجد فى قلبى داء لا أجد له دواء وأجد قسوة شديدة وأملا بعيداً ! قالت : إطلع فى القبور وأشهد الموتى . أبو عون [1] قال : قلت

(١) مضت ترجمته فى ص ١٥٨ من الجزء الثانى

للشعبي : أين كان عَلقمة (١) من الأسوَدِ (٢) قال : كان الأسود قواما صواماً ، وعلقمة مع البطىء وهو يسبق السريع .

قال : وقيل لغالب بن عبد الله الجهضمي : إنا نخاف على عينيك العمى من طول البكاء ! قال : هو لهما شهادة . محمد بن جحادة قال : لما قتل الحسين رضى الله تعالى عنه أتى قوم الرّبيع بن خيثم فقالوا : لنستخرجن اليوم منه كلاماً ، فقالوا : قتل الحسين : قال «اللهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ القيامَةِ فيما كانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ» وأتته بنية له فقالت : يا أبت أذهب ألعب ؟ فقال : إذهبي فقولى خيراً وافعلى خيراً!

وقال أبو عبيدة : استقبل عامرَ بنَ عَبْدِ قَيْسٍ رجل فى يوم حلبة قال فقال : من سبق ياشيخ ؟ قال : المقربون .

عَلى بن سَليم قال : قيل للرّبيع بن خيثم : لو أرحت نفسك ! قال : أراحتها ريد أن عُمر كان كيسا . وقال أبو حازم : ليتق الله أحدكم على دينه كما يتقى على نعله . جعفرَ بن سليمان الضبعى قال : أتى مُطرف بنُ عَبد الله بنُ الشخير أبى مجلس مجلس مَالكِ بن دينار وقد قام فقال أصحابه : لو تكلمت ؟ قال : هذا ظاهر حسن «إِنْ تكُونوا صَالِحِينَ فَإنَّهُ كانَ لِلأَوَّابِينَ غفورًا» وقال رجل لآخر — وباع منه ضيعة له : أما والله لقد أخذتها ثقيلة المؤنة قليلة المعونة ! فقال الآخر : أنت لقد أخذتها بطيئة الاجتماع سريعة التفرق . واشتري رجل من رجل دارا فقال لصاحبه : لو صبرت لاشتريت منك الذراع بعشرة دنانير ! فقال : وأنت لو صبرت لبعتك الذراع بدرهم .

ورأى ناسكٌ ناسكا فى المنام فقال له : كيف وجدت الأمر يا أخى ؟ قال : وجدنا ما قدمنا وربحنا ما أنفقنا وخسرنا ما خلفنا . وقال بَكر بنُ عبد الله المزنى : اجتهدوا فى العمل فان قصر بكم ضعف فكفوا عن المعاصى . وقال أعرابى . أنه ليقتل الحبارى جوعا ظلمُ الناس بعضهم لبعض .

(١) هو علقمة بن قيس النخعى ، يكنى أبا شبل . تقى صالح . مات سنه ٦٢ ﻫ

(٢) هو الاسود بن يزيد بن قيس النخعى ، يكنى ابا عبد الرحمن ، صالح خير . مات سنة ٧٤ ﻫ

وقيل لمحمد بن على : من أشد الناس زهداً ؟ قال : من لا يبالى الدنيا فى يد من كانت . وقيل له : من أخسر الناس صفقة ؟ قال : من باع الباقى بالفانى . وقيل له : من أعظم الناس قدراً ؟ قال : من لا يرى الدنيا لنفسه قدرا .

هانىء بن قبيصة أتى حرقة بنت النعمان وهى باكية فقال لها : لعل أحداً آذاك؟ قالت : لا ، ولكن رأيت غضارة فى أهلكم وقل ما امتلأت دار سروراً إلا امتلأت حزناً . وقالوا : يهرم ابن آدم وتشب له خلتان : الحرص والأمل .

الأصمعى قال : قال مُحَمَّد بنُ وَاسِعٍ : ما آسى من الدنيا إلا على ثلاث : بلغة من عيش ليس لأحد علىّ فيها منة ولا لله علىّ فيها تبعه ، وصلاة فى جمع أكفى سهوها ويُدخر لى أجرها ، وأخ إذا ما اعوججت قومنى . وقال آخر : ما آسى من العراق إلا على ثلاث : ليل الحريق ، ورطب الشكر ، وحديث ابن أبى بكرة . وقال آخر : إذا ماسمعت حديث أبى نضرة وكلام ابن أبى بكرة ، ، فكأنك مع لسانِ الحُمَّرَةِ (١)

(١) هو ورقاء بن الاشعر البكرى كان من افصح الناس وانسبهم واعظمهم بصرا بالخطاب ، وكان حاضر البديهة سريع الجواب حسن الحديث . خرج المغيرة بن شعبة وهو امير على الكوفة فى غب مطر يسير بظهر الكوفة فلقى لسان الحمرة فقال له : من اين اقبلت يا اعرابى ؟ قال من السماوة : قال : كيف تركت الارض خلفك ؟ قال : عريضة اريضة ! قال : وكيف كان المطر ؟ قال : عفى الاثر وملأ الحفر . قال : بمن انت ؟ قال : من بكر بن وائل . قال : كيف علمك بهم ؟ قال : إن جهلتهم لم اعرف غيرهم . قال : فماذا تقول فى بنى شيبان ؟ قال : سادتنا وسادة غيرنا . قال : فماذا تقول فى بني ذهل ؟ قال : سادة نوكى . قال : فقيس بن ثعلبة ؟ قال : إن جاورتهم سرقوك وإن ائتمنتهم خانوك . قال : فبنو تيم الله بن ثعلبة ؟ قال : رعاء البقر وعراقيب الكلاب . قال : فما تقول فى بنى يشكر ؟ قال : صريح تحسبه مولى — لان فى الوانهم حمرة — قال : فعجل ؟ قال : احلاس الخيل . قال : فحنيفة ؟ قال : يطعمون الطعام ويضربون الهام . قال : فعنزة ؟ قال : لا تلتقى بهم الشفتان لؤما . قال فضبيعة اضجم ؟ قال جدعاء وعقراء . قال : فأخبرنى عن النساء ؟ قال : النساء اربع ، ربيع مربع وجميع يجمع وشيطان سمعمع وغل لا يخلع . قال : فسر ؟ قال : اما الربيع المربع فالتى إذا نظرت إليها سرتك وإذا اقسمت عليها برتك ، واما التى هى جميع يجمع فالمراة تتزوجها ولها نشب فتجمع نشبك إلى نشبها ، واما الشيطان السمعمع فالكالحة فى وجهك إذا دخلت والمولولة فى اثرك إذا خرجت ، واما الغل الذى لا يخلع فبنت عمك السوداء القصيرة الورهاء الدميمة التى قد نثرت لك بطنها إن طلقتها ضاع ولدك وان امسكتها فعلى جدع انفك . ثم قال : ما تقول فى اميرك المغيرة ابن شعبة ؟ قال : اعور زناء ؟ فاخذه المغيرة إلى منزله وعنده يومئذ اربع نسوة وما تزيد على السبعين جارية وقال له : ويحك ! هل يزنى الحر وعنده مثل هؤلاء ؟ ثم امر له بمال فاخذه وانصرف

وقال أبو يعقوب الخُرَيْمِيُّ الأعور: تلقانى مع طلوع الشمس سعيد بن وهب[١] فقلت: أين تريد؟ قال: أدور على المجالس فلعلى أسمع حديثاً حسناً، ثم لم أتجاوز بعيداً حتى تلقانى أنس بن أبى شيخ فقلت له: أين تريد؟ قال: عندى حديث حسن فأنا أطلب له إنساناً حسن الفهم حسن الاستماع! قلت: حدثنى فأنا كذاك؟ قال: أنت حسن الفهم ردىء الاستماع، وما أرى لهذا الحديث إلا اسماعيل ابن غَزْوَانٍ.

قال: ولد للحسن بن أبى الحسن غلام فقال له بعض جلسائه: بارك الله لك فى هبته وزادك فى أحسن نعمته. فقال الحسن: الحمد لله على كل حسنة، وأسأل الله الزيادة فى كل نعمة ولا مرحباً بمن إن كنت عائلا أنصبنى وإن كنت غنياً أذهلنى لا أرضى بسعيى له سعيا ولا بكدى له فى الحياة كداً حتى أشفق عليه من الفاقة بعد وفاتى وأنا بحال لا يصل إلىّ من همه حزن ولا من فرحه سرور.
وقال الحسن للمغيرة بن مخارش التميمى: إن مَن خوفك حتى تلقى الأمن خير لك ممن آمنك حتى تلقى الخوف.

وقال عَوْنُ بنُ عبدالله بنِ عُتْبَةَ بنِ مسعود[٢] ما أحسن الحسنة فى أثر الحسنة وما أقبح السيئة فى أثر السيئة؟

الحسن قال: ما رأيت يقيناً لاشك فيه أشبه بشك لايقين فيه من أمر نحن فيه. وكان الحسن إذا ذكر الحجاج قال: كان يتلو كتاب الله على لَخْمٍ وجُذام

---

(١) هو سعيد بن وهب. نشا بالبصرة وعن علمائها اخذ وبهم تخرج ثم اقام ببغداد فى كنف الفضل ابن يحيى البرمكى حظيا عنده. وكان في اول امره فاسقا فاتكا ثم تاب وتنسك ومات على مذهب مرضي فى عهد المأمون. وكان كاتبا بليغا وشاعرا مطبوعا ونديما ظريفا بذل جل شعره فى الغزل والنسيب

(٢) كان فى اول امره يقول بالارجاء ثم رجع عن ذلك إلي العلم والزهد والتقوى والصلاح وقال:

واول مانفارق غير شك — نفارق ما يقول المرجئونا
وقالوا مؤمن دمه حلال — وقد حرمت دماء المؤمنينا
وقالوا مؤمن من اهل جور — وليس المؤمنون بجائرينا

وكانت له منزلة عند عمر بن عبد العزيز، وله كلام بليغ فى غاية الجودة

ويعظ عظة الأزارقة ، ويبطش بطش الجبارين . وكان يقول : إتقوا الله فان عند الله حجّاً جين كثيراً . وكان سِنانُ بنُ سَلمةَ بنِ قيس يقول : اتقوا الله فان عندالله أياماً مثل شوال . قال خالد بن صفوان : بت ليلتى أتمنى كلها فكسيت البحر الأخضر بالذهب الأحمر فاذا الذى يكفيني من ذلك رغيفان وكوزان وطِمران . وكان الحسن يقول : إنكم لاتنالون ماتحبون إلا بترك ماتشتهون، ولا تدركون ما تؤملون إلا بالصبر على ما تكرهون . ودخل قوم على عوف بن أبي جميلة فى مرضه فأقبلوا يثنون عليه فقال : دعونا من الثناء، وأمدونا بالدعاء . وقال أبو حازم : نحن لانريد أن نموت حتى نتوب ، ونحن لانتوب حتى نموت. وكان الحسن يقول : يا بن آدم ، نهارك ضيفك فأحسن إليه فانك إن أحسنت إليه ارتحل بحمدك ، وإن أسأت إليه ارتحل بذمك ، وكذلك ليلك .

وقيل لبعض العلماء : من أسوأ الناس حالا ؟ قالَ : عبدالله بنُ عبد الأعلى الشيبانى القائل عند موته : دخلتها جاهلا وأقمت فيها حائراً وأُخرجت منها كارهاً. يعنى الدنيا . وقيل لآخر : من أسوأ الناس حالا ؟ قال : من قويت شهوته و بعدت همته واتسعت معرفته وضاقت مقدرته . وقيل لآخر : من شر الناس ؟ قال من لايبالى أن يراه الناس مسيئاً . وقيل لآخر : من شر الناس؟ قال : القاسى ! فقيل له أيما شرّ ، ألوقاح أم الجاهل أم القاسى ؟ قال : ألقاسى .

وذكر أبو صفوان عن البطال أبى العلاء من بنو عمرو بن تميم قال : قيل له قبل موته : كيف تجدك يا أبا العلاء ؟ قال : أجـدنى مغفوراً لى ! قالوا : قل إن شاء الله ! قال : قد شاء الله ، ثم قال :

أُوصيكم بالجلّةِ التّلادِ   فإنما حَوْلـكُمُ الأَعادى

قال ابن الأعرابى : كان العباسُ بنُ زُفر لايكلم أحداً حتى تنبسط الشمس فاذا انفتل عن مصلاه ضرب الأعناق وقطع الأيدى والأرجل. وكان جرير ابن الخطفى لا يتكلم حتى تطلع الشمس، فاذا طلعت قذف المحصنات . قال : ومرت

به جنازة فبكى وقال : أحرقتنى هذه الجنازة . قيل : فلم تقذف المحصنات ؟ قال : يبدو لى ولا أصبر . وكان يقول : أنا لا أبتدى ولـكن أعتدى .

الحسن بن الربيع الـكندى باسناد له قال: قال رجل للنبى صلى الله عليه وسلم : دلنى على عمل إذا أنا عملته أحبنى الله وأحبنى الناس ؟ قال : إزهد فى الدنيا يحبك الله ، وازهد فيما فى أيدى الناس يحبك الناس .

قال : و بلغنى عن القاسم بن محيمرة الهمدانى انه قال : إنى لا أغلقُ بابى فما يجاوزه همى .

قال أبو الحسن : وجد فى حجر مكتوب : إبن آدم ، لو أنك رأيت يسير ما بقى من أجلك لزهدت فى طول ماترجو من أملك ، ولرغبت فى الزيادة فى عملك ولقصرت من حرصك وحيلك و إنما يلقاك غداً ندمك وقد زلت بك قدمك وأسلمك أهلك وحشمك وتبرأ منك القريب وانصرف عنك الحبيب فلا أنت إلى أهلك بعائد ولا فى عملك بزائد .

وقال عيسى بن مريم : تعملون للدنيا وأنتم ترزقون فيها بغير العمل ولا تعملون للآخرة وأنتم لا ترزقون فيها إلا بالعمل ! قال : أوحى الله تبارك وتعالى إلى الدنيا : من خدمنى فاخدميه ومن خدمك فاستخدميه ! وقال : من هوان الدنيا على الله أنه لا يعصى إلا فيها ولا ينال ما عنده إلا بتركها ، ومر عيسى بن مريم بقوم فقال ما بالهم يبكون ؟ فقالوا : على ذنوبهم . قال اتركوها تغفر لـكم .

وقال رياد بن أبى زياد مولى عياش بن أبى ربيعة دخلت على عمر بن عبد العزيز فلما رآنى ترجل عن مجلسه فقال إذا دخل عليك رجل لا ترى لك عليه فضلا فلا تأخذ عليه شرف المجلس .

وقال الحسن : إن أهل الدنيا وإن دقدقت بهم الهماليج ووطىء الناس أعقابهم فان ذل المعصية فى قلوبهم .

قالوا: وكان الحجاج يقول إذا خطب: إنا والله ماخلقنا للفناء و إنما خلقنا للبقاء

وإنما ننقل من دار إلى دار . وهذا من كلام الحسن .

ولما ضرب عبد الله بن على تلك الأعناق قال له قائل : هذا والله جُهد البلاء ! فقال عبد الله : ماهذا وشرطة الحجام إلا سواء ، وإنما جهد البلاء فقر مُدْقع بعد غنى موسع .

وقال آخر : أشد من الخوف الشيء الذي يشتد من أجله الخوف . وقال آخر : أشد من الموت ما يتمنى له الموت ، وخير من الحياة ما إذا فقدته أبغضت له الحياة .

وقال أهل النار « يامَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنا رَبُّك » قال « إنكم ما كثون » فلما لم يجابوا إلى الموت قالوا « أفيضُوا علينا منَ الماء » وقالوا : ليس فى النار عذاب أشد على أهله من علمهم بأنه ليس لكربهم تنفيس ولا لضيقهم ترفيه ولا لعذابهم غاية ، ولا فى الجنة نعيم أبلغ من علمهم بأن ذلك الملك لا يزول .

قالوا : قارف الزهرى ذنبا فاستوحش من الناس وهام على وجهه ، فقال زيد ابن على : يازهرى ، لَقنُوطُك من رحمة الله التى وسعت كل شىء أشد عليك من ذنبك ! فقال الزهرى : « اللهُ أعلمُ حَيْثُ يجعلُ رِسَالتهُ » . ورجع إلى أهله وماله وأصحابه . قال ابن المبارك[1] أفضل الزهد أخفاه .

الأوزاعى [2] عن مَكحُولٍ [3] قال : إن كان فى الجماعة الفضيلة فإن فى العزلة السلامة .

---

(١) هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك . العالم الفقيه الزاهد الورع ، تفقه على سفيان الثورى واخذ عن الاوزاعى وروى الموطأ عن مالك بن انس ، كانت له منزلة فى النفوس وجلالة فى القلوب ، قدم الرشيد الرقة وقدمها فى الوقت ابن المبارك فانجفل الناس خلف ابن المبارك وداس بعضهم بعضا وارتفعت الغبرة فاشرفت جارية للرشيد فلما رأت تجمع الناس قالت : ماهذا ؟ قالوا : عالم اهل خراسان قدم الرقة . فقالت : هذا والله الملك لاملك هرون الذى لايجمع الناس إلا بشرط وأعوان ! وكان ابن المبارك مجاهدا غازيا . وله شعر حسن . ولد بمرو سنة ١١٨ ﻫ وتوفى بهيت سنة ١٨٢ ﻫ

(٢) هو ابو عمرو عبد الرحمن بن عمرو الاوزاعى الامام الفقيه الحجة الورع ، سمع من الزهرى وعطاء بن رباح ، وابن ابى كثير ، وعنه أخذ الثورى وابن المبارك وخلق كثير . كان مولده ببعلبك سنة ٨٨ ﻫ وتوفى ببيروت سنة ١٥٧ ﻫ

(٣) هو مكحول الشامى ، أصله من كابل مولى من موالى العرب ، كان تقيا ورعا مات سنة ١١٢ ﻫ

عبد الله بن دينار قال: قال صلى الله عليه وسلم إن الله كره لكم اللعب فى الصلاة والرفث فى الصيام والضحك فى المقابر .

وقال أزدشير مرة : إحذروا صولة الكريم إذا جاع واللئيم إذا شبع . وقال واصلُ بنُ عطاء : المؤمن إذا جاع صبر وإذا شبع شكر . وقيل لعامرِ بنِ عبدِ قيسٍ : ما تقول فى الإنسان ؟ قال : ماعسى أن أقول فيمن إذا جاع ضرعَ وإذا شبع طغى .

ونظر أعرابى فى سفره إلى شيخ قد صحبه فرآه يصلى فسكن اليه، فلما قال : أنا صائم . ارتاب به وأنشأ يقول :

صَلَّى فأعْجَبَنِى وصَامَ فرَابنى عَدِّ القَلوصَ عَن المُصَلِّى الصَّائمِ

وهو الذى يقول :

لَمْ يَخلُقِ اللهُ مَسجُوناً تُسائلهُ مابالُ سِجْنِكَ إلاَّ قال مَظلُومُ

عن يحيى بنِ جَعْدَةَ ، قال: كان يقال: إعمل وأنت مشفق ودع العمل وأنت تحبه . وقيل لرابعةِ القيْسيةِ : هل عملتِ عملا قط ترين أنه يُقبل منكِ ؟ قالت: إن كان شىء فخوفى من أن يُرد علىَّ .

قال محمدُ بنُ كعبِ القرُظى لِعُمَرَ بنِ عبد العزيزِ : يا أمير المؤمنين لاتنظرن إلى سلعة قد بارت على من كان قبلك تريد أن تجوز عنك .

الحسن قال : كان مَن قبلكم أرق قلوباً وأصفق ثياباً ، وأنتم أرق منهم ثياباً وأصفق قلوباً .

عبد الله بن المبارك قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى الجَرّاح بن عبدِ الله الحَكَمِىّ : إن استطعت أن تدع مما أحل الله لك ما يكون حاجزاً بينك و بين ما حرم الله عليك فافعل ، فانه من استوعب الحلال كله تاقت نفسه إلى الحرام .

وقال أبو بكر رضى الله تعالى عنه لخالدِ بْنِ الوليد حين وجهه : إحرص على الموت توهب لك الحياة . وقال رجل : أنا أحب الشهادة ؟ فقال رجل من النساك : أحبها

إن وقعت عليك ولا تحبها حب من يريد أن يقع عليها . وقال رجل لداوُدَ بن نُصَيْر الطائى العابد : أوصنى ؟ فقال : إجعل الدنيا كيوم صُمتَهُ واجعل فطرك الموت فكأن قد ، والسلام . قال : زدنى ؟ قال : لا يراك الله عند ما نهاك عنه ، ولا يفقدك عند ما أمرك به . قال : زدنى ؟ قال . إرض باليسير مع سلامة دينك كما رضى قوم باليسير مع هلاك دينهم . قال رجل ليونس بن عُبيد[1] أتعلم أحدا يعمل بعمل الحسن ؟ قال : والله ما أعرف أحداً يقول بقوله فكيف يعمل بمثل عمله ! قال . فصفه لنا ؟ قال : كان إذا أقبل فكأنما أقبل من دفن حميمه ، وإذا جلس فكأنه أسير قد أمر بضرب عنقه ، وكان إذا ذكرت النار عنده فكأنها لم تخلق إلا له . وهيب بن الورد قال : بينا أنا أدور فى السوق إذ أخذ آخذٌ بقفائى فقال لى: يا وهيب ، اتق الله فى قدرته عليك واستحى الله فى قربه منك . وقال عَبدُ الواحدِ بنُ زيدٍ: ألا تستحيون من طول ما لا تستحيون؟ الهيثم قال : كان شيخ من أعراب طيء كثير الدعاء بالمغفرة له ، فقيل له فى ذلك، فقال : والله إن دعائى بالمغفرة مع قبيح إصراري للؤم ، وإن تركى الدعاء مع قوة طمعى لعجز : قال أبو بشر صالح المرى إن تكن مصيبتك فى أخيك أحدثت لك خشية فنعم المصيبة مصيبتك ، وإن تكن مصيبتك بأخيك أحدثت لك جزعا فبئس المصيبة مصيبتك . وقال عمرو بن عبيد لرجل يعزيه : كان أبوك أصلك وإبنك فرعك ، فما بقاء شيء ذهب أصله ولم يبق فرعه

وقال الحسن : إن امرأ ليس بينه وبين آدم إلا أب قد مات لمُعْرِقٌ فى الموت. وقالوا : أعظم من الذنب اليأس من الرحمة ، وأشد من الذنب المماطلة بالتوبة. سيار بن عبد الرحمن قال : قال لى بكير بن الأشج : مافعل خالك ؟ قلت لزم بيته قال: أما لئن فعل لقد لزم قوم من أهل بدر بيوتهم بعد مقتل عثمان رضى الله تعالى عنه فما خرجوا منها إلا إلى قبورهم . وقال الحسن : إن لله ترائكَ فى خلقه لولا ذلك لم ينتفع النبيون وأهل الانقطاع إلى الله بشيء من أمور الدنيا ، وهى : الأمل ،

(١) اصل يونس بن عبيد بن عبد القيس، وكان ورعا تقيا صالحا ، مات سنة ١٣٨ هـ

والأجل ، والنسيان . وقال مُطرف بن عبد الله لابنه : يابنى لايلهينك الناس عن نفسك ، فان الأمر خالص إليك دونهم ، إنك لم تر شيئاً هو أشد طلباً ولا أسرع دَرَكا من توبة حديثة لذنب قديم .

وفى الحديث أن أبا هريرة مرَّ بمَرْوان[١] وهو يبنى داره فقال: يا أبا عبدالقدوس، ابنِ شديداً وأمِّل بعيداً وعش قليلا وكل خضما والموعد الله ! وكان عمْرُو ابن خَوْلَة أبو سَعيدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ سَعيدِ بْنِ العاص ، وأمه خولة من المسامعة ، وكان ناسكا يجتمع إليه القراء والعلماء يوم الخميس ، فقال الشاعر :

وَأَصْبَحَ زَوْرُكَ زَوْرَ الخميس ... إِلَيْكَ كَمَرْعِيَّةٍ وَارِدَه[٢]

وقال الآخر [وذكر] ابن سيرين :

فَأَنْتَ بِاللَّيْلِ ذِئْبٌ لَاحَرِيمَ لَهُ ... وَبِالنَّهَارِ عَلَى سَمْتِ ابن سيرين

وقال ابن الاعرابى : قال بعض الحكماء : لايغلبن جهل غيرك بك علمك بنفسك.

قال : وصلى محمد بنُ المُنْكَدِر[٣] على « عمران بقرة » فقيل له فى ذلك فقال : إنى لأستحيى من الله أن أرى أن رحمته تعجز عن عمران بقرة .

باب

وقال محمد بن يسير :[٤]

(١) هو مروان بن الحكم . ولا أدرى كيف كناه بابى عبد القدوس وكنيته أبو عبد الملك !

(٢) الزور جمع زائر . المرعية : الماشية التى ترعى . وارده : يعنى على الماء

(٣) هو محمد بن المنكدر بن هدير من بنى تيم رهط أبى بكر الصديق ، كان تقيا فاضلا ، مات سنة ١٣١ هـ

(٤) مضت ترجمته فى ص ٦٩ من الجزء الاول . وهذان البيتان اللذان أوردهما له الجاحظ من ابيات رواها المبرد هكذا :

ويل لمن لم يرحم الله ... ومن تكون النار مثواه
ياحسرتى فى كل يوم مضى ... يذكرنى الموت وانساه
من طال فى الدنيا به عمره ... وعاش فالموت قصاراه
كأنه قد قيل فى مجلس ... قد كنت آتيه واغشاه
صار اليسيرى الى ربه ... يرحمنا الله وإياه

كأنَّهُ قدْ قيلَ في مَجْلسٍ ... قدْ كنتُ آتيهِ وَأغشاهُ
مُحمدٌ صارَ إلى رَبِّهِ ... يَرْحمُنَا اللهُ وإيَّاهُ

وقال الآخر:(١)

لَقلَّ عاراً إذا ضيفٌ تضيَّفني ... ما كانَ عندي إذا أعطيتُ مجهودي
فَضلُ المُقلِّ إذا أعطاهُ مُصطبرٌ ... ومُكثرٌ في الغنَى سيَّانِ في الجُودِ
لا يعْدَمُ السائلونَ الخيرَ أفعَلُهُ ... إمَّا نوالٌ وإمَّا حُسْنُ مَرْدُودِ

وكان الرّبيع بن خيثم إذا قيل له: كيف أصبحت؟ قال: أصبحنا ضعفاء مذنبين نأكل أرزاقنا وننتظر آجالنا. وقال ابن المقفع: الجود بالمجهود منتهى الجود. قال مطرف بن عبد الله: كان يقال: لم يلتق مؤمنان إلا كان أفضلها أشدهما حباً لصاحبه، وكنت أرى أني أشد حباً لمذعور بن طفيل منه لي، فلما سُيِّرَ لقيني ليلا فحدثني فقلت: ذهب الليل؟ قال: ساعة! قلت: ذهب الليل؟ قال: ساعة! فعلمت أنه كان أشد حباً لي مني له، فلما أصبح سيَّره ابنُ عامر مع عامر(٢)

وقالوا لعيسى بن مريم عليه السلام: من نجالس؟ قال: من تذكركم بالله رؤيته ويزيد في علمكم منطقه ويرغبكم في الآخرة عمله.

إسحق بن ابراهيم قال: دخلنا على كهمس العابد فجاءنا باحدى عشر بُسْرة حمراء فقال: هذا الجهد من أخيكم، والله المستعان. السّكن الحرشي قال: إشتريت من أبي المنهال سيار بن سلامة شاة بستين درهماً فقلت: تكون عندك حتى آتيك بالثمن. قال: ألست مسلماً! قلت: بلى! قال: فخذها! فأخذتها ثم انطلقت فأتيته بالستين فأخرج منها خمسة دراهم وقال: إعلفها بهذه.

(١) قد روى هذه الابيات أبو الفرج الاصبهاني لمحمد بن بسير نفسه قال: قال محمد بن سعد: كنا في خلقة التوزي فلما تقوضت انشدنا محمد بن بسير لنفسه:

جهد المقل اذا اعطاه مصطبر ... او مكثر من غنى سيان في الجود
لايعدم السائلون الخير افعله ... إما نوال وإما حسن مردود

(٢) سيره: نفاه إلى المدينة. وابن عامر: هو عبد الله بن عامر وقد مضت ترجمته في ص ٢٥٢ من الجزء الاول. وعامر: هو ابن عبد قيس وقد مضت ترجمته في ص ٨٣ من الجزء الاول

وقال مُساوِرُ الْوَرّاقُ (١) لابنه :

شَمِّرْ قَمِيصَكَ وَاسْتَعِدَّ لِقَائِلٍ ... وَاحْكُكْ جَبِينَكَ لِلْقَضَاءِ بِثُومِ

وَاجْعَلْ صِحَابَكَ كُلَّ حِبْرٍ نَاسِكٍ ... حَسَنِ التَّعَهُّدِ لِلصَّلَاةِ صَؤُومِ

مِنْ ضَرْبِ حَمَّادٍ هُنَاكَ وَمِسْمَعٍ ... وَسِمَاكٍ الْعَنْبِيِّ وَابْنِ حَكِيمِ

وَعَلَيْكَ بِالْغَنَوِيِّ فَاجْلِسْ عِنْدَهُ ... حَتَّى تَنَالَ وَدِيعَةً لِيَتِيمِ

قال : بينما سليمان بنُ عبد الملك يتوضأ ليس عنده غير خاله والغلام يصب عليه إذ خر الغلام ميتاً فقال سليمان :

قَرِّبْ وَضُوءَكَ يَاحُصَيْنُ فَإِنَّمَا ... هَذِى الْحَيَاةُ تَعِلَّةٌ وَمَتَاعُ

ونظر سليمان فى مرآه فقال : أنا الملك الشاب ! فقالت جارية له :

أَنْتَ نِعْمَ الْمَتَاعُ لَوْ كُنْتَ تَبْقَى ... غَيْرَ أَنْ لَا بَقَاءَ لِلْإِنْسَانِ

وقيل لِسَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ : إنَّ مُحَمَّدَ بنَ إِبْرَاهِيمَ بن محمد بن طَلْحَة سقط عليه حائط فقتله ! فقال : إن كان لوصولاً لرحمه ، فكيف يموت ميتةَ سوءٍ ؟

وقال أسماء :

عَيَّرَتْنِى خَلَقًا أَبْلَيْتُ جِدَّتَهُ ... وَهَلْ رَأَيْتَ جَدِيدًا لَمْ يَعُدْ خَلَقًا ؟

---

(١) هو مساور بن سوار بن عبد الحميد . شاعر كوفى ظريف من اصحاب الحديث وروانه ، روى عن صدر من التابعين ، وروي عنه وجوه اصحاب الحديث ، وهذه الأبيات رواها ابو الفرج الأصبهانى بسنده مع زيادة وتغيير قليل هكذا :

شمر ثيابك واستعد لقائل ... واحكك جبينك للقضاء بثوم

إن الفهود صفت لكل مشمر ... دبر الجبين مصفر موسوم

احسن وصاحب كل قارناسك ... حسن التعهد للصلاة صؤم

من ضرب حماد هناك ومسعر ... وسماك العنكى وابن حكيم

وعليك بالغنوى فاجلس عنده ... حتى تصيب وديعة ليتيم

تغنيك عن طلب البيوع نسيئة ... وتكف عنك لسان كل غريم

وإذا دخلت على الربيع مسلما ... فاخصص شبابة منك بالتسليم

وتمثَّلَ عبدُ الملكِ بن مروان فقال :

وَكلُّ جَديدٍ يا أُمَيمُ إلَى بِلًى ... وَكلُّ امرئٍ يوماً يَصِيرُ إلى كانا

وقال آخر :

فاعملْ عَلى مَهلٍ فإنَّكَ ميِّتٌ ... وَاكْدحْ لِنفسِكَ أيُّها الإنسانُ

فكأنَّ ماقدْ كانَ لمْ يكُ إذْ مضَى ... وَكأنَّ ماهُو كائنٌ قدْ كانا

وكان عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه يقول : إنى لأكره أن يأتى على يوم لا أنظر فيه إلى عهد الله ، يعنى المصحف . وكان عثمان رضى الله تعالى عنه حافظا وكان حجره لا يكاد يفارق المصحف ، فقيل له فى ذلك فقال : إنه مبارك جاء به مبارك . ولما مات الحجاج خرجت عجوز من داره وهى تقول :

اليَوْمَ يَرْحمُنا مَنْ كانَ يَغبِطُنا ... وَاليَوْمَ نَتْبعُ مَنْ كانوا لَنا تَبعَا

حدثنى بكر بن المُعتَمِر عن بعض أصحابه قال : قال أبو عثمان النَّهْدِىُّ[1] أتت على ثلاثون ومئة سنة مامنى شىء إلا وقد أنكرته إلا أملى فإنه يزيد .

وقال مِسْوَرُ بنُ مَخرَمة[2] لجلسائه : لقد وارت الأرض أقواماً لو رأونى معكم لاستحييت منهم . وأنشدنى أعرابى :

مَا يَمنَعُ النَّاسُ شَيئاً جِئْتُ أطْلُبهُ ... إلاَّ أرَى اللهَ يَكْفِى فقدَ مامنعُوا

وجزع بكر بنُ عبد الله على امرأته فوعظه الحسن فجعل يصف فضلها ، فقال الحسن : عند الله خير منها ! فتزوج أختها فلقيه بعد ذلك فقال : يا أبا سعيد ، هى خير منها . وأنشد :

---

(١) هو عبد الرحمن بن مل من قضاعة ، أدرك النبى ولم يره ، شهد فتح القادسية وجلولاء وتستر ونهاوند واليرموك وأذربيجان . وكان يسكن الكوفة فلما قتل الحسين بن على تحول إلى البصرة ، وبها مات سنة ٧٥ هـ

(٢) هو المسور بن مخرمة بن نوفل بن عبد مناف . أمه أخت عبد الرحمن بن عوف . كان يعدل بالصحابة وليس منهم . قال يوماً : إن يزيد بن معاوية يشرب الخمر ! فجلده معاوية الحد فقال :

أيشربها صرفا يفك ختامها ... أبو خالد ويجلد الحد مسور ؟

وكان مع ابن الزبير بمكة فأصابه حجر فمات سنة ٦٤ هـ

يُؤَمِّلُ أَنْ يُعَمَّرَ عُمْرَ نُوحٍ ... وَأَمْرُ اللهِ يَطْرُقُ كُلَّ لَيْلَهْ

الحسن قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : المسلم على أخيه ست خصال : يسلم عليه إذا لقيه ، و ينصح له إذا غاب ، ويعوده إذا مرض ، و يشيع جنازته إذا مات ويجيبه إذا دعا ، و يشمته اذا عطس . وقال أعرابى :

تُبَصِّرُنى بالْعَيْشِ عِرْسِى كأَنَّما ... تُبَصِّرُنِى الْأَمْرَ الَّذِى أَنَا جَاهِلُهْ

يَعيشُ الْفَتَى بالْفَقْرِ يَوْمًا وَبالْغِنَى ... وَكُلًّا كأَنْ لم يَلْقَ حِينَ يُزَايِلُهْ

وأنشد أبو صالح :

وَمُشَيِّدٍ دَارًا لِيَسْكُنَ دَارَهُ ... سَكَنَ الْقُبُورَ وَدَارُهُ لم تُسْكَنِ

وكان صالح المرى أبو بشر ينشد فى قصصه ، وأنشد غيره :

فَبَاتَ يُرَوِّى أُصُولَ الْفَسِيلِ ... فَعَاشَ الْفَسِيلُ وَمَاتَ الرَّجُلْ (١)

وقال الآخر :

إذا أَبْقَتِ الدُّنْيَا عَلَى المَرْءِ دِينَهُ ... فَمَا فَاتَ مِنْ شَىْءٍ فَلَيْسَ بِضَائِرِ

فَلَنْ يَعْدِلَ الدُّنْيَا جَنَاحَ بَعُوضَةٍ ... وَلَا وَزْنَ زِفٍّ مِنْ جَنَاحٍ لِطَائِرِ (٢)

فَمَا رَضِىَ الدُّنْيَا ثَوَابًا لِمُؤْمِنٍ ... وَمَا رَضِىَ الدُّنْيَا عِقَابًا لِكَافِرِ

وقال آخر :

أَبَعْدَ بِشْرٍ أَسِيرًا فِى بُيُوتِهِمُ ... يَرْجُو الْخِفَارَةَ مِنِّى آلُ ظَلَّامِ (٣)

فَلَنْ أُصَالِحَكُمْ مَا دُمْتُ ذَا فَرَسٍ ... وَاشْتَدَّ قَبْضًا عَلَى السِّيلَانِ إِبْهَامِى (٤)

فَإِنَّمَا النَّاسُ يَاللهِ أُمَّتُهُمْ ... أَكَائِلُ الطَّيْرِ أَوْ جِثْوُ لِآرَامِ

هُمْ يَهْلِكُونَ وَيَبْقَى بَعْضُ مَا صَنَعُوا ... كَأَنَّ آثَارَهُمْ خُطَّتْ بِأَقْلَامِ

(١) الفسيل : صغار النخل حين تغرس

(٢) الزف : الريش الصغير

(٣) الخفارة : الذمة والأمانة

(٤) السيلان : قائم السيف أو مقبضه

وأنشد لمحمد بن يسير :

عَجَباً لِى وَمَنْ رِضَائى بِحَالِ ... أَنَا مِنْهَا عَلَى شَفَا تَغْرِيرِ
عَالِماً لَا أَشُكُّ أَنِّى إِذَا مِتُّ ... إِلى عَدْن أَوْ عَذَابِ السَّعِيرِ
كُلَّمَا مَرَّ بِى عَلَى أَهْلِ نَادٍ ... كُنْتُ حِيناً بِهِمْ كَثِيرَ الْمُرُورِ
قِيلَ مَنْ ذَا عَلَى سَرِيرِ الْمَنَايَا ... قِيلَ هَـذَا مُحَمَّدُ بْنُ يَسِيرِ

وأنشد :

لِـكُلِّ أُنَاسٍ مَقْبَرٌ لِفَنَائِهِمْ ... فَهُمْ يَنْقُصُونَ وَالْقُبُورُ تَزِيدُ
هُمُ جِيرَةُ الْأَحْيَاءِ أَمَّا مَحَلُّهُمْ ... فَدَانٍ وَلَـكِنَّ اللِّقَاءَ بَعِيدُ

وقال أبو العتاهية :

سُبْحَانَ ذِى الْمَلَـكُوتِ أَيَّةُ لَيْلَةٍ ... مَخَضَتْ بِوَجْهِ صَبَاحِ يَومِ الْمَوْقِفِ
لَوْ أَنَّ عَيْناً وَهَّمَتْهَا نَفسها ... مَافِى الْفِرَاقِ مُصَوَّرًا لَمْ تَطْرِفِ

وقال أبو العتاهية :

يَا خَاطِبَ الدُّنْيَا إِلَى نَفْسِهَا ... تَنَحَّ عَنْ خِطْبَتِهَا تَسْلَمِ
إِنَّ الَّتِى تَخْطُبُ غَرَّارَةٌ ... سَرِيعَةُ الْعُرْسِ مِنَ الْمَأْتَمِ

وقال الآخر :

نَادَاهُمَا بِفِرَاقِ بَيْنِهِمَا الزَّمَانُ فَأَسْرَعَا
وَكَذَاكَ مَازَالَ الزَّمَانُ مُفَرِّقًا مَاجَمَّعَا

وقال الآخر :

يَاوَيْحَ هَذِى الْأَرْضِ مَاتَصْنَعُ ... أَكُلَّ حَىٍّ فَوْقَهَا تَصْرَعُ
تَزْرَعُهُمْ حَتَّى إِذَا مَا أَتَوْا ... عَادَتْ لَهُمْ تَحْصُدُ مَا تَزْرَعُ

وقال الآخر :

ذَكَرْتُ أَبَا أَرْوَى فَبِتُّ كَأَنَّنِى ... بِرَدِّ أُمُورِ الْمَاضِيَاتِ وَكِيلُ

لِكلِّ اجْتماعٍ مِنْ خَلِيلَيْنِ فُرْقَةٌ ... وَكلُّ الَّذِى دُونَ المَمَاتِ قَلِيلُ
وَإِنَّ افْتِقَادِى وَاحِداً بَعْدَ وَاحِدٍ ... دَلِيلٌ عَلَى أَنْ لاَيَدُومَ خَلِيلُ

وقال محمد بن المستنير: [1] إذا أيسر الرجل ابتلى به أربعة: مولاه القديم يَنتفى منه، وامرأته يتسرى عليها، وداره يهدمها ويبنى غيرها، ودابته يستبدل بها. وقال الآخر:

يُجَدِّدُ أحزاناً لنا كلُّ هالِكٍ ... وَنُسْرِعُ نِسْيَاناً وَلَمْ يَأْتِنا أَمْنُ
وَإِنَّا وَلاَ كُفْرَانَ للهِ رَبِّنا ... لَكالبُدْنِ لاَ تَدْرِى مَتَى يَوْمُهَا البُدْنُ

ابنُ مَسعُود قال: ثلاث من كن فيه دخل الجنة: مَن إذا عرف حق الله عليه لم يؤخره، وكان عمله الصالح فى العلانية على قِوام من السريرة، وكان قد جمع مع ماقد عمل صلاح ما يؤمله. وقال: كفى موعظة أنك لا تحيى إلا بموت ولا تموت إلا بحياة. وقال أبو نواس:

شَاعَ فِىَّ الْفَنَاءُ عُلْوًا وَسُفْلاً ... وَأَرَانِى أَمُوتُ عُضْوًا فَعُضْوَا
ذَهَبَتْ جِدَّتِى بِطَاعَةِ نَفْسِى ... وَتَذَكَّرْتُ طَاعَةَ اللهِ نِضْوَا [2]

وقال الآخر:

وَكَمْ مِنْ أُكْلَةٍ مَنَعَتْ أَخَاهَا ... بِلَذَّةِ سَاعَةٍ أَكَلاَتِ دَهْرِ
وَكَمْ مِنْ طَالِبٍ يَسْعَى لِشَىْءٍ ... وَفِيهِ هَلاَكُهُ لَوْ كَانَ يَدْرِى

وقال الآخر:

كُلُّ امْرِىءٍ مُصَبَّحٌ فى أَهْلِهِ ... وَالْمَوْتُ أَدْنَى مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ

وقال آخر:

وَاسْتَيْقِنِى فى ظُلَمِ الْبُيُوتِ ... أَنَّكِ إِنْ لَمْ تُقْتَلِى تَمُوتِى

(١) كان بالاصول: محمد بن المنتشر. وهو خطا والصواب ما اثبتناه. وقد مضت ترجمته فى ص ٩ من الجزء الاول

(٢) النضو المزيل

وقال عنترة :

بكرت تخوفني الحتوف كأنني أصبحت عن غرض الحتوف بمعزل
فأجبتها إن المنية منهل لا بد أن أسقى بكأس المنهل
فاقني حياءك لا أبا لك واعلمي أني امرؤ سأموت إن لم أقتل (١)
إن المنية لو تصور صورت مثلي إذا نزلت بضنك المنزل

وقال أبو العتاهية :

أذن حي تسمعي واسمعي ثم عي وعي
عشت تسعين حجة ثم وافيت مضجعي
أنا رهن لمصرعي فاحذري مثل مصرعي
ليس زادا سوى التقى فخذي منه أو دعي

وقال الخليل بن أحمد :

عش ما بدا لك قصرك الموت لا مهرب منه ولا فوت (٢)
بينا غني بيت وبهجته آل الغني وتقوض البيت

وقال أبو العتاهية :

إسمع فقد أسمعك الصوت إن لم تبادر فهو الفوت
نل كلما شئت وعش سالماً آخر هذا كله الموت

وقال الوزيري :

وأعلم أنني سأصير ميتاً إذا سار النواجع لا أسير
وقال السائلون من المسجى فقال المخبرون لهم وزير (٣)

وقال أبو العتاهية

ألحق أوسع من مجا لة الهوى ومضيقه

---

(١) فاقني حياءك : عليك حياءك فاحفظيه ولا تبذليه
(٢) قصرك غايتك
(٣) المسجى : الملتف في أكفانه

لاتعرضن لكل أمـ ـر أنت غير مطيقه
والعيش يصلح إن مزجـ ـت غليظه برقيقه
لا يخدعنك زخرف الـ ـدنيا بحسن بريقه
وإذا رأيت الرأي مضـ ـطربا فخذ بوثيقه
ولربما غص البخيـ ـل إن استميل بريقه

وقال أيضاً

من أجاب الهوى إلى كل ما يدعـ ـوه مما يضل ضل وتاها
ومن رأى عبرة ففكر فيها آذنته بالبين حين يراها
ربما استغلقت أمور على من كان يأتي الأمور من مأتاها
وسيأوي إلى يدي كل ما تأ تي ويأوي إلى يد حسناها
قد تكون النجاة تكرهها النفـ ـس وتأتي ما كان فيه رداها

وقال أيضاً:

لو أن عبداً له خزائن ما في الـ أرض ماعاش خوف إملاق
يا عجباً كلنا يحيد عن الـ حين وكل لحينه لاق
كأن حياً قد قام نادبه والتفت الساق منه بالساق
واستل منه حياته ملك المو ت خفياً وقيل من راق

وقال السموأل بن عادياء (١)

تعيرنا أنا قليل عديدنا فقلت لها إن الكرام قليل
وما قل من كانت بقاياه مثلنا شباب تسامى للعلى وكهول
وما ضرنا أنا قليل وجارنا عزيز وجار الأكثرين ذليل

(١) شهرت هذه القصيدة بانها للسموءل ، مع ان الرواة اختلفوا فى نسبتها ، فقالوا هى لشريح بن السموءل ، او لدكين ، او لعبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي ، او للجلاح الحارثى . والظاهر ان لكل من هؤلاء شعرا من هذا البحر والقافية دخل بعضه فى بعض ثم فاز بنسبتها السموءل وحده

فَنَحْنُ كَماءِ المُزْنِ مافِى نِصابِنا　　كَهامٌ ولاَ فِينا يُعَدُّ بَخِيلُ
وَأَسْيافُنا فى كلِّ شَرْقٍ وَمَغْرِبٍ　　بِها مِنْ قِراعِ الدَّارِعِينَ فُلُولُ
مُعَوَّدَةٌ أَنْ لا تُسَلَّ نِصالُها　　فَتُغْمَدَ حَتَّى يُسْتَباحَ قَبِيلُ
سَلِى إنْ جَهِلْتِ الناسَ عَنَّا وَعَنْهُمُ　　وَلَيْسَ سَواءً عالِمٌ وَجَهُولُ

وقال الربيعُ بنُ أبى الحُقيق :

وَمَنْ يَكُ عاقِلاً لَمْ يَلْقَ بُؤْساً　　يُنِخْ يَوْماً بِساحَتِهِ القَضاءُ
تعاوِرُهُ بناتُ الدَّهْرِ حَتَّى　　تُثَلِّمَهُ كما ثُلِمَ الإِناءُ(١)
وَكلُّ شَدِيدَةٍ نَزَلَتْ بِحَيٍّ　　سَيأْتِى بَعْدَ شِدَّتِها رَخاءُ
وَبَعْضُ خَلائِقِ الأَقْوامِ داءٌ　　كَداءِ الشَّيْخِ لَيْسَ لَهُ دَواءُ

وأنشد :

قدْ حالَ مِنْ دُونِ لَيْلَى مَعْشَرٌ قُدُمٌ　　وَهُمْ على ذاكَ مِنْ دُونِى مَوالِيها(٢)
وَاللهُ يَعْلَمُ أَنِّى إن أَتَتْ حِجَجٌ　　وَحِيلَ مِنْ دُونِها أَنْ لَسْتُ ناسِيها

وأنشد :

وَلَيلٍ يَقُولُ القَوْمُ مِنْ ظُلُماتِهِ　　سَواءٌ بَصِيراتُ العُيونِ وَعُورُها
كَأَنَّ لَنا مِنْهُ بُيُوتاً حَصِينَةً　　مُسُوحاً أَعالِيها وَساجاً كُسُورُها(٣)

وقالوا : أتى سَعِيدُ بنُ عَبْدِ الرَّحمٰن بن حسّان أبا بكر بنَ محمد بن عمرو ابن حَزْم وهو عامل سُليمان بن عَبْدِ الملك ، فسأله أن يكلم سُليمان فى حاجة له فوعده أن يُقضيها فلم يفعل ، وأتى عُمَر بنَ عَبْدِ العزيز فكلمه فقضى حاجته ؛ فقال سَعيدٌ :

ذُمِمْتَ وَلَمْ تُحْمَدْ وَأَدْرَكْتُ حاجَتِى　　تَوَلَّى سِواكُمْ شُكْرَها وَاصْطِناعَها

---

(١) تعاوره : تتناوله . بنات الدهر احداثه ومصائبه . تثلمه : تأخذ من جوانبه وتهد اركانه
(٢) قدم : سادة اجواد
(٣) الساج : خشب صلب من شجر عظام لا تكاد الارض تبليه

أبى لكَ فِعلَ الخيرِ رأىٌ مُقصِّرٌ ونفسٌ أضاقَ اللهُ بالخيرِ باعها
إذا هي حثّتهُ على الخيرِ مرّةً عصاها وإنْ همّتْ بشرٍّ أطاعها
سيكفيكَ ما ضيّعتَ منها وإنّما يُضيعُ الأُمورَ سادراً مَنْ أضاعها (١)
وِلايةُ مَنْ وَلاكَ سُوءَ بَلائِها وولّى سِواكَ أجرَها واصطِناعها

وأنشد:

إذا ما أطعتَ النفسَ مالَ بكَ الهوى إلى كلّ ما فيهِ عليكَ مَقالُ

وأنشد:

حَسْبُ الفتى مِنْ عَيشِهِ زادٌ يُبلِّغُهُ المَحلّا
خُبزٌ وماءٌ بارِدٌ والظِّلُّ حينَ يُريدُ ظِلّا

وأنشد:

وما العيشُ إلّا شَبعةٌ وتشرُّقٌ وتمرٌ كأخفافِ الرِّباعِ وماءُ (٢)

قالوا: إستبطأ عبد الملك بنُ مروان ابنهُ مسلمةَ (٣) في مسيره إلى الروم فكتب إليه:

لِمَنِ الظعائنُ سيرُهُنّ تزحُّفُ سيرَ السفينِ إذا تقاعسَ تُجذَفُ

فلما قرأ مسلمةُ الكتاب كتب إليه:

ومُستعجِبٍ ممّا يرى مِنْ أناتِنا ولوْ زبنَتْهُ الحربُ لمْ يترمرمِ

ومسلمة هو القائل عند مادُلّي بعضهم في قبره (٤) فتمثل بعض من حضر فقال:

وما كانَ قيسٌ هُلكُهُ هُلكَ واحدٍ ولكنّهُ بُنيانُ قومٍ تهدّما

قال مسلمةُ: لقد تكلمت بكلمة شيطان، هلا قلت:

إذا مُقرمٌ منّا ذرا حدُّ نابهِ تخمّطَ فينا نابُ آخرَ مُقرمِ

(١) السادر: الذى لا يبالى ماصنع
(٢) الرباع: الفصلان تنتج فى الربيع
(٣) مضت ترجمته فى ص ١٧٨ من الجزء الاول
(٤) بعضهم: هو عبد الملك بن مروان

وكان مَسلمة شجاعا خطيبا وبارع اللسان جوادا ، ولم يكن فى ولد عبد الملك مثله ومثل هشام بعده . وقال بعض الأعراب يهجو قوما :

تَصبَّرْ للبلاءِ الجَمِّ صبْراً ... إذا جاوَرْتَ حَىَّ بنى أبانِ
أقاموا الدِّيْدَبانَ على يَفاعٍ ... وقالوا لى احْتَرِسْ للدَّيْدَبانِ
فإنْ أبصرْتَ شخصاً من بعيدٍ ... فصَفِّقْ بالبَنانِ على البَنانِ
تَراهُم خَشْيةَ الأضيافِ خُرْساً ... يُقيمونَ الصلاةَ بلا أذانِ

وقال بعض الأعراب يمدح قوماً :

وَسارٍ تعنّاهُ المَبيتُ فلَمْ يَدَعْ ... له حابسُ الظَّلْماءِ وَالليلِ مَذْهَبا
رَأى نارَ زَيْدٍ مِنْ بَعيدٍ فَخالَها ... وَقَدْ كَذَبَتْهُ النَّفسُ والظَّنُّ كَوْكَبا
رَفعتُ لهُ بالكفِّ ناراً تَشُبُّها ... شآمِيةٌ نَكْباءُ أوْ عارِضٌ صَبا (١)
وَقلتُ ارْفَعُوها بالصَّعيدِ كَفى بِنا ... مُشيراً لِسارِى لَيْلَةٍ إنْ تأوَّبا
فَلمّا أتانَا وَالسَّماءُ تَبُلُّهُ ... نقولُ له أهلاً وَسهلاً وَمرْحَبا (٢)
وَقُمْتُ إلَى البَرْكِ الهَواجِدِ فاتَّقتْ ... بِكَوْماءَ لمْ يَتْرُكْ لهَا النَّىُّ مَهْرَبا (٣)
فَرَحَّبْتُ أعْلَى الجَنْبِ مِنهَا بِطَعْنَةٍ ... دَعتْ مُسْتكِنَّ الجَوْفِ حَتَّى تَصَبَّبا

وقال أبو سعيد الزاهد : من عمل بالعافية فيمن دونه أعطى العافية ممن فوقه . وقال عيسى بن مريم عليه السلام (٤) فى المال ثلاث خصال ، قالوا : وما هى ياروح الله ؟ قال : يكسبه من غير حِلّه ! قالوا : فإن كسبه من حله ؟ قال : يمنعه من حقه ! قالوا : فإن وضعه فى حقه ؟ قال : يشغله إصلاحه عن عبادة ربه . قيل لرجل ريض : كيف تجدك ؟ قال : أجدنى لم أرض حياتى لموتى . سعيد بن بشير عن

(١) شآمية نكباء : ريح تهب بين الصبا والشمال
(٢) السماء ههنا : المطر
(٣) البرك الهواجد : الابل البوارك حول البيوت . الكوماء : الناقة العظيمة السنام . النى : الشحم
(٤) كل كلام منسوب هنا لسيدنا عيسى مولد عليه ولا أصل له

أبيه أن عبد الملك قال ، حين ثقل ورأى غسالا يلوى ثوباً بيده : وددت أنى كنت غسالا لا أعيش إلا بما أكتسب يوماً فيوماً ! فذكر ذلك لأبى حازم فقال : الحمد لله الذى جعلهم عند الموت يتمنون ما نحن فيه ولا نتمنى عند الموت ماهم فيه. قال أبو ذر : فارقت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوتى من الجمعة الى الجمعة مُدٌّ ، ولا والله لا أزداد عليه حتى ألقاه . قال : وكان يقول : انما مالك لك أو للجائحة أو للوارث ، فاغنَ ولا تكن أعجز الثلاثة . عن أبى أُمامة الباهلى قال : قال عمر رضى الله تعالى عنه : أدبوا الخيل وتسوكوا واقعدوا فى الشمس ولا تجاورنكم الخنازير ولا يُرفعن فيكم الصليب ولا تأكلوا على مائدة تشرب عليها الخمر وإياكم وأخلاق العجم ولا يحل لمؤمن أن يدخل الحمام الا بمئزر ولا لامرأة الا من سُقم ، فان عائشة رضى الله تعالى عنها حدثتنى قالت : حدثنى خليلى على مفرشى هذا قال : «اذا وَضعَتِ المرْأةُ خِمارَهَا فى غَيْرِ بَيْتِ زَوْجِها هَتكَتْ ما بَيْنَها وبَينَ اللهِ فلَم تَنَاهَى دُون العرْش »

نساك البصرة وزهادها

عامرُ بنُ عبد قَيسٍ وبَحَالَةُ بنُ عَبْدَةَ العنبريان ، وَعُثمانُ بنُ أدْهَمْ ، والأسوَدُ بنُ كُلثُومٍ ، وَصِلَةُ بنُ أشْيَمٍ ، ومَذْعورُ بنُ الطفيل ؛ ومن بنى منقر : جَعْفرٌ وَحَربُ ابنا جِرْفاس . كان الحسن يقول : انى لا أرى كالجعفرين جعفرا ، يعنى جعفرَ بنَ جرْفاس وجعفرَ بنَ زَيْدٍ العبدِيَّ . ومن النساء مَعاذَةُ العدَوِيَّةُ امرأةُ صلة بن أشيم ورَابعةُ القَيسيةُ

نساك الكوفة وزهادها

عمرُو بنُ عتبةَ ، وهمَّامُ بنُ الحرث ، والربيعُ بنُ خيثم ، وأويسُ القرنى

وقال الراجز :

مَنْ عاشَ دهراً فسيأتيهِ الأجلْ وَالمرءُ تَوّاقٌ إلى ما لمْ ينلْ
المَوتُ يتلُوهُ وَيُلْهيهِ الأملْ

وقال الآخر :

لاَ يغُرَّنكَ عِشاءٌ ساكِنٌ قدْ يُوافِي بالمَنيّاتِ السَّحَرْ

وقال الآخر :

كُلُّنا يأمَلُ مَدًّا فِى الأجَلْ وَالمنَايا هِىَ آفاتُ الأمَلْ

وقال الآخر :

أنتَ وَهبْتَ الفتيَةَ السَّلاهِبْ وَهَجمَةً يحارُ فِيها الحالِبْ(١)
وَغنماً مِثلَ الجرَادِ السَّارِب مَتاعُ أيّامٍ وَكلٌّ ذاهِبْ

وقال المسعودى :

إنَّ الكِرامَ مُناهِبو كَ المجْدَ كُلُّهمُ فناهِبْ
أخْلِفْ وَأتلِفْ كلُّ شيـ ـءٍ زعزعتْهُ الرِّيحُ ذاهِبْ

وقال التميمى :

إذا كانتِ السبْعُونَ سِنكَ لمْ يكُنْ لِدائكَ إلاّ أنْ تمُوتَ طَبيبُ
وَإنَّ امرأً قدْ سارَ سبْعينَ حِجّةً إلى مَنْهلٍ مِنْ وِرْدِهِ لقَريبُ
إذا ما مَضَى القَرْنُ الذى أنتَ فِيهمُ وَخُلِّفْتَ مِنْ قرْنٍ فأنْتَ غريبُ
إذا ما خلَوْتَ الدَّهْرَ يوْماً فلاَ تقلْ خلَوْتُ وَلكِنْ قُلْ عَلَىَّ رَقيبُ

وقال غسانُ خال العدار :

إبيَضَّ مِنِّى الرَّأسُ بعْدَ سوادِ وَدَعا المشيبُ حليلَتى بِبِعادِ

(١) الفتية السلاهب : الخيل الفتية الطوال . والهجمة : القطعة من الابل من ٤٠ إلى ١٠٠

وَاسْتُحْصِدَ القَرْنُ الذى أنا مِنْهُمُ ‏ وَكَفَى بِذاكَ عَلامَةً لِحَصادِي

وكان على بنُ مُوسى بن ماهانَ كثيراً ما يقول « رَبنا أفرغ علينا صبراً وتوفنا مُسلمين » وكان كثيراً ما يقول : ويل للظالمين من الله . وقال : ابنُ واسع : ألاتقاء على العمل أشد من العمل . وكان أبو وائل النهشلى يقول فى أول كلامه : ان الدهر لايذوق طعم الفراق ولا يذيقه أهله ، وانما ينغمسون فى ليل ويطفون فى نهار ، فيوشك شاهد الدنيا أن يغيب وغائب الآخرة أن يشهد . وقال : سأل رجل رجلا حاجة فقال له المسؤل : اذهب بسلام ! فقال له السائل : قد أنصفنا من ردنا الى الله . عن كثير بن الصلت أن حكيم بن حزام باع داره من معاوية بستين الف درهم ، فقيل له غبنك والله معاوية ! فقال والله ما أخذتها فى الجاهلية الا بزق من خمر ، أشهدكم أنها فى سبيل الله ! فانظروا أينا المغبون ! ؟ قال سُفيانُ الثورى : ليس من ضلالة الا عليها زينة ، فلا تعرضن دينك لمن يبغضه اليك .

وقال عمرُ بنُ عبد العزيز : من جعل دينه غرضا للخصومات أكثر التنقل . وأتى مسلماً نصرانى يعزيه فقال له : مثلى لا يعزى مثلك ، ولكن أنظر الى ما زهد فيه الجاهل فارغب فيه . وكان الحسنُ بنُ زيد بن على بن الحسين بن على يلقب ذا الدمعة ، فاذا عوتب فى كثرة البكاء قال : وهل تركت النار والسهمان لى مضحكا ؟! يريد قتل زيد بن على أبيه ، ويحيى بن زيد أخيه . وقيل لشيخ من الأعراب : قمت مقاما خفنا عليك منه ! قال : ما الموت أخاف ، شيخ كبير ، ورب غفور ، ولا دين ولا بنات . قال أبو العتاهية :

وَكما تبلَى وُجُوهٌ فى الثَّرَى ‏ فَكَذا يبلَى عليهِنَّ الحزَنْ

وقال بشار :

كيفَ يُبْكَى لِمُحْبَسٍ فى طُلولٍ ‏ مَنْ سيُفْضِى لِحَبْسِ يومٍ طَويلِ

إنَّ فى البَعْثِ وَالحسابِ لَشُغْلاً ‏ عَنْ وُقُوفٍ بِكل رَسْمٍ مَحيلِ

وقال محمود الوراق :

أَلَيْسَ عَجِيباً بِأَنَّ الفَتَى | يُصَابُ بِبَعْضِ الذى فى يَدَيْهْ
فَمِنْ بَيْنَ باكٍ له مُوجَعٍ | وَبَيْنَ مُعَزٍّ مُغِذٍ إليهْ
وَيَسْلُبُهُ الشَّيْبُ شَرْخَ الشَّبابِ | فَلَيْسَ يُعَزِّيهِ خَلْقٌ عَلَيهْ

وقال أيضاً :

بَكَيْتُ لِقُرْبِ الأَجَلْ | وَبُعْدِ فَوَاتِ الأَمَلْ
وَوَافِدِ شَيْبٍ طَرَا | بِعَقْبِ شَبابٍ رَحَلْ
شَبابٌ كَأَنْ لَمْ يَكُنْ | وَشَيْبٌ كَأَنْ لَمْ يَزَلْ
طَوَاكَ بَشِيرُ البَقَا | وَحَلَّ بَشِيرُ الأَجَلْ
طَوَى صَاحِبٌ صَاحِباً | كَذَاكَ اخْتِلَافُ الدُّوَلْ

وقال محمودُ أيضاً :

رأيتُ صَلاحَ المَرْءِ يُصْلِحُ أَهْلَهُ | وَيُعْدِيهِمُ دَاءُ الفَسَادِ إذا فَسَدْ
يُعَظَّمُ فى الدُّنْيَا بِفَضْلِ صَلاحِهِ | وَيُحْفَظُ بَعْدَ المَوْتِ فى الأَهْلِ والوَلَدْ

وقال الحسنُ بنُ هانىء :

أَيَّةَ نَارٍ قَدَحَ القَادِحُ | وَأَيَّ جِدٍّ بَلَغَ المَازِحُ
لِلّهِ دَرُّ الشَّيْبِ مِنْ وَاعِظٍ | وَنَاصِحٍ لَوْ حَظِىَ النَّاصِحُ
يَأْبَى الفَتَى إلاَّ اتِّبَاعَ الهَوَى | وَمَنْهَجُ الحَقِّ له وَاضِحُ
فاسْمُ بِعَيْنَيْكَ إلَى نِسْوَةٍ | مُهُورُهُنَّ العَمَلُ الصالِحُ(١)
لَا يَجْتَلِى العَذْرَاءَ مِنْ خِدْرِهَا | إلاَّ امْرُؤٌ مِيزَانُهُ رَاجِحُ
مَنِ اتَّقَى اللّهَ فَذَاكَ الذى | سِيقَ إليهِ المَتْجَرُ الرابِحُ

وقال أيضاً :

خَلِّ جَنْبَيْكَ لِرَامِ | وَامْضِ عَنْهُ بِسَلامِ

(١) النسوة ههنا يريد بهن الحور العين اللائى وعد الله بهن المؤمنين فى الجنة

مُتْ بِداءِ الصَّمْتِ خَيْرٌ   لَكَ مِنْ دَاءِ الْكَلَامِ
إِنَّمَا السَّالِمُ مَنْ أَلْـ   جَمَ فَاهُ بِلِجَامِ
رُبَّمَا اسْتَفْتَحْتَ بِالمَزْ   حِ مَغَالِيقَ الْحِمَامِ (١)
رُبَّ لَفْظٍ سَاقَ آجَا   لَ فِئَامٍ لِفِئَامِ (٢)
فَالْزَمِ الصَّمْتَ فَإِنَّ   الصَّمْتَ أَبْقَى لِلْجَمَامِ (٣)
وَالْمَنَايَا آكِلَاتٌ   شَارِبَاتٌ لِلْأَنَامِ
شِبْتَ يَاهَذَا وَمَا تَـ   تْرُكُ أَخْلَاقَ الْغُلَامِ ؟

وقال أيضاً :

كُنْ مِنَ اللهِ يَكُنْ لَكْ   وَاتَّقِ اللهَ لَعَلَّكْ (٤)
لَا تَكُنْ إِلَّا مُعَدًّا   لِلْمَنَايَا فَكَأَنَّكْ
إِنَّ لِلْمَوْتِ لَسَهْماً   وَاقِعاً دُونَكَ أَوْ بِكْ
نَحْنُ نَجْرِي فِي أَفَانِيـ   ـنَ سُكُونٍ وَتَحَرُّكْ
فَعَلَى اللهِ تَوَكَّلْ   وَبِتَقْوَاهُ تَمَسَّكْ

وقال أيضاً :

يَانُوَاسِيُّ تَفَكَّرْ   وَتَعَزَّ وَتَصَبَّرْ
سَاءَكَ الدَّهْرُ بِشَيْءٍ   وَلَمَا سَرَّكَ أَكْثَرْ
يَاكَبِيرَ الذَّنْبِ عَفْوُ اللهِ   مِنْ ذَنْبِكَ أَكْبَرْ

قال سَعيدُ بنُ رَبيعةَ بنِ مالكِ بنِ سعدِ بنِ زَيدِ مَناة بن تميم :

أَلَا إِنَّمَا هٰذَا المَلَالُ الَّذِي تَرَى   وَإِدْبَارُ جِسْمِي مِنْ رَدَى الْعَثَرَاتِ

(١) مغاليق الحمام : مفاتيح الموت
(٢) الفئام : الجماعات
(٣) الجمام : الراحة والسكون
(٤) لعلك تنجو

وَكَمْ مِنْ خَلِيلٍ قَدْ تَجَلَّدْتُ بَعْدَهُ تَقَطَّعُ نَفْسِي بَعْدَهُ حَسَرَاتِ

وهذا من قديم الشعر . وقال الطِّرِمَّاحُ في هذا المعنى :

وَشَيَّبَنِي أَنْ لَا أَزَالَ مُنَاهِضاً بِغَيْرِ قُوًى أَنْزُو بِهَا وَأَبُوعُ (١)

وَأَنَّ رِجَالَ المَالِ أَضْحَوْا وَمَالُهُمْ لَهُمْ عِنْدَ أَبْوَابِ المُلُوكِ شَفِيعُ

أَمُخْتَرِمِي رَيْبُ المَنُونِ وَلَمْ أَنَلْ مِنَ المَالِ مَا أَعْصِي بِهِ وَأُطِيعُ (٢)

ومن قديم الشعر قول الحارث بن يزيد ، وهو جد الأحيمر اللص السعدى :

لَا لَا أَعُقُّ وَلَا أُحُوبُ وَلَا أُغِيرُ عَلَى مُضَرْ (٣)

لٰكِنَّمَا أَغْزُو إِذَا ضَجَّ المَطِيُّ مِنَ الدَّبَرْ (٤)

وقال آدمُ بن عبد العزيز : (٥)

وَإِنْ قَالَتْ رِجَالٌ قَدْ تَوَلَّى زَمَانُكُمُ وَذَا زَمَنٌ جَدِيد

فَمَا ذَهَبَ الزَّمَانُ لَنَا بِمَجْدٍ وَلَا حَسَبٍ إِذَا ذُكِرَ الجُدُودُ

وَمَا كُنَّا لِنَخْلُدَ إِذْ مَلَكْنَا وَأَيُّ النَّاسِ دَامَ لَهُ الخُلُودُ ؟

وقيل لأخيه بعد أن رأوه حمالا : لقد حطك الزمان وعضك الحدثان ؟ فقال : ما فَقَدْنا مِنْ عيشنا إلا الفضول . وقال عروةُ بنُ أُذينةَ الكنانيُّ : (٦)

نُرَاعُ إِذَا الجَنَائِزُ قَابَلَتْنَا وَيُحْزِنُنَا بُكَاءُ البَاكِيَاتِ

كَرَوْعَةِ ثُلَّةٍ لِمُغَارِ ذِئْبٍ فَلَمَّا غَابَ عَادَتْ رَاتِعَاتِ (٧)

---

(١) مناهضا : مقاوما ومدافعا . انزو : اثب . ابوع : انساب في مشي

(٢) أمخترمي : هل آخذى وفاتك بي

(٣) أعق : ارمى بسهمي نحو السماء ، وكان ذلك عندهم علامة الصلح بين الحيين المتباغضين . احوب : تاخذنى رأفه او رحمة .

(٤) ضج من الدبر : رغا من القروح . والمطى النوق

(٥) هو آدم بن عبد العزيز الاموى ، وهو احد من من عليهم ابو العباس السفاح من بنى امية . وكان آدم شاعرا ماجنا خليعا منهمكا فى الشراب ، ثم نسك وصلح ومات على طريقة محمودة . وكان المهدى يدنيه ويحبه ويقربه لظرفه وخفة روحه

(٦) كان شاعرا غزلا مقدما من شعراء المدينة . وكان مع هذا من أفاضل الفقهاء والمحدثين . وروى عنه مالك بن انس الحديث

(٧) الثلة : القطيع من الغنم . المغار : الاغارة والسطو

وقالت خنساء بنتُ عمرو : (١)

تَرْتَعُ ما غفلَتْ حتَّى إذا ادَّكَرتْ ... فإنّما هِيَ إقبالٌ وإدبارُ

وقال أبو النجم :

فلو ترى التُّيُوسَ مُضجَعاتِ ... عرفتَ أنْ لسْنَ بسالماتِ
أقولُ إذْ جئنَ مُذبّحاتِ ... ألمْ تكُنْ مِنْ قبلُ راتعاتِ
ما أقرَبَ الموْتِ مِنَ الحياةِ !

وقال سُليمانُ بنُ الوليد : (٢)

رُبَّ مغرُوسٍ يُعاشُ بهِ ... عَدِمَتهُ كفُّ مُغتَرِسِهْ
وكذاكَ الدَّهرُ مأتمُهُ ... أقربُ الأشياءِ مِنْ عُرُسِهْ

وقال آخر :

يا راقِدَ الليْلِ مسرُوراً بأوّلِهِ ... إنَّ الحوادثَ قدْ يطرُقْنَ أسحارا

وقالت امرأة فى بعض الملوك : (٣)

أبكيكَ لا للنعيمِ والأنسِ ... بلْ للمعالِي والرُّمحِ والفرسِ
أبكِي على فارسٍ فُجِعْتُ بهِ ... أرمَلَنِي قبلَ ليلةِ العُرُسِ

أخلاط من شعر وأحاديث ونوادر

قال هُبيرَةُ بنُ وَهْب المخزومىُّ :

وإنَّ مقالَ المرءِ فى غيرِ كُنهِهِ ... لكالنَّبلِ تهوِي ليسَ فيها نِصالُها

وقال الرَّاجز :

والقوْلُ لا تَملِكُهُ إذا نَمَى ... كالسَّهْمِ لا يُرْجِعُهُ رامٍ رَمَى

(١) مضت ترجمتها فى ص ٢٠٩ من الجزء الثانى

(٢) هو اخو مسلم بن الوليد الشاعر

(٣) بعض الملوك : هو الأمين بن الرشيد

وإلى هذا ذهب عامرُ الشَّعبيُّ حيث يقول : وإنك على إيقاع مالم توقع أقدر منك على رد ماقد أوقعت . وأنشد :

فَدَاوَيْتُهُ بِالحِلْمِ وَالمَرْءُ قَادِرٌ عَلَى سَهْمِهِ مَادَامَ فِي كَفِهِ السَّهْمُ

وقال الأنصاري :

وَبَعْضُ القَوْلِ لَيْسَ لَهُ حَصَاةٌ كَمَخْضِ المَاءِ لَيْسَ لَهُ إِنَاءُ (١)

وَبَعْضُ خَلَائِقِ الأَقْوَامِ دَاءٌ كَدَاءِ الشَّيْخِ لَيْسَ لَهُ دَوَاءُ

وقال الآخر :

وَمَوْلَى كَدَاءِ البَطْنِ أَمَّا لِقَاؤُهُ فَحِلْمٌ وَأَمَّا غَيْبُهُ فَظُنُونُ

وقال آخر :

تَقَسَّمَ أَوْلَادُ المُلِمَّةِ مَغْنَمِي جِهَاراً وَلَمْ يَغْلِبْكَ مِثْلُ مُغَلَّبِ (٢)

وقال الثَّلْبُ وَهُنَّ شَرٌّ غَالِبٍ لِمَنْ غَلَبْ

وقال النبي صلى الله عليه وسلم « إذا كَتَبَ أحدُكم فليُتَرِّبْ كتابَهُ فانَّ التُرابَ مُبارَكٌ » وقال : هو أنجح للحاجة . وذكر الله عز وجل آدم الذى هو أصل البشر فقال « إنَّ مثلَ عيسى عِندَ اللهِ كَمثل آدم خَلَقَهُ من تُراب » ولذلك كنى النبي صلى الله عليه وسلم عليا : أبا تراب (٣) . قالوا : وكانت أحب الكنى إليه . وقال الآخر :

وَإِنْ جِئْتَ الأَمِيرَ فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللهِ الرَّحِيمِ

وَأَمَّا بَعْدَ ذَاكَ فَلِي غَرِيمٌ مِنَ الأَعْرَابِ قُبِّحَ مِنْ غَرِيمِ

لَهُ أَلْفٌ عَلَيَّ وَنِصْفُ أَلْفٍ وَنِصْفُ النِّصْفِ مِنْ صَكٍّ قَدِيمِ

دَرَاهِمُ مَا انْتَفَعْتُ بِهَا وَلَكِنْ وَصَلْتُ بِهَا شُيُوخَ بَنِي تَمِيمِ

---

(١) الحصاة : العقل والرأى

(٢) المرأة الملمة : التى يجتمع إليها الرجال . يصفهم بانهم اولاد زنا

(٣) إنما كناه بأبى تراب لانه وجده يوما نائما وعليه تراب فنفضه عنه وقال له قم يا ابا تراب ، وكان هذا من باب المزح والتعطف والتحبب

وقال الكميت :

حَلَفْتُ بِرَبِّ النّاسِ يا أُمَّ خالِدٍ ... بِأُمِّكِ إذْ أصْواتُنا الْهَلُ وَالْهَبُ

وَلا خالِدٌ يَسْتَطْعِمُ الماءَ قائِماً ... بِعَذْبِكِ وَالدّاعِي إلى المَوْتِ يَنْعَبُ (١)

وقال ابنُ نوفل : (٢)

تَقولُ لِما أصابَكَ أطْعِموني ... شَراباً ثُمَّ بُلْتَ عَلَى السَّريرِ

لِأعْلاجٍ ثَمانِيَةٍ وَشَيْخٍ ... كَبيرِ السِّنِّ ذي بَصَرٍ ضَريرِ

وقال ابنُ هَرْمَة :

تَراهُ إذا ما أبْصَرَ الضَّيْفَ كَلْبُهُ ... يُكَلِّمُهُ مِنْ حُبِّهِ وَهْوَ أعْجَمُ

وقال المُهَلَّبُ : عجبت لمن يشترى المماليك بماله ولا يشترى الأحرار بمعروفه ؟

وقال الشاعر :

رُزِقْتُ لُبّاً وَلَمْ أُرْزَقْ مُروءَتَهُ ... وَما المُروءَةُ إلّا كَثْرَةُ المالِ

إذا أرَدْتُ مُساماةً تُقاعِدُني ... عَمّا يُنَوِّهُ باسْمي رِقَّةُ الحالِ (٣)

وقال الاحنف :

فَلَوْ مُدَّ سَرْوِي بِمالٍ كَثيرٍ ... لَجُدْتُ وَكُنْتُ لَهُ باذِلاً (٤)

فَإنَّ المُروءَةَ لا تُسْتَطاعُ ... إذا لَمْ يَكُنْ مالُها فاضِلاً

وقال جريرُ بنُ يزيد (٥)

خَيْرٌ مِنَ البُخْلِ لِلْفَتى عُدْمُهُ ... وَمِنْ بَنِينَ أعِقَّةٍ عُقْمُهُ

(١) خالد : هو خالد بن عبد الله القسرى

(٢) هو يحيى بن نوفل

(٣) المساماة : الرفعة . رقة الحال : كناية عن الفقر

(٤) السرو : المروءة والشرف والذكر الجميل

(٥) هو جرير بن يزيد بن خالد بن عبد الله القسرى . كان سريا نبيلا وكان من عمال ابى جعفر المنصور . وكان خطيبا بينا وربما قال الشعر

قال : ومشى رجال من بنى تميم إلى عتاب بن ورقاء [١] ومحمد بن عمير [٢] فى عَشْرِ ديات ، فقال محمد بن عمير : علىّ دية : فقال عتَّابُ : على الباقية ! فقال محمد : نعم العون على المروءة المال . وقال آخر :

وَلاخيرَ فى وَصْلٍ إذالَمْ يَكُنْ لهُ ... عَلَى طُولِ مَرِّ الحَادِثَاتِ بَقاء

وقال الآخر :

شِفَاءُ الحُبِّ تقْبيلٌ وَشَمٌّ ... وَضَمٌّ بِالْبطُونِ عَلَى الْبطُونِ

وأنشد [لامرأة من بنات العرب]

وَاللهِ لا أَرْضَى بِطُولِ ضَمِّ ... ولا بِتَقْبِيلٍ وَلا بِشَمِّ

إلاَّ بِهِزْهَازٍ يُسَلِّى هَمِّى ... يَسْقُطُ مِنْهُ فَتَخِى فى كُمِّى [٣]

لِمِثْلِ هذا وَلَدَتْنِى أُمِّى

وقال آخر :

لايَنْفَعُ الْجَارِيَةَ الْخِضَابُ ... وَلا الْوِشاحانِ وَلا الْجِلْبَابُ

مِنْ دُونِ أَنْ تَصْطَفِقَ الْأَرْكابُ ... وَتَلْتَقِى الْأَسْبَابُ وَالْأَسْبَابُ

وَيَخْرُجَ الزُّبُّ لَهُ لُعَابُ

وقال آخر :

وَحَظُّكَ زَوْرَةٌ فِى كلِّ عامٍ ... مُوَافَقَةً عَلَى ظَهْرِ الطَّرِيقِ

سَلاماً خالياً مِنْ كلِّ شَىْءٍ ... يَعُودُ بهِ الصَّدِيقُ على الصَّدِيقِ

وقال الآخر :

وَزَعَمْتَ أَنِّى قَدْ كَذَبْتُكَ مَرَّةً ... بَعْضَ الحَدِيثِ فَمَا صَدَقْتُكَ أَكْثَرُ

(١) مضت ترجمته فى ص ١٨٥ من الجزء الثانى

(٢) مضت ترجمته فى ص ١٧٣ من الجزء الثانى

(٣) الفتخ . خاتم لا فص له ويكون لنساء العرب

وقال الآخر :

أهينوا مَطايا كم فإنِّي وجدْتُهُ ... يهُونُ على البِرْذَوْنِ موْتُ الفتى النَّدْبِ

وقال الآخر :

لا يَحْفِلُ البِرْذَوْنُ مَنْ يُبْلِي حَوَاشِيَهُ ... ولا تُبالِي على مَنْ رَاحَتِ الإبِلُ

وقال الآخر :

ألا لا يُبالِي البِرْذَوْنُ مَنْ جَرَّ فَضْلَهُ ... كما لا تُبالِي مُهْرَةٌ مَنْ يَقُودُها

وقال الآخر :

وإنِّي لأرْثِي لِلْكَرِيمِ إذا غدا ... على حاجةٍ عندَ اللئيمِ يُطالِبُهْ

وأرْثِي لهُ مِنْ مَجْلِسٍ عِنْدَ بابِهِ ... كمَرْثِيَتِي لِلطِّرْفِ والعِلْجُ رَاكِبُهْ(٢)

وقال الفرزدق :

أتَرْجُو رَبيعٌ أنْ يجيءَ صِغارُهَا ... بخَيْرٍ وقدْ أعْيا رَبيعاً كِبارُهَا

وقال الشاعر :

ألمْ تَرَ أنَّ سَيْرَ الخيْرِ رَيْثٌ ... وأنَّ الشَّرَّ رَاكِبُهُ يَطيرُ

وقال ابن يسير :

تأتِي المكارهُ حِينَ تأتِي جُمْلَةً ... وترَى السُّرُورَ يجيءُ في الفلتاتِ

عيوب تمنع من السُّودد

قيل لبلال بن أبي بُرْدة : لِمَ لا توالي أبا العجوز بن أبي شيخ العراق ؟ — وكان بلال مسترضعاً فيهم ، وهو من بلهُجَيم — قال : لأني رأيت منه ثلاثا : رأيته يحتجم في بيوت أخواته ، ورأيت عليه مظلة وهو في الظل ، ورأيته يبادر بيض البقيلة .

---

(١) الفتى الندب : الناهض في الحاجات النجيب الظريف

(٢) الطرف : الفرس الكريم . والعلج : الرجل الاعجمي

وكان عندي شيخ عظيم البدن جهير الصوت يستقصي الإعراب وقد ولده رجل من أهل الشورى ، وكان بقربي عبد أسود دقيق العظم دميم الوجه ، ورآني أكبره ، فقال لي حين نهض ورأى عظما : يا أبا عثمان ، لا والله أن يساوي ذلك العظم البالي ! بصرت عيني به في الحمام وتناول قطعة من فخار فأعطاها رجلا وقال له : حك بها ظهري ! أفتظن هذا يا أبا عثمان يفلح أبداً ! ؟

قال أبو الحسن : سأل الحجاج غلاما فقال له : غلام من أنت ؟ قال : غلام سيد قيس . قال : ومن ذاك ؟ قال : زُرارة بن أوفى . قال : كيف يكون سيد قيس وفي داره التي ينزلها سُكان ..؟ [١] قال : وقال رجل لابنه : إذا أردت أن تعرف عيبك فخاصم شيخاً من قدماء جيرانك ! قال : يا أبت ، لو كنت إذا خاصمت جاري لم يعرف عيبي غيري كان ذلك رأيا ، ولكن جاري لا يعرفني عيبي حتى يعرفه عدوي . ! وقد أخطأ الذي وضع هذا الحديث لأن أباه نهاه ولم يأمره . وقال الآخر :

اِصْطَنِعني وَأقِلني عَثْرتي ... إنها قد وقعتْ مِنّي بقرْ [٢]
وَاعلَمَنْ أنْ لَيْسَ ألفادِرْهَمٍ ... لِمَديحي وَهِجائي بِخطَرْ
يذهبُ المالُ وَيبقَى المَنْطِقُ ... شائعاً يأثُرُهُ أهلُ الخبَرْ [٣]
ثمّ أرميكمْ بِوجْهٍ بارزٍ ... لَستُ أمشي لِعدُوّي بِخَمَرْ [٤]

وقال أشهب بن رميله ، يوم صِفّين: إلى أين يا بني تميم ؟ قد ذهب الناس ! أتفرون وتعذرون ؟ . قال : ونهض الحارث بن حوط الليثي إلى علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وهو على المنبر فقال : أتظن أنا نظن أن طلحة والزبير كانا على ضلال ؟ قال : ياحار ، إنه ملبوس عليك ، إن الحق لا يعرف بالرجال ، فاعرف الحق

(١) السكان : دفة السفينة ، يريد انه ملاح
(٢) وقعت بقر : اصابت موضعها
(٣) يأثره : ينقله
(٤) بخمر مستترا

الحق تعرف أهله . وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : لا أدركت أنا وأنت زمانا يتغايرون فيه على العلم كما يتغايرون على الأزواج .

قال : وبعث قَسامة بن زهير العنبرى إلى أهله بثلاثين شاة ونحى صغير فيه سمن فسرق الرسول شاة وأخذ من رأس النّحى شيأ من السمن ، فقال لهم الرسول: ألكم إليه حاجة أخبره بها ؟ فقالت له امرأته : أخبره أن الشهر محاق وأن جدينا الذى كان يطالعنا وجدناه مرثوما.(١) فاسترجع منه الشاة والسمن .

قال سليمان بن على لرؤبة : ما بقى من باءك يا أبا الجحاف ؟ قال : يمتد ولا يشتد ، وأستعين بيدى ثم لا أورد ، وأطيل الظِما ثم أقصر ! قال : ذلك الكبرُ ! قال : لا ، ولكنه طول الرُّغاث (٢) . قيل لاعرابى : أى الدواب آكل ؟ قال : بِرذَونة رَغُوث . وقيل لغيره : لم صارت اللبؤة أنزق وعلى اللحم أحرص ؟ قال : هى الرغوث . قل : وقال عبدالله بن عمر : إتقوا من تُبغضه قلوبكم . وقال اسماعيل ابن غَزوان : لا تنفق درهما حتى تراه ولا تثق بشكر من تعطيه حتى تمنعه ، فالصابر هو الذى يشكر والجازع هو الذى يكفر .

عامر بن يحيى بن أبى كثير قال : لا تشهد لمن لا تعرف ولا تشهد على من لا تعرف ولا تشهد بما لا تعرف .

عن سعيد بن المسيب قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم « رَأسُ العقلِ بعدَ الايمَانِ باللهِ التوَدُّدُ إلى الناسِ » . وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها : لا سمر إلا لثلاثة : مسافر ومصل وعروس .

فريسه أفصح العرب

وقال معاوية يوماً : من أفصح الناس ؟ فقال قائل . قوم ارتفعوا عن لخلخانية

(١) مرثوما : مكسور الانف ، كناية عن ان النحى اخذ السمن من فيه
(٢) طول الرغات : الاسراف فى النكاح

الفرات[١] وتيامنوا عن كشكشة تميم[٢] وتياسروا عن كسكسة بكر[٣] ليست لهم غمغمة قضاعه[٤] ولا طُمطمانية حمير[٥] قال : من هم ؟ قال: قريش . قال: ممن أنت ؟ قال : من جَرم . وقال الراجز :

إنَّ تميماً أُعْطِيَتْ تَمَامَا ... وَأُعْطِيَتْ مآثِرًا عِظَامَا
وَعَدَداً وَحَسَباً قُمْقُمَا ... وَبَاذِخاً مِنْ عِزِّهَا قُدَامَا[٦]
فِي الدَّهْرِ أَعْيَا النَّاسَ أَنْ يُرَامَا ... إِذَا رَأَيْتَ مِنْهُمُ الأَجْسَامَا
وَالدَّلَّ وَالشِّيمَةَ وَالكَلاَمَا ... وأَذْرُعًا وَقَصَرًا وَهَامَا[٧]
عَرَفْتَ أَنْ لَمْ يُخْلَقُوا طَغَامَا ... وَلَمْ يَكُنْ أَبُوهُمُ مِسْقَامَا[٨]
لَمْ تَرَ فِيمَنْ يَأْكُلُ الطَّعَامَا ... أَقَلَّ مِنْهُمْ سَقَطًا وَذَامَا

تقول العرب : لو لم يكن فى الإبل إلا أنها رقوء الدم[٩] . قال جندل بن صخر ، وكان عبداً مملوكا :

وَمَا فَكَّ رِقِّى ذَاتُ دَلٍّ خَبَرْنَجٍ ... وَلاَ شَانَ مَالِى صَدْقَةٌ وَعُقُولُ[١٠]
وَلَكِنْ نَمَانِى كُلُّ أَبْيَضَ خِضْرِمٍ ... فَأَصْبَحْتُ أَدْرِى الْيَوْمَ كَيْفَ أَقُولُ

---

(١) اللخلخانية : لهجة تعرض فى السنة اعراب الشحر وعمان باليمن ، كقولهم : مشا الله ، يريدون : ما شاء الله ، والظاهر ان قوما منهم نزلوا بشط الفرات بعد الاسلام

(٢) الكشكشة : لهجة كانت تعرض فى السنة بنى تميم ، كقولهم فى خطاب المؤنث : ما الذى جاء بش؛ يريدون: بك

(٣) الكسكسة : لهجة كانت تعرض فى السنة بنى بكر بن وائل ، كقولهم : اكرمتكس وبكس ، يريدون : اكرمتك وبك

(٤) الغمغمة : الكلام الذى لا يبين .

(٥) الطمطمانية : لهجة تعرض فى السنة حمير ، كقولهم : طاب امهواء ، يريدون : طاب الهواء

(٦) حسبا قمقاما : ضخما عظيما

(٧) القصر : الاعناق الغلاظ

(٨) الطغام : الأوغاد

(٩) رقوء الدم : يعنى أنها تدفع فى دم المقتول فتمنع دم القاتل

(١٠) الخبرنج : المرأة الناعمة

وقال الفقيمي ، وهو قاتل غالب أبي الفرزدق :[١]

وَمَا كُنْتُ نَوَّامًا وَلَـكِنَّ ثَائِرًا   أَنَاخَ قَلِيلاً فَوْقَ ظَهْرِ سَبِيلِ
وَقَدْ كُنْتُ مَخْزُونَ اللِّسَانِ وَمُفْحَمًا   (فَأَصْبَحْتُ أَدْرِي الْيَوْمَ كَيْفَ أَقُولُ)

وقال المغيرة بن شعبة : من دخل فى حاجة رجل فقد ضمنها . وقال عمر رضى الله تعالى عنه : لـكل شيء شرف وشرف المعروف تعجيله . وقال رجل لابراهيم النخعي : أعد الرجل الميعاد ، قال: إلى متى؟ قال : إلى وقت الصلاة . قال : وقال لى بعض القرشيين : من خاف الـكذب أقل من المواعيد . وقال : أمران لايسلمان من الكذب : كثرة المواعيد وشدة الاعتذار . قل إبراهيم النظام : قلت «لخنجير كور» ممرور الزياديين : أقعد ههنا حتى أرجع إليك ! قال : أما حتى ترجع فانى لا أصبر لك ولـكن أقعد لك إلى الليل !

رسالة ابن سيابة[٢] الى يحيى بن خالد بن البرمكى

وبلغنى أن عامة أهل بغداد يحفظونها فى تلك الأيام وهى كما ترى ، وأولها : للأصيد الجواد الوارى الزند الماجد الأجداد ، الوزير الفاضل الأشم البازل

---

(١) الصحيح لن غالب بن صعصعة ابا الفرزدق مات ولم يقتل وكانت وفاته فى اوائل عهد معاوية ودفن بكاظمة .

(٢) هو ابراهيم بن سيابة مولى بنى هاشم ، كان شاعرا من متوسطى شعراء وقته غيرنابه ولاشريف الشعر وإنما اختص بمودته ومدائحه ابراهيم الموصلي وابنه اسحق فكانا يتغنيان بشعره ويشيدان بذكره ويذكرانه للوزراء والخلفاء ويسببان له بذلك النفع والعطاء الجزيل ، وكان مع هذا ماجنا خليعا طيب النادرة . عوتب يوما على مجونه وعبثه فقال : ويلكم لان القى الله تعالى بذل المعاصي فيرحمني احب إلي من ان القاه اتبختر دلالا بحسناتي فيمقتني . وكتب يوما إلى صديق له يقترض منه شيئا ، فكتب اليه يعتذر له ويحلف انه ليس عنده ما سأله ، فكتب إليه : إن كنت كاذبا فجعلك الله صادقا وإن كنت ملوما فجعلك الله معذورا . واحب جارية سوداء فليم عليها وعوتب فقال :

يكون الخال فى وجه قبيح   فيكسوه الملاحة والجمالا
فكيف يلام معشوق على من   يراها كلها فى العين خالا

ومن قوله :

أعياني الشادن الربيب   أكتب أشكو فلا يجيب
من أين ألقى شفاء ما بى   وإنما دائى الطبيب
يارب فرج إذاً وعجل   فانك السامع المجيب

اللباب الحلاحل ، من المستكين المستجير البائس الضرير : فانى أحمد الله ذا العزة القدير إليك وإلى الصغير والكبير ، بالرحمة العامة والبركة التامة ، أما بعد فاغنم واسلم واعلم إن كنت تعلم أنه من يَرحم يُرحم ومن يَحرم يُحرم ومن يُحسن يَغنم ومن يصنع المعروف لا يعدم ، وقد سبق إلى تغضبك على واطراحك لى وغفلتك عنى بما لا أقوم له ولا أقعد ولا أنتبه ولا أرقد ، فلست بحى صحيح ولا بميت مستريح ، ففررت بعد الله منك إليك وتحملت بك عليك ، ولذلك قلت :

أسرعَتْ بى حَثًّا إليكَ خُطائى　　فأناخَتْ بمذهبٍ ذِى رجاءِ

رَاغِبٌ رَاهِبٌ إليكَ يُرَجِّى　　مِنكَ عفوًا عَنهُ وَفضلَ عطاءِ

وَلعمْرِى مَا مَنْ أصَرَّ ومنْ تا　　بَ مُقرًّا من ذنبهِ بسَواءِ

فان رأيت ، أراك الله ما تحب وأبقاك فى خير ، أن لا تزهد فيما ترى من تضرعى وتخشعى وتذللى وتخضعى (١) فان ذلك ليس منى بنحيزة ولا طبيعة ، ولا على وجه تصنع ولا تخدع ، ولكنه تذلل وتخشع وتضرع من غير ضارع ولا مهين ولا خاشع لمن لا يستحق ذلك إلا لمن التضرع له عز ورفعة وشرف .

***

محمد بن حرب الهلالى قال : دخل زفر بن الحارث (٢) على عبد الملك بعد الصلح فقال : ما بقى من حبك للضحاك (٣) ؟ فقال : مالا ينفعنى ولا يضرك . قال : شد ما أحببتموه معاشر قيس ! قال : أحببناه ولم نواسه ولو كنا آسيناه لقد كنا أدركنا ما فاتنا منه ! قال : فما منعك من مواساته يوم المرج (٤) ؟ قال : الذى منع أباك من مواساة عثمان يوم الدار (٥) . قال الشاعر :

(١) فى الأصل وتضعق ، وليست بشىء والجيد ما اثبتناه

(٢) هو زفر بن الحارث الكلابى . كان سيد قومه وقائدهم ، وكان شجاعا باسلا وبطلا مغوارا وخطيبا بليغا .

(٣) هو الضحاك بن قيس الفهرى . مضت ترجمته فى ص ٢٩٢ من الجزء الاول

(٤) هو يوم مرج راهط الذى التقى فيه مروان بن الحكم فى جيشه بالضحاك بن قيس فى جموعه وكان النصر فيه لمروان ، ويوم ذاك قام أساس الدولة المروانية على أقوى الدعائم

(٥) هو يوم الدار الذى وثب فيه بعض الناس وتسوروا على عثمان بن عفان داره وقتلوه ، وكان فاتحة ما أصاب الاسلام فى جوائح ونكبات

لِكُلِّ كَرِيمٍ مِنْ الأَنامِ قومِهِ   عَلَى كلِّ حالٍ حاسِدُونَ وكُشَّحُ

قالوا : وقال سليمان بن سعد : لو صحبني رجل فقال اشترط على خصلة واحدة ولا تزد عليها لقلت : لا تكذبني . قل : وكان يقال أربع خصال يسود بها المرء : العلم والأدب والعفة والأمانة . وقال الشاعر :

لَئِنْ طِبْتَ نَفْساً عَنْ ثَنائِي فإنَّنِي   لأطْيَبُ نَفْساً عَنْ نَدَاكَ عَلَى عُسْرِي
فَلَسْتُ إِلَى جَدْوَاكَ أَعْظَمُ حاجة   عَلَى شِدَّةِ الإِعْسارِ مِنْكَ إِلَى شُكْرِي

وقال الآخر :

إِنْ سُمْتَنِي ذُلاً فعِفتُ حِياضَهُ   سَخِطْتَ ؟ وَمَنْ يَأْبَ المَذلَّةَ يُعذَرِ
فَهل أَنا مُسْتَرضِيكَ لا مِنْ جِنايةٍ   جَنَيْتُ وَلَكِنْ مِنْ تَجَنِّيكَ فاغْفِرِ

وقال إياس بن قتادة :

وَإِنَّ مِنَ السَّادَاتِ مَنْ لو أَطَعْتَهُ   دَعاكَ إِلى نارٍ يَفُورُ سَعِيرها

وقال الآخر :

عَزَمْتُ على اقامَةِ ذِي صَباحٍ   لأَمْرٍ مَّا يُسَوَّدُ مَنْ يَسُودُ

وقال الهذلي :

وإِنَّ سِيادَةَ الأَقوامِ فاعْلَمْ   لَهَا صُعُدَاء مَطْلَبُها طَوِيلُ

وقال حارثة بن بدر : (١)

إِذا الهمُّ أَمْسَى وَهْوَ داءٌ فأَمْضِهِ   وَلَسْتَ بِمُضيهِ وَأَنْتَ تُعازِلُهْ
وَلا تُنزِلَنْ أَمْرَ الشديدَةِ بامْرِىءٍ   إِذا رامَ أَمراً عَوَّقَتْهُ عَوَاذِلُهْ
وَقُلْ لِلفُؤادِ ان نَزَا بِكَ نَزْوَةً   مِنَ الرَّوْعِ أَفْرِخْ أَكْثَرُ الرَّوْعِ باطِلُه (٢)

وقال الآخر :

وَإِنَّ بِقَوْمٍ سَوَّدُوكَ لَفاقَةً   الى سَيِّدٍ لَوْ يَظْفَرُونَ بِسَيِّدِ

---

(١) مضت ترجمته في ص ١٥٢ من الجزء الاول

(٢) الروع : الفزع . افرخ : إهدأ واطمئن

وقال آخر :

وَما سُدْتَ فِيهم أنَّ فَضْلَكَ عَمَّهُم   وَلَكِنَّ هذا الحظَّ فى الناسِ يُقْسَمُ

وقال حارثة بن بدر :

خَلَتِ الدِّيَارُ فَسُدْتُ غيرَ مُسوَّدِ   وَمِنَ الشَّقَاءِ تَفَرُّدِى بالسُّؤْدُدِ

الفضل بن تميم قال : قال المغيرة : من لم يغضب لم يعرف حلمه . وقال الشاعر :

وَما بالُ ضَبْعٍ ظَلَّ يَطْلُبُ ذَائباً   فَرِيسَتَهُ بينَ الأُسُودِ الضَّرَاغِمِ

وقال الآخر :

ذَكَرْتُ بها عَهْداً على الهجْرِ وَالقِلَى   وَلا بُدَّ لِلمُشْتَاقِ ان يتذَكَّرا

وقال الآخر :

اذا ما شفيتُ النفسَ أبلغتُ عُذْرَها   وَلاَ لَوْمَ فى أمْرٍ اذا بَلَغَ العُذْرُ

وقال الآخر :

لعَمْرُكَ ما الشَّكْوَى بأمْرٍ حَزَامَةٍ   وَلابُدَّ مِن شَكْوَى اذا لم يَكُنْ صَبْرُ

وقال الآخر :

لَوْلا ثَلاثٌ هُنَّ عَيشُ الدَّهْرِ   المَاءُ والنَّوْمُ وأُمُّ عَمْرِو

لَمَّا خَشِيتُ مِنْ مَضِيقِ الْقَبْرِ

وقال لَقيط بن زُرارة : (١)

شَتَّانَ هَذا وَالعِنَاقُ وَالنَّوْمْ   وَالمَشْرَبُ البارِدُ فى ظِلِّ الدَّوْمْ

وقال والبة [بن الحباب] : (٢)

مَا العيْشُ إلاَّ فى المُدَامِ   وَفى اللِّثَامِ وَالقُبَلْ (٣)

وَإِرَادَةِ الظَّبْىِ الْغَرِيرُ   تَسُومُهُ مَا لا يَحِلْ

وقال شيخ من أهل المدينة : ما كنت أريد أن أجلس إلى قوم إلا وفيهم

(١) مضى ترجمته فى ص ١٣٧ من الجزء الاول

(٢) مضت ترجمته فى ص ٢٩ من هذا الجزء

(٣) كنى باللثام عن المرأة

من يحدث عن الحسن وينشد للفرزدق . وقال أبو المجيب (١) : لا ترى امرأة مصبرة العين ولا امرأة عليها طاق يمنة ولا شريفا يهنأ بعيراً . وقال أبو براح : ذهب الفتيان فما ترى فتى مفرق الشعر بالدهن معلقا نعله ، ولا ديكين فى خطار (٢) ولا صديقا له صديق إن قمر ضغا وإن عوقب جزع وإن خلا بصديق فتى خنثه وإن طال حبسه ضجر ولا ترى فتى يحسن أن يمشى فى قيده ولا يخاطب أميره . قال أبو الحسن : قال أبو عباية : ترى زقاق براقش وبساتين هزار مرد ما كان يسلكه غلام إلا بخفير ، وهم اليوم يخترقونه ! قلت : هذا من صلاح الفتيان ! قال : لا ، ولكن من فسادهم ! اليقطرى قال : قيل لطفيل العرائس : (٣) كم اثنان فى اثنين ؟ قال : أربعة أرغفة . وقال رجل لرجل : إنتظرتك على الباب بقدر ما يأكل إنسان جردقتين .

عبد الله بن مصعب قال : أرسل على بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه عبد الله بن عباس لما قدم البصرة فقال : إئت الزبير ولا تأت طلحة ، فان الزبير ألين ، وإنك تجد طلحة كالثور عاقصا قرنه يركب الصعوبة (٤) ويقول هى أسهل ، فاقرأ عليه السلام وقل له : يقول لك ابن خالك : عرفتنى بالحجاز وأنكرتنى بالعراق ، فما عدا مما بدا ! ؟ (٥) قال : فأتيت الزبير فقال : مرحباً يا بن لبابة ، أزائراً جئت أم سفيراً ؟ قلت : كل ذلك ! وأبلغته ما قال على فقال الزبير : أبلغه السلام وقل : بيننا وبينك عهد خليفة ودم خليفة واجتماع ثلاثة وانفراد واحد وأم مبرورة (٦)

(١) مضت ترجمته في ص ١٢٦ من الجزء الثانى

(٢) فى خطار : فى مراهنة

(٣) هو طفيل بن زلال الغطفانى الكوفى . كان يأتى الولائم من غير دعوة فسمى طفيل العرائس وطفيل الاعراس . وقد نسب إليه كل طفيلى فى الدنيا

(٤) عاقصا قرنه : يعنى متغطرسا متعجرفا . يركب الصعوبة ويقول هي اسهل . والذي فى النهج : يركب الصعب ويقول هو الذلول

(٥) كان بالأصول : فما غدا مما بدالك . والتصويب عن النهج ، قال الشريف الرضى : هو اول من سمعت منه هذه الكلمة ، اعنى فما عدا مما بدا . والمعنى : ما الذى صرفك عما كان بدا وظهر منك

(٦) عهد خليفة : يعنى العهد الذى قطعه عمر على اهل الشورى وإقرار من يقع عليه اختيارهم

ومشاورة العشيرة ونشرُ المصاحف ، فنحل ما أحلت ونحرم ما حرمت . فلما كان من الغد حرش بين الناس بنوغاؤهم فقال الزبير : ما كنت أرى أن مثل ما جئنا يكون فيه قتال . ؟ قال : ومن جيد الشعر قول جرير .

لئنْ عُمِّرَتْ تيمٌ زماناً بغرَّةٍ　　لقدْ حُدِيَتْ تيمٌ حُداءً عَصَبْصَبا (١)

فلا يَضغَمَنَّ الليثُ تيماً بغرَّةٍ　　وتيمٌ يشمُّونَ الفريسَ المُنَيَّبا (٢)

وقال الاعرابى . كحلني بالميل الذى تكحل به العيون الداءة . وقال ابن أحمر :

بمَجْلٍ من قساً ذفرِ الخزامى　　تهادَى الجرْبياءُ به الحنينا (٣)

بها تنزخَرُ القلعُ السواري　　وَجِنَّ الخازبازُ به جنونا (٤)

تكادُ الشمسُ تخشعُ حين تبدُو　　لهُنَّ وما نزانَ وما عَسينا (٥)

وقال الحكم الخضْرى .

كوم تظاهرَ نيها وتربعتْ　　بَقلاً بعينِهِمَ والحمى مجنونا

والمجنون المصروع ، ومجنون بنى عامر (٦) ومجنون بنى جعدة ، واذا فخر النبات قيل : قد جن . قال الشنفرى : (٧)

فى الخلافة . ودم خليفة : هو عثمان بن عفان الذى وقع اختيار اهل الشورى عليه . واجتماع ثلاثة : يريد بهم نفسه وطلحة وعلى . وام مبرورة : يريد بها عائشة ام المؤمنين . وكانوا غرروا بها لخرجت فى طلب دم عثمان وكان يوم الجمل

(١) فى الديوان : لئن سكنت تيم . الحداء العصبصب : السوق العنيف

(٢) يضغمن : يعض . الفريس المنيب : المصاب بنيوب الاسد

(٣) المجل : المطمئن من الارض . قسا : مكان بالعالية من نجد . ذفر : شديد الريح . الخزامي : خيرى البر . الجربياء : الريح تهب بين الجنوب والصبا

(٤) تنزخر القلع السوارى : تجتمع السحب . الخازباز : الذباب يكون فى الرياض

(٥) وما عسينا : يريد وما كدن يبزان

(٦) مضت ترجمته فى ص ٣١ من الجزء الثانى

(٧) الشنفرى : هو ذلك الرجل الذى يضرب به المثل فى العدو فيقال : أعدى من الشنفرى وهو من الازد وكان من شياطين العرب وفتاكهم ومن أصحاب الغارات فيهم ، وكان شاعرا فحلا ، قال أبو بكر بن دريد : إن القصيدة المنسوبة إليه التى أولها :

اقيموا بنى أمي صدور مطيكم　　فانى إلى قوم سواكم لاميل

هى لخلف الاحمر . قال : وهى من المقدمات فى الحسن والفصاحة والطول . قلت : هذا عجيب

وَجَلَّتْ وَدقت وَاسْبكَرَّتْ وَأُنضرتْ ... فَلَوْ جُنَّ إِنْسَانٌ مِنَ الْحُسْنِ جُنَّتِ (١)

قال: وسمع الحجاج امرأة من خلف حائط تناغى طفلا فقال: مجنونة أو أم صبى!

وقال أبو ثمامة بن عازب: (٢)

وَكلهم قَدْ ذَاقَنَا فَكَأَنَّمَا ... يَرَوْنَ عَلَيْنَا جِلْدَ أَجْرَبَ هَائِلِ

وقال التغلبى.

يَرَى النَّاسُ مِنَّا جِلْدَ أَسْوَدَ سَالِخٍ ... وَفَرْوَةَ ضِرْغَامٍ مِنَ الأُسْدِ ضَيْغَمِ (٣)

وأنشد الأصمعى.

مُنْهَرِتُ الشِّدْقَيْنِ عَوْدٌ قَدْ كَمَلْ ... كَأَنَّمَا قُمِّصَ مِنْ لِيطِ جُعَلْ (٤)

وقال نُصَيْبٌ (٥) لعمر بن عبد العزيز. إن لى بُنية ذررت عليها من سوادى!

وقال عبد الملك للوليد: لا تعزل أخاك عبد الله عن مصر، وأنظر عمك محمد بن مروان فأقره على الجزيرة، وأما الحجاج فأنت أحوج إليه منه إليك، وانظر على ابن عبد الله (٦) فاستوص به خيراً. فضرب عليا بالسياط وعزل أخاه وعمه.

وقال أبو نُخيلة.

أَنَا ابْنُ سَعْدٍ وَتَوَسَّطْتُ الْعَجَمْ ... فَأَنَا فِيمَا شِئْتُ مِنْ خَالٍ وَعَمْ

وأنشد

هُمْ وَسَطٌ يَرْضَى الإِلَهُ بِحُكْمِهِمْ ... إِذَا نَزَلَتْ إِحْدَى اللَّيَالِى بِمُعْظَمِ

من ابن دريد! إذا كان مايقوله حقا فلماذا عرض لشرحها وعنى بها عناية فائقة؟ وهو فى شرحه لها يضمم على لها الشنفرى؟

(١) هذا البيت من قصيدة جيدة رواها له المفضل الضبى فى مفضلياته وتراها هناك مشروحة بقلمنا. ورواية البيت فيها هكذا:

فدقت وجلت واسبكرت وأكملت ... فلو جن إنسان من الحسن جنت

(٢) مضت ترجمته فى ص ٢١٧ من الجزء الثانى

(٣) أسود سالخ: نوع من أقتل الحيات. الفروة: جلدة الرأس

(٤) الجعل: ضرب من الخنافس يعرف بأبى جعران

(٥) مضت ترجمته فى ص ١٨٤ من الجزء الأول

(٦) يريد على بن عبدالله بن عباس

يحملون ذلك من قول الله تبارك وتعالى « وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا » وأنشد :

وَلاَ خُلَّةٌ سَبَقَتْ إِلَيْهِ ... وَأُخُوٌ كَانَ مِنْ عَرَقِ الْمُدَامِ (١)

دَلَفْتُ لَهُ بِأَبْيَضَ مَشْرَفِيٍّ ... كَمَا يَدْنُو الْمُصَافِحُ لِلسَّلاَمِ (٢)

وقال يَزِيدُ بن ضَبَّةَ :

لاَ تُبْدِيَنَّ مَقَالَةً مَأْثُورَةً ... لاَ تَسْتَطِيعُ إِذَا مَضَتْ إِدْرَاكَهَا

وقال ابنُ مَيَّادَةَ :

يَا أَيُّهَا النَّاسُ رُدُّوا الْقَوْلَ وَاسْتَمِعُوا ... وَكُلُّ قَوْلٍ إِذَا مَا قِيلَ يُسْتَمَعُ

وقال جَرِيرٌ :

مَا الْمُدْلِجُ الْغَادِي إِلَيْهِ بِسُخْرَةٍ ... إِلاَّ كَآخَرَ قَاعِدٍ لَمْ يَبْرَحِ

وقال الْعَلاَءُ بنُ الْمِنْهَالِ الغَنَوِي فى شَرِيك بن عبد الله :

فَلَيْتَ أَبَا شَرِيكٍ كَانَ حَيًّا ... فَيُقْصِرُ عَنْ مَقَالَتِهِ شَرِيكْ

وَيَتْرُكُ مِنْ تَدَرِّيهِ عَلَيْنَا ... إِذَا قُلْنَا لَهُ : هَذَا أَبُوكْ

وقال طَارِقُ بنُ أُثَالٍ الطائى : (٣)

مَا إِنْ يَزَالُ بِبَغْدَادٍ يُزَاحِمُنَا ... عَلَى الْبَرَاذِينِ أَشْبَاهُ الْبَرَاذِينِ

مَا شِئْتَ مِنْ بَغْلَةٍ سَفْوَاءَ نَاجِيَةٍ ... وَمِنْ إِنَاثٍ وَقَوْلٍ غَيْرِ مَوْزُونِ

أَعْطَاهُمُ اللهُ أَمْوَالاً وَمَنْزِلَةً ... مِنَ الْمُلُوكِ بِلاَ عَقْلٍ وَلاَ دِينِ

وقال مُنْقِذُ بنُ دِثَارٍ الهلالى :

لاَ تَذْكُرَنَّ صَنِيعَةً سَلَفَتْ مِنْـــكَ وَإِنْ كُنْتَ لَسْتَ تُنْكِرُهَا

عِنْدَ امْرِىءٍ أَنْ تَقُولَ إِنْ ذُكِرَتْ ... يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ لَسْتُ أَذْكُرُهَا

(١) الخلة : الصداقة . والاخو : الأخوة

(٢) دلفت : ملت . الابيض المشرفى : السيف

(٣) راجع ص ١٩٣ من الجزء الاول

فإنَّ إحياءَهَـا إماتتهـا وإنَّ منَّا بها يُكدِّرُهَا

قال بعض الحكماء : صاحب من ينسى معروفه عندك و يتذكر حقوقك عليه.

وقال مِنْقَرُ بنُ فروة المنقرى : (١)

وإنْ خفتَ مِنْ أمرٍ فواتًا فولّهِ سِواكَ وعَنْ دارِ الأذى فتحوّلِ

وما المرْءُ إلاّ حيثُ يجعلُ نفسَهُ فَفِى صالحِ الأعمالِ نفسكَ فاجْعَلِ

ونظر أبو الحرث جُمَّيْن إلى برذون يُستقى عليه الماء فقال : وما المرء إلاّ حيث يجعلُ نفسهُ ، لو هملج هذا البرذون لم يجعل للراوية . (٢) وأنشد :

لاخيرَ فى كل فتى نَوُّمٍ لايعترِيهِ طارقُ الهُمُومِ

وأنشد :

إجْعلْ أبا حسنٍ كمَنْ لاتعرفُ وَاهْجُرْهُ مُقترِنًا وإنْ لمْ يُخْلِفِ

آخِ الكرامَ المُنْصِفينَ وصِلْهُمُ وَاقطعْ موَدَّةَ كلّ مَنْ لمْ يُنْصِفِ

وقال عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير : (٣)

مازالَ عِصْيانُنا لِلهِ يُسْلِمُنا حتّى دُفِعْنا إلى يحْيى وَدِينارِ

إلى عُليْجَيْنِ لم يقْطعْ ثمارُهُما قدْ طالَما سجدا الشَّمْسِ والنَّارِ

وشاتم أعرابى أعرابيًا فقال : إنكم لتمتحرون العطاء، وتُعيرون الدساء، وتبيعون الماء . وقال أبو الأسود الدُّؤلى : (٤)

لنا جيرةٌ سدُّوا المجازة بيننا فإنْ ذكَّروكَ السدَّ فالسدُّ أكيسُ

ومِنْ خيرِ ماألصقْتَ بالدارِ حائطٌ تَزِلُ بهِ صُقْعُ الخطاطِيفِ أملسُ

وأنشد :

إذا لمْ يكُنْ لِلمرْءِ بدٌّ مِنَ الرَّدَى فأكرمُ أسبابِ الرَّدَى سَبَبُ الحُبِّ

---

(١) راجع ص ٨٣ من الجزء الثانى

(٢) راجع ص ٨٣ من الجزء الثانى

(٣) مضت ترجمته فى ص ٢٠ من هذا الجزء

(٤) راجع ص ٢٨١ من الجزء الثانى

وقال الآخر :

وَإِذَا شَنِئْتُ فَتًى شَنِئْتُ حَدِيثَهُ ... وَإِذَا سَمِعْتُ غِنَاءَهُ لَمْ أَطْرَبِ (١)

وأنشد المسروحى لكامل بن عِكْرِمَة :

لهَا كلَّ عامٍ مَوْعِدٌ غيرُ مُنْجَزٍ ... وَوَقْتٌ إِذَا مَا رَأْسُ حَوْلٍ تَجَرَّمَا (٢)

فَإِنْ وَعَدَتْ شَرًّا أَتَى قَبْلَ وَقْتِهِ ... وَإِنْ وَعَدَتْ خَيْرًا أَرَاثَ وَعَتَّمَا (٣)

وقال الآخر :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ سَيْرَ الْخَيْرِ رَيْثٌ ... وَأَنَّ الشَّرَّ رَاكِبُهُ يَطِيرُ

وقال محمد بن يَسِير :

تأتى المَكَارِهُ حِينَ تأتى جُمْلَةً ... وَتَرَى السُّرُورَ يجىء فى الفَلَتَاتِ

وقال الآخر :

إذا مَا بَرِيدُ الشامِ أَقْبَلَ نحونا ... بِبَعْضِ الدَّوَاهِى المُفْظِعَاتِ فَأَسْرَعَا

فإنْ كانَ شرًّا سارَ يَوْمًا وَلَيْلَةً ... وَإِنْ كانَ خَيْرًا أَقْصَدَ السَّيْرَ أَرْبَعَا

وقال آخر :

فإذا نَهَضْتُ فمَا النُّهُوضُ بِدَائِمٍ ... وَإِذَا نُكِبْتُ تَوَالَتِ النَّكَبَاتُ

وقال آخر : (٤)

وَتُعْجِبُنَا الرُّؤْيَا فَجُلُّ حَدِيثِنَا ... إِذَا نَحْنُ أَصْبَحْنَا الْحَدِيثُ عَنِ الرُّؤْيَا

وَإِنْ حَسُنَتْ لم تَأْتِ عَجْلَى وَأَبْطَأَتْ ... وَإِنْ قَبُحَتْ لم تَحْتَبِسْ وَأَتَتْ عَجْلَى

قيل لأعرابى : ما أعددت للشتاء ؟ قال : جِلَّةً رَبُوضًا وصيصة سلوكا وشملة

(١) شنئت : أبغضت

(٢) تجرم : تم وكمل

(٣) أراث وعتم : أبطأ واحتبس

(٤) قائل هذا الشعر يحيى بن خالد البرمكى حين سجن فى نكبتهم التى أنزلها بهم الرشيد . وقبل هذين البيتين يقول :

خرجنا من الدنيا ونحن من أهلها ... فما نحن في الأحياء فيها ولا الموتى

مكودا وقِرمِصاً دفيناً وناقةً مُجالحة . وقيل لآخر : ما أعددت للشتاء ؟ قال : شدة الرِّعدة . وقيل لآخر : كيف ليلكم ؟ قال : سَحَرٌ كُلّهُ . وقيل لآخر : كيف البرد عندكم ؟ قال : ذلك إلى الريح . وقال مَعْنُ بنُ أَوْسٍ المُزَنى :(١)

فَلاَ وَأَبي حَبِيبٍ مَا نَفَاهُ ... مِنْ أَرْضِ بنى رَبيعةَ مِنْ هَوَانِ
وَكَانَ هُوَ الغَنِيُّ إِلَى غِنَاهُ ... وَكَانَ مِنَ العَشِيرَةِ فِي مَكَانِ
تَكَنَّفَهُ الوُشَاةُ فَأَزْعَجُوهُ ... وَدَعْسٌ مِنْ قُضاعَةَ غَيْرُ وَانِ
فَلَوْلاَ أَنَّ أُمَّ أَبِيهِ أُمِّي ... وَأَنَّ مَنْ قَدْ هَجَاهُ فَقَدْ هَجَانِي
وَأَنَّ أَبِي أَبُوهُ لَذَاقَ مِنِّي ... مَرَارَةَ مِبْرَدِي وَلَكَانَ شَانِي
إِذًا لَأَصَابَهُ مِنِّي هِجَاءٌ ... يَمُرُّ بِهِ الرَّوِيُّ عَلَى لِسَانِي(٢)
أُعَلِّمُهُ الرِّمَايَةَ كُلَّ يَوْمٍ ... فَلَمَّا اشْتَدَّ سَاعِدُهُ رَمَانِي(٣)

وقال بعض اليهود :

وَلَوْ كُنْتُ أَرْضَى لاَ أَبَا لَكَ بِالَّذِي ... بِهِ العَائِلُ الجَثّامُ فِي الخَفْضِ قَانِعٌ(٤)
إِذًا قَصُرَتْ عِنْدِي الهُمُومُ وَأَصْبَحَتْ ... عَلَيَّ وَعِنْدِي لِلرِّجَالِ صَنَائِعُ

ذكر ما قالوا فى المهالبة وغيرهم

إِنَّ المَهَالِبَةَ الكِرَامَ تَحَمَّلُوا ... دَفْعَ المَكَارِهِ عَنْ ذَوِي المَكْرُوهِ
زَانُوا قَدِيمَهُمُ بِحُسْنِ حَدِيثِهِمْ ... وَكَرِيمَ أَخْلاَقٍ بِحُسْنِ وُجُوهِ

(١) مضت ترجمته فى ص ٢٨٠ من الجزء الثانى . وكان معن كثير الابل فأخذ منها ولده حبيب ابن معن وذهب بها إلى الشام مع ابن عمه فضالة فطمن حبيب بها ومات ورجع فضالة فقال معن (كما فى ديوانه المطبوع فى أوربا سنه ١٩٠٣) :

لعمر أبى ربيعة ما نفاه ... من ارض بنى ربيعة من هوان
لكان هوى الغنى إلى غناه ... وكان من العشيرة فى مكان
تكنفه الوشاة فأزعجوه ... ودسى من فضالة غير وان

(٢) فى الديوان : يذل . بدل : يمر . وهو خطا والصواب : يزل

(٣) فى الديوان : استد ساعده

(٤) العائل : الفقير . الجثام : الذى لا يبرح قاعدا فى بيته غير ساع وراء رزقه

وقال أبو الجهم العدوى فى معاوية بن أبى سفيان :

نقلبه لنخبر حالتيه ... فنخبر منهما كرماً ولينا
نميل على جوانبه كأنا ... نميل إذا نميل على أبينا

وقال الآخر فى هذا الشكل :

إن أجز علقمة بن سيف سعيه ... لا أجزه ببلاء يوم واحد
لأحبنى حب الصبى ورمنى ... رم الهدى إلى الغنى الواجد
ولقد شفيت غليلتى فنقعتها ... من آل مسعود بماء بارد

وقال بكير بن الأخنس :

نزلت على آل المهلب شاتياً ... فقيراً بعيد الدار فى سنة محل
فما زال بى إلطافهم وافتقادهم ... وإكرامهم حتى حسبتهم أهلى

وقال فى كلمة له أخرى :

وقد كنت شيخاً ذا تجارب جمة ... فأصبحت فيهم كالصبى المدلل

ورأى المهلب وهو غلام فقال :

خذونى به إن لم يسد سرواتهم ... ويبرع حتى لا يكون له مثل

وقال الحزين (١) فى طلحة بن عبد الله من ولد أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه :

فإن تك يا طلح أعطيتنى ... جمالية تستحق السفارا
فما كان نفعك لى مرة ... ولا مرتين ولكن مرارا

وقال أبو الطمحان : (٢)

سأمدح مالكاً فى كل ركب ... لقيتهم وأترك كل رذل

(١) هو الحزين الكنانى . شاعر مطبوع من شعراء الدولة الاموية نشا بالحجاز ولم يفارقه . وكان هجاء خبيث اللسان برضيه اليسير . وكان أشعر ذا بطن عظيم الانف . وله أبيات فى عبد الله بن عبد الملك ادخلها الرواة فى قصيدة الفرزدق التى مدح بها على بن الحسين بن على .

(٢) مضت ترجمته فى ص ١٦٤ من الجزء الاول

فما أنا والبكارة من مخاض عِظام جِلَّة سُدْسٍ وبُزْلِ
وقد عرفت كلابكم ثيابى كأنى منكم ونسيت أهلى
نمتكم من بنى شمخ زناد لها ماشئت من فرع وأصل

وقال أبو الشغب :

ألا إنّ خير الناس قد تعلمونه أسيرُ ثقيف موثقا فى السلاسل
لعمرى لئن أعمرتم السجن خالدا وأوطأتموه وطأة المتثاقل
لقد كان نهاضا بكل ملمة ومعطى اللها غمرا كثير النوافل
فإن تسجنوا القسرى لا تسجنوا اسمه ولا تسجنوا معروفه فى القبائل

ومن هذا الباب قول أعشى همدان فى خالد بن عتاب بن ورقاء :

رأيت ثناء الناس بالغيب طيبا عليك وقالوا ماجد وابن ماجد
بنى الحارث السامين للمجد إنكم بنيتم بناء ذكره غير بائد
هنيئا لما أعطاكم الله واعلموا بأنى سأطرى خالدا فى القصائد
فإن يك عتاب مضى لسبيله فما مات من يبقى له مثل خالد

ومن هذا الشكل قول الحسين بن مطير الأسدى :(١)

ألما على معن وقولا لقبره سقتك الغوادى مربعا ثم مربعا (٢)
أيا قبر معن كنت أول حفرة من الأرض خطت للسماحة موضعا
ويا قبر معن كيف واريت جوده وقد كان منه البر والبحر مترعا
بلى قد وسعت الجود والجود ميت ولو كان حيا ضقت حتى تصدعا
فلما مضى معن مضى الجود والندى وأصبح عرنين المكارم أجدعا
فتى عيش فى معروفه بعد موته كما كان بعد السيل مجراه مرتعا

(١) مضت ترجمته فى ص ١٣٩ من الجزء الثانى
(٢) هو معن بن زائدة الشيبانى ، مضت ترجمته فى ص ٩٢ من الجزء الثانى

تَعَزَّ أَبَا الْعَبَّاسِ عَنْهُ وَلَا يَكُنْ جَزَاؤُكَ مِنْ مَعْنٍ بِأَنْ تَتَضَعْضَعَا
فَمَا مَاتَ مَنْ كُنْتَ ابْنَهُ لَا وَلَا الَّذِي لَهُ مِثْلُ مَا أَسْدَى أَبُوكَ وَمَا سَعَى
تَمَنَّى أُنَاسٌ شَأْوَهُ مِنْ ضَلَالِهِمْ فَأَضْحَوْا عَلَى الْأَذْقَانِ صَرْعَى وَظُلَّمَا

وهذا مثل قول مُسْلِم بن الوليدِ [١] فى يَزِيدَ بن مَزْيدٍ [٢]:

قَبْرٌ بِبَرْدَعَةَ اسْتَسَرَّ ضَرِيحُهُ خَطَراً تَقَاصَرُ دُونَهُ الْأَخْطَارُ [٣]
أَبْقَى الزَّمَانُ عَلَى مَعَدٍّ بَعْدَهُ حُزْناً كَعُمْرِ الدَّهْرِ لَيْسَ يُعَارُ [٤]
نَقَضَتْ بِهِ الْآمَالُ أَحْلَاسَ الْغِنَى وَاسْتَرْجَعَتْ نُزَّاعَهَا الْأَمْصَارُ [٥]
فَاذْهَبْ كَمَا ذَهَبَتْ غَوَادِي مُزْنَةٍ أَثْنَى عَلَيْهَا السَّهْلُ وَالْأَوْعَارُ

ذكر حروف من الادب من حديث بنى مروان وغيرهم

قيل: إذا رسخ الرجل فى العلم رفعت عنه الرؤيا الصالحة. مَسْلَمةُ [٦] قال: كان عند عمر بن عبد العزيز رجلان فجعلا يلحنان فقال الحاجب: قوما فقد أوذيتما أمير المؤمنين! قال عمر: أنت آذى لى منهما. المدائنى قال: قعد قدام زيادٍ رجل ضباعى من قرية باليمن يقال لها ضباع، وزياد يبنى داره. فقال له: أيها الأمير، لو

(١) هو مسلم بن الوليد الانصاري بالولاء يلقب «صريع الغوانى» كان شاعرا مبدعا كثير الافتنان حسن التصرف فى القول، وكان من مقدمي شعراء الدولة العباسية ولد ونشا بالكوفة وكان هو واخوه سليمن الاعمى الشاعر منقطعين إلى يزيد بن مزيد الشيبانى ومحمد بن منصور بن زياد، ثم اختص مسلم بعد ذلك بالفضل بن سهل فولاه ديوان المظالم بجرجان وبها توفى سنة ٢٠٨ هـ

(٢) مضت ترجمته فى ص ٢٧٠ من الجزء الاول

(٣) فى الأصل: ببرذعة، وقد ضبطها ابن خلكان بالدال فارسناه. الذى فى الامالي: قبر بحلوان اسر ضريحه

(٤) الذى فى وفيات الأعيان وفى مهذب الاغانى: ابقى الزمان على ربيعة.

(٥) الذى بالامالى:

نقضت بك الاحلاس نفض إقامة واستعجلت نزاعها الامصار

والذى فى المهذب: واسترجعت روادها. والذى فى وفيات الاعيان:

نقضت بك الاحلاس آمال الغنى واسترجعت زوارها الأمصار

(٦) هو مسلمة بن عبد الملك

كنت عملت باب مشرقها من قبل مغربها وباب مغربها من قبل مشرقها! فقال: أنى لك هذه الفصاحة! قال: إنها ليست من كتاب ولا حساب ولكنها من ذكاوة العقل! فقال: ويلك، ألثانى شر. قال عبدالرحمن بن أبي ليلى: لا أمارى أخى فإما أن أكذبه وإما أن أغضبه. ابن أبي الزناد قال: إذا اجتمعت حرمتان تركت الصغرى للكبرى.

وعن أبي بكر الهذلى، واسمه سلمى، قال: إذا جمع الطعام أربعا فقد كمل: إذا كان حلالا وكثرت عليه الأيدى وسُمى الله على أوله وحُمد على آخره.

وقال ابن قَميئة:

وأهونُ كفٍّ لاتضيرُك ضيرَةً ... يدٌ بين أيدٍ فى إناء طعامِ
يدٌ مِن قريبٍ أو غريبٍ بقفرةٍ ... أتتك بها غبراءُ ذاتُ قتامِ

وقال حَمّادُ عَجْرَدٍ:

حُبَيْشُ أبو الصَّلْتِ ذو خِبْرةٍ ... بما يُصْلِحُ المِعْدَةَ الفاسِدَهْ
تَخَوَّفَ تُخْمَةَ أصْحابِهِ ... فعوَّدَهُمْ أكْلَةً واحِدَهْ

وقال سُوَيدُ المَرَاثِدِ:

إنّى إذا ما الأمرُ بيَّنَ شكُّهُ ... وبدَتْ بصائرُهُ لِمَنْ يتأمَّلُ
وتبرَّأَ الضُّعفاءُ مِنْ إخوانِهِمْ ... وألحَّ مِن حرِّ الصميمِ الكَلْكَلُ
أدَعُ التى هىَ أرأفُ الحَالاتِ بى ... عِندَ الحفيظَةِ للتى هِىَ أجْمَلُ

ومما يكتب فى باب العصا

[قال حسان بن الغدير:(1)]

قالتْ أمامَةُ يومَ بُرْقَةِ واسِطٍ ... يا بْنَ الغديرِ لقدْ جعلْتَ تَغيَّرُ
أصبحْتَ بعدَ زمانِكَ الماضى الذى ... ذهبَتْ شبيبتُهُ وغصنُكَ أخضَرُ

(1) ليس في الاصل إسم الشاعر لا نكرة ولا معرفة، فأثبتناه. وراجع ص ٨٥ من الجزء الثانى

شَيْخاً دِعَامَتُكَ الْعَصَا وَمُشَيِّعاً لا تَبْتَغِي خَبَراً وَلا تُسْتَخْبَرُ

* * *

ويضم البيت الأخير إلى قوله :

وَهُلْكُ الفَتَى أنْ لا يُرَاحَ الى النَّدَى وَأنْ لا يَرَى شيئاً عجيباً فيُعْجَبَا

ومَنْ يَبْتَغِي مِنِّى الظُّلامَةَ يَلْقَنِى اذا ما رَآنِى أَصْلَعَ الرَّأْسِ أشْيَبَا

وقال بعض الحكما. : أعجب من العجب تركُ التعجب من العجب . وقيل لشيخ هِمٍّ : أيّ شيء تشتهي ؟ قال : أسمع بالأعاجيب . وأنشد :

عَرِيضُ الْبِطَانِ جَدِيبُ الخِوَانِ قَرِيبُ المُرَاثِ مِنَ المُرْتَعِ

فَنِصْفُ النَّهَارِ لِـكِرْيَاسِهِ وَنِصْفٌ لِمَأْكَلِهِ أَجْمَعِ

ومما يضم الى العصا قوله :

لَعَمْرِى لَئِنْ حُلِّئْتُ عَنْ مَنْهَلِ الصِّبَا لَقَدْ كُنْتُ وَرَّاداً لِمَشْرَبِهِ العَذْبِ

لَيَالِيَ أَغْدُو بَيْنَ بُرْدَيْنِ لاهِياً أَمِيسُ كَغُصْنِ البَانَةِ النَّاعِمِ الرَّطْبِ

سَلامٌ عَلَى سَيرِ القِلاصِ مَعَ الرَّكْبِ وَوَصْلِ الغَوَانِي وَالْمُدَامَةِ وَالشُّرْبِ

سَلامَ امْرِئٍ لَمْ تَبْقَ مِنْهُ بَقِيَّةٌ سِوَى نَظَرِ العَيْنَيْنِ أَوْ شَهْوَةِ القَلْبِ

* * *

وقال حاجبُ بن ذبيان لأخيه زرارة :

عَجِلْتُ مَجِيءَ المَوْتِ حِينَ هَجَرْتَنِى وَفِى القَبْرِ هَجْرٌ يَا زُرَارَ طَوِيلُ

وقال الآخر :(١)

أَلَمْ تَعْلَمِى يَا عَمْرَكِ اللهُ أَنَّنِى كَرِيمٌ عَلَى حِينِ الكِرَامُ قَلِيلُ

وَأَنِّى لا أَخْزَى إِذَا قِيلَ مُقْتِرٌ جَوَادٌ وأَخْزَى أَنْ يُقَالَ بَخِيلُ

---

(١) صاحب هذه الابيات يقال له : لشمخى الفزارى

وَإنْ لا يكُنْ عَظْمِى طَوِيلاً فَإنَّنِى | لَهُ بالخِصالِ الصّالِحاتِ وَصُولُ
إذا كُنْتُ فى القَوْمِ الطِّوالِ فَضَلْتُهُمْ | بِعارِفَةٍ حَتَّى يُقالَ طَوِيلُ
وَلا خَيْرَ فى حُسْنِ الجُسومِ وطُولِها | إذا لم يَزِنْ حُسْنَ الجُسومِ عُقولُ
وَكائِنْ رَأَيْنا مِنْ فُرُوعٍ طَوِيلَةٍ | تَمُوتُ إذا لم تُحْيِهِنَّ أُصُولُ
وَلَمْ أَرَ كالمَعْرُوفِ أَمّا مَذاقُهُ | فَحُلْوٌ وأمّا وَجْهُهُ فَجَمِيلُ

وقال زياد بن زيد :

إذا ما انْتَهى عِلْمِى تَناهَيْتُ عِنْدَهُ | أَطالَ فَأَمْلَى أَمْ تَناهَى فَأَقْصَرا
وَيُخْبِرُنِى عَنْ غائِبِ المَرْءِ فِعْلُهُ | كَفَى الفِعْلُ عَمّا غَيَّبَ المَرْءُ مُخْبِرا

وقال آخر :

أَرَى فَما يَزْدادُ إلاّ حَماقَةً | وَنَوْكاً وَإنْ كانَتْ كَثِيراً مَخارِجُهْ

وقال ابن الرِّقاع :[(١)]

وَقَصِيدَةٍ قد بِتُّ أَجْمَعُ بَيْنَها | حَتّى أُقَوِّمَ مَيْلَها وسِنادَها
نَظَرَ المُثَقِّفِ فى كُعُوبِ قَناتِهِ | حَتّى يُقِيمَ ثِقافُهُ مُنادَها
وَعَلِمْتُ حَتّى لَسْتُ أَسْأَلُ عالِماً | عَنْ حَرْفِ واحِدَةٍ لِكَىْ أَزْدادَها

وقال بعض الأعراب :

لَوْلا مَسَرَّةُ أَقْوامٍ تَصَعَّدَنِى | أَو الشَّماتَةُ مِنْ قَوْمٍ ذَوِى إحَنِ
ما سَرَّنِى أَنَّ إبْلِى فى مَبارِكِها | وَأَنَّ أَمْراً قَضاهُ اللهُ لم يَكُنِ

وقال الآخر :

وَإنِّى لأَهْوَى ثُمَّ لا أَتْبَعُ الهَوَى | وَأُكْرِمُ خِلاّنِى وَفِىَّ صُدُودُ
وَفى النَّفْسِ عَنْ بَعْضِ التَّعَرُّضِ غِلْظَةٌ | وفى العينِ عن بعضِ البكاءِ جُمُودُ

(١) مضت ترجمته فى ص ٢٠٨ من الجزء الثانى

وقال كُثَيِّر:

تَرَى القَوْمَ يُخْفُونَ التَّبَسُّمَ عِنْدَهُ ... ويُنْذِرُهُمْ عُورَ الكلامِ نَذِيرُها

فلا هَاجِراتُ القَوْلِ يُؤْثَرْنَ عِنْدَهُ ... ولا كَلِماتُ النُّصْحِ مُقْصًى مُشِيرُها

وقال المُقْشَعِرُّ:

يَقَرُّ بعيني أنْ أرى قِصَدَ القَنَا ... وَصَرْعَى رِجالٍ في وَغًى أنا حاضِرُهْ

وقال الكُمَيت:

أحْسَنُ مِنْها ذِيادُ خامِسَةٍ ... في الوِرْدِ أوْ فَيْلَقٌ يُجالِدُها

ويضم إلى بيت الكميت وبيت المقشعر قول الحكمي [أبي نواس]:

أحْسَنُ عِنْدِي مِنَ انْكِبابِكَ بالْـ ... ـفِهْرِ مُلِحًّا بِهِ عَلَى وَتِدِ

وقوفُ رَيْحانَةٍ عَلَى أُذُنٍ ... وَسَيْرُ كَأْسٍ إلى فَمٍ بِيَدِ

وقال صالح بن مِخْراقٍ في كلام له: لولا أن الله تبارك وتعالى قال «كُتِبَ عليكمُ القتالُ وهو كُرْهٌ لكم» لأنبأتكم أني لا أكرهه. وقال الآخر:

تَرَكْتُ الرِّكابَ لأرْبابِها ... وأكْرَهْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ الصَّعِقْ

جَعَلْتُ يَدَيَّ وِشاحًا لَهُ ... وبَعْضُ الفَوارِسِ لا يَعْتَنِقْ

قال: قال عمر بن عبد العزيز يوماً في مجلسه: مَن أمُّ النُّعمان بن المنذر؟ فقال روحُ بنُ الوليدِ بن عبدِ الملكِ: سَلمى بنتُ عُقابٍ. قال. إنه ايقال ذلك، يا حاجب أحسن إذنه. قالوا: عشر خصال في عشرة أصناف من الناس أقبح منها في غيرهم: الضيق في الملوك والغدر في الأشراف والكذبُ في القضاة والخديعة في العلماء، والغضبُ في الابرار والحرصُ في الأغنياء، والسفهُ في الشيوخ والمرضُ في الأطباء، والزهوُ في الفقراء، والفخر في القراء. وأنشد:

ولا تَقْبَلُوا عَقْلًا وأُمُّوا بِغارَةٍ ... بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ بَيْنَ دُومَةَ والهَضْبِ

وَهُزُّوا صُدُورَ المَشْرَفِيِّ كَأنَّما ... يَقَعْنَ بِهامِ القَوْمِ في حَنْظَلٍ رَطْبِ

وفى باب غير هذا يقول حسَّانُ بنُ ثابتٍ :

مَا أُبالِى أنبَّ بِالحَزْنِ تَيْسٌ ... أمْ لحانى بِظَهْرِ غَيْبٍ لَئِيمُ

وأنشدوا :

خُبِّرْتُ أنَّ طُوَيْلِباً يغتابُنا ... بِعَضِيهَةٍ يَتَنَحَّلُ الأقوالا

ماضَرَّ سادَةَ نَهْشَلٍ أهجاهُمُ ... أمْ قامَ فى عُرْضِ الحَوِىِّ فبالا

وقال الفرزدق فى هذا المعنى :

ماضَرَّ تغلِبَ وائِلٍ أهجوتَها ... أمْ بُلْتَ حيثُ تناطح البَحْرانِ

وقال الآخر فى هذا المعنى :

مَا يَضِيرُ البَحْرُ أمْسَى زَاخِراً ... أنْ رَمَى فيهِ غُلامٌ بحَجَرْ

ومما يزاد فى باب العصا

قول جرير بن الخَطَفَى :

وَيُقْضَى الأمْرُ حِينَ تَغِيبُ تَيْمٌ ... وَلا يُسْتَأْمَرُونَ وَهُمْ شُهُودُ

وَقَدْ سَلَبَتْ عَصَاكَ بَنُو تَمِيمٍ ... فَمَا تَدرِى بِأىِّ عَصاً تَذُودُ

وقال الحَسَنُ بنُ عَرْفَطَةَ بنِ نَضْلَةَ :

لِيَهْنِكَ بُغْضٌ فى الصَّدِيقِ وَظِنَّةٌ ... وَتَحْدِيثُكَ الشَّىْءَ الَّذِى أنتَ كاذِبُهْ

وَأنَّكَ مِهْدَاءُ الخَنا نَطِفُ الثَّنَا ... شديدُ السِّبابِ رَافِعُ الصَّوْتِ غالِبُهْ

وَأنَّكَ مَشْنُوءٌ إلَى كلِّ صاحِبٍ ... بَلاكَ وَمِثْلُ الشَّرِّ يُكْرَهُ جانِبُهْ

وَلَمْ أرَ مِثْلَ الجَهْلِ أدْنَى إلَى الرَّدَى ... وَلاَ مِثْلَ بُغْضِ النَّاسِ غَمَّضَ صاحِبَهْ

وقال قَتادَةُ بنُ خَرْجَةَ التغلبى :

خَلِيلَىَّ يومَ السَّلْسَلَيْنِ لَوَ انَّنِى ... بِهِيْرِ اللَّوَى أنكَرْتُ ماقُلْتُما لِيا

وَلٰكِنَّنى لَمْ أنسَ مَا قالَ صاحِبى ... نَصِيبُكَ مِنْ ذُلٍّ إذَا كُنْتَ نَائِيا

وقال خَالِدُ بنُ نَضْلَةَ :

إذَا كُنتَ فِي قَوْمٍ عِدًى لَسْتَ مِنهُمُ فَكُلْ مَا عُلِفْتَ مِنْ خَبِيثٍ وطَيِّبِ

وقال أحمدُ بنُ يُوسف وكان يتعشق يحيى بنَ سَعيدِ بن حَماد :

إنَّ يحيى بْنُ سعيدٍ يَشْتَهِي أنْ أشْتَهِيهِ
فَهْوَ يَلْقَانِي بِتَوْزِ يمٍ وَأَحْيَانًا بِتِيهِ

وقال أبُو سَعيدٍ دعى بنى مخزوم فى مهاجاة دِعْبَل :

وَلَوْلاَ نِزَارٌ لضاقَ الْفَضاء وَلَمْ يَبْقَ حِرْزٌ ولاَ مَعْقِلُ
وَأخْرَجَتِ الأَرْضُ أثْقالَهَا وَأُدْخِلَ فِي استِ امِّهِ دِعْبَلُ

وقال :

حَدَقُ الآجَالِ آجَالُ وَالْهَوَى لِلْمَرْءِ قَتَّالُ
وَالْهَوَى صَعْبٌ مَرَاكِبُهُ وَرُكُوبُ الصَّعْبِ أهْوَالُ
لَيْسَ مِنْ شَكْلِي فأَشْتُمُهُ دِعْبِلٌ وَالنَّاسُ أشْكَالُ
هِمَّتِي فى التَّاجِ ألْبَسُهُ وَلَهُ فى الشِّعْرِ آمَالُ

وقال :

هَذَا الْبَائِسُ يَحْوِى جَوَائِزَ الْخُلَفَاء
فَفِى حِرِ أمِّى مَدِيحِى وَفِى حِرِ أمِّى هِجَائِى
وَفِى حِرِ أمِّى وَإنْ كُنْتُ سَيِّدَ الشُّعَرَاءِ

وقال محمد بنُ يَسير :

فى حِرِ امِّ النَّاسِ كلِّهِم أنَا فى هَذا مِنَ اوَّلِهِمْ
لَسْتَ تَدْرِى حِينَ تَخْبُرُهُمْ أيْنَ أدْنَاهُمْ مِنَ افْضَلِهِمْ

وقال :

إذا مَا جَاوَزَ النُّدَمَاء خَمْسًا بِرَبِّ الْبَيْتِ وَالسَّاقِى الأَدِيبِ

فأين فى حرام فتى دعانا   وأين فى حرام فتى مجيب

وقال سلم الخاسر :

يهرون قرّ الملك فى مستقره   وأشرقت الدنيا وأينع نورها
وليس لأيام المكارم غاية   تتم بها إلا وأنت أميرها

وقال بشار بن برد :

من فتاة صب الجمال عليها   فى حديث كلذة النشوان
ثم فارقت ذاك غير ذميم   كل عيش الدنيا وإن طال فان

وقال مزاحم العقيلى :

تزين سنا الماوى كل عشية   على غفلات الزين والمتجمل (١)
وجوها لو ان المدلجين اعتشوا بها   صدع الدجى حتى يرى الليل ينجلى

وقال المسعودى :

إن الكرام مناهبوك المجد كلهم فناهب
أخلف وأتلف كل شىء زحزحته الريح ذاهب

قال شيخ من الأطباء : الحمد لله فلان يزاحمنا فى الطب ولم يختلف إلى البيمارستان تمام خمسين سنة . ! وحدثنى محمد بن عبد الملك صديق لى قال : سمعت رجلا من فرسان طبرستان يقول : فلان يدعى الفروسية ولو كلف أن يخلى فروج فرسه منحدراً من جبل لما قدر عليه ! وقال بعض العبيد :

أيبعثنى فى الشاء وابن مخيلد   على هجمة قد لوحتها الطبائخ
متى كان حمران النباتى راعيا   وقد راعه بالذود أسود سالخ

وقال كثير فى عمر بن عبد العزيز رحمه الله :

تكلمت بالحق المبين وإنما   تبين آيات الهدى بالتكلم

(١) ويروى : تزين سنا الماوي بالعصر والضحى

أَلَا إِنَّمَا يَكْفِي الْقَنَا بَعْدَ زَيْغِهِ ... مِنَ الْأَوَدِ الْبَادِي ثِقَافُ الْمُقَوِّمِ

الأصمعى قال : قال ابن عُبيد :(١) لا يزال الناس بخير ما داموا إذا اختلج فى صدر الرجل شىء وجد من يفرج عنه . قال البَعيثُ فى إبرٰهيم بن عدى :

تَرَى مِنْبَرَ الْعَبْدِ اللَّئِيمِ كَأَنَّمَا ... ثَلَاثَةُ غِرْبَانٍ عَلَيْهِ وُقُوعُ

وقال الأعشى :

رُبَّ رِفْدٍ هَرَقْتَهُ ذَلِكَ الْيَوْ ... مِ وَأَسْرَى مِنْ مَعْشَرٍ أَقْيَالِ

وقالوا : لا وَكْسَ ولا شَطَط . وقال الشاعر :

وَمُدَجَّجٍ كَرِهَ الْكُمَاةُ نِزَالَهُ ... لَا مُمْعِنٌ هَرَبًا وَلَا مُسْتَسْلِمُ

وقال زهير :

دُونَ السَّمَاءِ وَفَوْقَ الْأَرْضِ قَدْرُهُمَا ... عِنْدَ الذُّنَابَى فَلَا فَوْتٌ وَلَا دَرَكُ

وقالوا : خير الأمور أوساطها وشر السير الحقحقة . قال : والمثل السائر والصواب المستعمل : لا تكن حلوا فتُزْدَرَدْ ولا مُرًّا فتُلْفَظْ . وقال عُمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : إن هذا الأمر لا يصلحه إلا لين فى غير ضعف وشدة فى غير عنف . وكان الحجاج يجاوز العنف إلى الخرق وكان كما وصف نفسه قال : أنا حديد حقود وذو قسوة حسود . وذكره آخر فقال . كان شرا من صبى . وقال أَكْثَمُ بن صيفى : تناءوا فى الديار وتواصلوا فى المزار . وكان ناسئ الشهور يقول : أللهم باعد بين نسائنا وقارب بين رعائنا واجعل الأموال فى سُمحائنا . وقال آخر :

شَتَّى مَرَاجِلُهُمْ فَوْضَى نِسَاؤُهُمُ ... فَكُلُّهُمْ لِأَبِيهِ ضَيْزَنٌ سَلِفُ

وقال آخر . من أمل أحدا هابَهْ ومن قصر عن شىء عابَهْ . وقال الآخر :

رَجَعْنَا سَالِمِينَ كَمَا بَدَأْنَا ... وَمَا خَابَتْ غَنِيمَةُ سَالِمِينَا

وقال امْرُؤُ الْقَيْسِ بْنُ حُجْرٍ :

لَقَدْ نَقَّبْتُ فِي الْآفَاقِ حَتَّى ... رَضِيتُ مِنَ الْغَنِيمَةِ بِالْإِيَابِ

---

(١) يريد به يونس بن عبيد

وقيل لابن عباس : أيما أحب إليك ، رجل يكثر من الحسنات ويكثر من السيئات أو يقل من الحسنات والسيئات ؟ قال : ما أعدل بالسلامة شيئاً .

وقالت أعرابية :

لاَ تَحْمَدُونِى فِى الزِّيَارَةِ إِنَّنِى ... أَزُورُكُمُ إِنْ لاَ أَجِدْ مُتَعَلَّلاَ

يعقوب بن داود قال : ذم رجل الأشتر فقال له رجل من النخع : أسكت فان حياته هزمت أهل الشام وموته هزم أهل العراق . أبو الحسن قال : أرسلت الخيل أيام بشر بن مروان فسبق فرس عبد الملك بن بشر ، فقال له إسماعيل بن الأشعث : والله لأرسلن غداً مع فرسك فرساً لا يعرف أن أباك أمير العراق ! فجاء فرس إسماعيل سابقا ، فقال : ألم أعلمك ؟ وقال أبو العتاهية :

أيا مَنْ لِى بِانْسِكَ يا أُخَيَّا ... وَمَنْ لِى أَنْ أَبُثَّكَ ما لَدَيَّا

كَفَى حَزَناً بِدَفْنِكَ ثُمَّ أَنِّى ... نَفَضْتُ تُرَابَ قَبْرِكَ عَنْ يَدَيَّا

طَوَتْكَ خُطُوبُ دَهْرِكَ بَعْدَ نَشْرٍ ... كَذَاكَ خُطُوبُهُ نَشْراً وَطَيَّا

فَلَوْ نَشَرَتْ قُوَاكَ لِى المَنَايَا ... شَكَوْتُ إِلَيْكَ مَا صَنَعَتْ إِلَيَّا

بَكَيْتُكَ يا أُخَىَّ بِدَرِّ عَيْنِى ... فَلَمْ يُغْنِ البُكَاءُ عَلَيْكَ شَيَّا

وَكَانَتْ فى حَيَاتِكَ لى عِظَاتٌ ... فَأَنْتَ اليَوْمَ أَوْعَظُ مِنْكَ حَيَّا

وقال الآخر :

أَبَعْدَ الَّذِى بِالنَّعْفِ نَعْفِ كُوَيْكَبٍ ... رَهِينَةَ رَمْسٍ بَيْنَ تُرْبٍ وَجَنْدَلِ

أُذَكَّرُ بِالبُقْيَا عَلَى مَنْ أَصَابَنِى ... وَبُقْيَاىَ أَنِّى جَاهِدٌ غَيْرُ مُؤْتَلِ

يقول : وهذا بقياي .

كلام عن حلم معاوية

قال : قيل لشريك بن عبد الله : كان معاوية حليما ! قال : لو كان حليما

ماسفه الحق ولا قاتل عليا ولو كان حليما ما حمل أبناء العبيد على حرمه ولما أنكح إلا الأكفاء. وأصوب من هذا قول الآخر: كان معاوية يتعرض ويحلم إذا أسمع ومن تعرض للسفيه فهو سفيه. وقال الآخر. كان يحب أن يظهر حلمه وقد كان طار اسمه بذلك فكان يحب أن يزداد فى ذلك. وقال الفرزدق:

وَكانَ يُجيرُ النَّاسَ مِنْ سَيْفِ مَالِكٍ ... فَأَصْبَحَ يَبْغى نَفْسَهُ مَنْ يُجيرُهَا
وَكانَ كَعَنْزِ السُّوءِ قَامَتْ بِظِلْفِهَا ... إلَى مُدْيَةٍ تَحْتَ التُّرَابِ تثيرُهَا

وقال التوت اليمانى:

عَلَى أيِّ بَابٍ أَطْلُبُ الإِذْنَ بَعْدَ مَا ... حُجِبْتُ عَنِ البَابِ الَّذِى أنَا حَاجِبُهْ

وهذا مثل قوله:

وَالسَّبَبُ المَانِعُ حَظَّ العَاقِلِ ... هُوَ الَّذِى سَبَّبَ رِزْقَ الجَاهِلِ

ومثله:

وَرُبَّتَ حَزْمٍ كَانَ لِلسُّقْمِ عِلَّةً ... وَعِلَّةُ بُرْءِ الدَّاءِ حَظُّ المُغَفَّلِ

وقال اخر:

يَخِيبُ الفَتَى مِنْ حَيْثُ يُرْزَقُ غَيْرُهُ ... وَيُعْطَى الفَتَى مِنْ حَيْثُ يُحْرَمُ صَاحِبُهُ

وقال عثمان بن الحويرث لعمرو بن العاص:

لَهُ أبَوَانِ فَهْوَ يُدْعى إلَيْهِمَا ... وَشَرُّ العِبَادِ مَنْ لَهُ أبَوَانِ
وَقَدْ حكَمَا فِيهِ لِتَصْدِيقِ أُمِّهِ ... وَكانَ لَهَا عِلْمٌ بِهِ بِبَيَانِ
فقَالَتْ صَرَاحًا وَهْىَ تَعْلَمُ غَيْرَهُ ... وَلَكِنَّهَا تَهْذِى بِغَيْرِ لِسَانِ

وقال الآخر:

يَطْلُبْنَ بِالقَوْمِ حَاجَاتٍ تَضَمَّنَهَا ... بَذْرٌ بِكُلِّ لِسَانٍ يَلْبَسُ المِدَحَا
كَأَنَّ فَيْضَ يَدَيْهِ قَبْلَ مَسْأَلَةٍ ... بَابُ السَّمَاءِ اذَا مَا بِالحَيَا انْفَتَحَا
وَكَّلْتَ بِالدَّهْرِ عَيْنًا غَيْرَ غَافِلَةٍ ... مِنْ جُودِ كَفِّكَ تَأْسُو كُلَّمَا جَرَحَا

ومثله :

إِذَا افتقرَ الْمِنْهَالُ لَمْ يُرَ فقرُهُ وَإِنْ أَيْسَرَ الْمِنْهَالُ أَيْسَرَ صَاحِبُهْ

وقال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه : من أفضل العبادة الصمت وانتظار الفرج . وقال يزيد بن المهلب ، وكان في سجن الحجاج : لَهفي على طلبة بمئة ألف وفرج في جبهة أسد . وأنشد : (١)

رُبَّما تجزَعُ النفوسُ مِنَ الْأَمْـــرِ لَهُ فَرْجَةٌ كَحَلِّ العِقَالِ

وأنشد :

كَرِهْتُ وَكَانَ الخيرُ فِيمَا كَرِهْتُهُ وَأَحْبَبْتُ أَمْرًا كَانَ فِيهِ شَبَا القَتْلِ

وهذا مثل قوله تعالى «وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْأً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْأً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ » وكان يقال : خذ مقتصد العراق ومجتهد الحجاز . وقال الآخر :

لِكُلِّ كَرِيمٍ مِنْ أَلْأَمِ قَوْمِهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ حَاسِدُونَ وَكُشَّحُ

وقال جرير :

إِنِّي لَآمُلُ مِنْكَ خَيْرًا عَاجِلًا وَالنَّفْسُ مُولَعَةٌ بِحُبِّ العَاجِلِ

وقال تبارك وتعالى : « قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ » وقال ابنُ هَرْمَةَ :

أَشَمُّ مِنَ الَّذِينَ بِهِمْ قُرَيْشٌ تُدَاوِي بَيْنَهَا عَيْنَ القَتِيلِ
كَأَنَّ تَلَأْلُؤَ الْمَعْرُوفِ فِيهِ شُعَاعُ الشَّمْسِ فِي السَّيْفِ الصَّقِيلِ

وقال امرؤ القيس :

أَجَارَتَنَا إِنَّ المَزَارَ قَرِيبُ وَإِنِّي مُقِيمٌ مَا أَقَامَ عَسِيبُ
أَجَارَتَنَا إِنَّا غَرِيبَانِ هَهُنَا وَكُلُّ غَرِيبٍ لِلْغَرِيبِ نَسِيبُ

(١) من شعر لامية بن ابي الصلت

وقال بشار :

وَإِذَا أَعْرَتَ فَلَا تَكُنْ جَشِعاً   تَسْمُو لِغَثِّ الْكَسْبِ تَكْسِبُهُ

وقال حسان بن ثابت :

أَهدى لهم مِدَحِي قَلْبٌ يُوَازِرُهُ   فِيمَا أُحِبُّ لِسَانٌ حَائِكٌ صَنَعٌ

وقال الأصمعى : أنشدنا أبو مَهدِيَّة :

ضَحَّوا بِأَشْمَطَ عُنْوَانُ السُّجُودِ بِهِ   يُقَطِّعُ اللَّيْلَ تَسْبِيحاً وَقُرْآنَا

وقال الخزرجىُّ يرد على أبى قيس بن الأسلت ، واسمه صيفى :

أَتَفْخَرُ صَيْفِيُّ فِيمَا تَقُو   لُ أَنْ نِلْتُمُ غِيلَةً أَرْبَعَهْ

عَرَانِينَ كُلُّهُمُ مَاجِدٌ   كَثِيرُ الدَّسَائِعِ وَالْمَنْفَعَهْ

فَهَلَّا حَضَرْتَ غَدَاةَ الْبَقِيـ   ـعِ لَمَّا اسْتَمَالَ أَبُو صَعْصَعَهْ

وَلٰكِن كَرِهْتُمْ شُهُودَ الْوَغَى   وَكُنْتُمْ كَذٰلِكَ فِي الْمَعْمَعَهْ

سِرَاعاً إِلَى الْقَتْلِ فِي خِفْيَةٍ   بِطَاءً عَنِ الْقَتْلِ فِي الْمَجْمَعَهْ

وأنشد الأصمعى :

آتِي النَّدِيَّ فَلَا يُقَرَّبُ مَجْلِسِي   وَأَقُودُ لِلشَّرَفِ الرَّفِيعِ حِمَارِيَا

وقال حَبِيبُ بنُ أَوْس [أبو تمام الطائى] (١)

كَالْخُوطِ فِي الْقَدِّ وَالْغَزَالَةِ فِي الْبَهْـ   ـجَةِ وَابْنِ الْغَزَالِ فِي غَيَدِهْ

وَمَا حَكَاهُ وَلَا نَعِيمَ لَهُ   فِي جِيدِهِ بَلْ حَكَاهُ فِي جَيَدِهْ

إِلَى الْمُفَدَّى أَبِي يَزِيدَ الَّذِي   يَضِلُّ غَمْرُ الْمُلُوكِ فِي ثَمَدِهْ

ظِلُّ عُفَاةٍ يُحِبُّ زَائِرَهُ   حُبَّ الْكَبِيرِ الصَّغِيرَ مِنْ وَلَدِهْ

إِذَا أَنَاخُوا بِبَابِهِ أَخَذُوا   حُكْمَهُمُ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهْ

---

(١) هذه الابيات من قصيدة يقولها فى خالد بن يزيد بن مزيد الشيبانى

وقال أيضاً : (١)

لَعَمْرُكَ مَا كَانُوا ثَلَاثَةَ إِخْوَةٍ　　وَلَـٰكِنَّهُمْ كَانُوا ثَلَاثَ قَبَائِلِ

ومن خطباء الخوارج

قَطَرِيُّ بنُ الْفُجَاءَةِ (٢) أحد بنى كنانة بن حرقوص وكنيته أبو نعامة فى الحرب وفى السلم أبو محمد ، وهو أحد رؤساء الازارقة وكان خطيباً فارساً ، خرج زمن مُصعب بن الزبير (٣) و بقى عشرين سنة ، وكان يدين بالاستعراض والسباء وقتل الأطفال ، وكان آخر من بُعث إليه سُفْيَانُ بنُ الْأَبرَدِ الـكلبى (٤) وقتله سَوْرَةُ بن الحِبرِ الدَّارِمىُّ من بنى أبان بن دَارِم .

ومن خطباء الخوارج وشعرائهم وعلمائهم

حَبِيبُ بنُ خُدْرَةَ ، عداده فى بنى شيبان ، وهو مولى لهلال بن عامر . ومن علمائهم وخطبائهم وأئمتهم : الضحَّاك بن قيس (٥) أحد بنى عمرو بن محلم بن ذُهل بن شيبان ويكنى أبا سعيد ، ملك العراق وصلى خلفه عبد الله بن عمر (٦) وعبد الواحد بن سليمان (٧) وقال شاعرهم :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَظْهَرَ دِينَهُ　　وَصَلَّتْ قُرَيْشٌ خَلْفَ بَكْرِ بْنِ وَائِلْ

ومن علمائهم وخطبائهم : نَصْرُ بنُ مِلْحَان ، وكان الضحاك ولاه الصلاة بالناس والقضاء بينهم .

(١) هذا البيت من قصيدة لابي تمام يرثي بها ابا نصر ومحمد وقحطبة بنى حميد بن قحطبة الطائى
(٢) مضت ترجمته فى ص ٢٧٠ من الجزء الاول
(٣) مضت ترجمته فى ص ٢٥٤ من الجزء الاول
(٤) مضت ترجمته فى ص ٦٧ من الجزء الاول
(٥) مضت ترجمته فى ص ٢٧١ من الجزء الاول
(٦) هو عبد الله بن عمر بن عبد العزيز
(٧) ابن عبد الملك

ومن علمائهم : مُلبل وأصفر ابنا عبد الرحمن ، وأبو عُبيدة [ابن] كرزين واسمه مسلم وهو مولى لعروة بن أُذَينة (١) .

ومن علمائهم وخطبائهم وشعرائهم وقعدهم وأهل الفقه [منهم] : عمران بن حطان ويكنى أبا شهاب ، أحد بنى عمرو بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة .

ومن الخوارج من بنى ضبة ثم أحد بنى صُبيح : ألقاسمُ بن عبد الرحمن بن صِدِّيق ، وكان ناسبا عالما داهيا وكان يشوب ذلك ببعض الطرف .

ومن علمائهم ونسابهم وأهل اللسن منهم : ألجون بن كلاب ، وهو من أصحاب الضحاك . ومن رجالهم وأهل البيان والنجدة منهم : خُراشة ، وكان ركاضا ولم يكن أعتقد . أخبرنى أبو عبيدة قال : كان مِسمارٌ مستخفياً بالبصرة فتخلصت إليه فأخبرنى أنه الذى طعن مالك بن على فى فيه وذلك أنه فتح فاه يقول : أنا أبو على ، فاتحا فاه ، فطعنه فى جوب فمه . ومن شعرائهم : عُتبانُ بنُ وَصِيْلَةَ الشيبانى ، وهو الذى يقول :

وَلا صلحَ مادامتْ مَنابرُ أرْضِنا ... يَقُومُ عَلَيْها مِنْ ثقيفَ خَطيبُ

وعن عيسى بن طلحة قال : قلت لابن عباس : أخبرنى عن أبى بكر ؟ قال: كان خيراً كله على الحدة وشدة الغضب ! قال : قلت : أخبرنى عن عمر ؟ قال: كان كالطائر الحذر قد علم أنه قد نصب له فى كل وجه حبالة ، وكان يعمل لكل يوم بما فيه على عنف السياق . قال : قلت : أخبرنى عن عثمان ؟ قال : كان والله صواماً قواماً لم يخدعه نومه عن يقظته . قال : قلت : فصاحبكم ؟(٢) قال : كان والله مملوءاً حلماً وعلماً غرته سابقته وقرابته وكان يرى أنه لا يطلب شيئاً إلا قدر عليه . قلت : أ كنتم ترونه محدوداً ؟ قال : أنتم تقولون ذاك .

كلام فى الأدب

قال معاوية : ما رأيت سَرَفاً قط إلا وإلى جنبه حق مَضيع . وقال عثمان

(١) راجع ص ١٦٦ من الجزء الاول (٢) يعنى الامام علي كرم الله وجهه

ابن أبى العاصى : ألناكح مغترس فلينظر أمرؤ حيث يضع غرسه . وقالت هند ابنة عتبة : ألمرأة غُل ولابد للعنق منه فانظر من تضعه فى عنقك . وقال ابن المقفع : ألدّين رق فانظر عند من تضع نفسك . وقال عمرو بن مَسعدة ، أو ثابت أبو عباد : لاتستصحب من يكون استمتاعه بمالك وجاهك أكثر من إمتاعه لك بشكر لسانه وفؤاده علمه ومن كانت غايته الاحتيال على مالك و إطرائك فى وجهك فان هذا لا يكون إلاردىء الغيب سريعاً إلى الذم .

بسم الله الرحمن الرحيم

قد قلنا فى صدر هذا الجزء الثالث فى ذكرنا العصا ووجوه تصرفها ، وذكرنا من مقطعات كلام النساك ومن قصار مواعظ الزهاد وغير ذلك مما يجوز فى نوادر المعانى وقصار الخطب ، ونحن ذاكرون على اسم الله وعونه صدراً من دعاء الصالحين والسلف المتقدمين ومن دعاء الأعراب فقد أجمعوا على استحسان ذلك واستجادته ، وبعض دعاء الملهوفين والنساك المتبتلين .

قال الله تبارك وتعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم « قُلْ مَا يعبأُ بكُمْ رَبِّى لَولا دُعاؤُكُم » وقال « ادْعُونِى أستَجِبْ لـكم » وقال تعالى : « وَيدعُونَنَا رَغَباً ورهباً » وقال « والمُستغفرين بالأسحار »

قالوا : كان عمرو بنُ مُعاوية العقيلى يقول : اللهم قنى عثرات الكلام .وقال أعرابى لرجل سأله : جعل الله الخير عليك دليلا ولا جعل حظ السائل منك عُذْرَةً صادقة . وقال بعض كرام الأعراب ممن يَقرض الشعر ويؤثر الشكر:

لَعَلَّ مُفيدَاتِ الزَّمَانِ يُفِدْنِى ... بَنِى صَامِتٍ فِى غيرِ شىء يَضِيرُهَا

وقال شيخ أعرابى : اللهم لاتنزلنى ماءسوء فأكون امرأ سوء . قال : وسمعت عمرَ بن هُبَيرةَ يقول فى دعائه : اللهم إنى أعوذ بك من صديق مُطْرٍ وجليس مُغرٍ وعدو مُسر . قال : كتب ابنُ سَيابةَ إلى صديق له ، إما مستقرضا وإما مستفرضا ، فذكر صديقه خلة شديدة وكثرة عيال وتعذر الأمور ، فكتب إليه ابن

سيابة : إن كنت كاذباً فجعلك الله صادقاً و إن كنت مُليما فجعلك معذوراً . قال الأصمعى سمعت أعرابيا يقول : أعوذ بك من الفواقر والبواقر ومن جار السوء فى دار المُقامة والظعن ومما ينكس برأس المرء و يغرى به لئام الناس . قال الأصمعى: قيل لخالد بن نضلة : قال عبد يغوث بن وقاص : ما أذم فيها إلا غطينا ليس خالد ابن نضلة ، يعنى مضر . قال خالد : اللهم إن كان كاذباً فاقتله على يد ألأم حى فى مضر . فقتلته تيم الرباب . قالوا : وقف سائل من الأعراب على الحسن فقال : رحم الله عبداً أعطى من سعة وآسى من كفاف وآثر من قلة . وقال فى الأثر المعروف : حصنوا أموالكم بالزكاة وادفعوا أمواج البلاء بالدعاء . ومن دعائهم: أعوذ بك من بطر الغنى وذلة الفقر . قال: ومن دعاء السلف : أللهم احملنا من الرجلة واغننا من العيلة . وسأل أعرابى فقيل له : بورك فيك ، فتوالى ذلك عليه من غير مكان فقال وَكَلَكُمُ الله إلى دعوة لا يحضرها نية . وقال أعرابى : أعوذ بك من سقم وعدواه وذى رحم ودعواه ومن فاجر وجدواه وعمل لا ترضاه . وسأل أعرابى فقال له صبى من جوف الدار : بورك فيك ، فقال : قبح الله هذا الفم ، لقد تعلم الشر صغيراً . وهذا السائل هو الذى يقول :

رُبَّ عُجُوزٍ عِرْمِسٍ زَبُونِ سَرِيعَةِ الرَّدِّ عَلَى الْمِسْكِينِ
تَحسبُ أنْ بُورِكَهَا يَكْفِينِى إذَا غَدَوْتُ بَاسِطًا يَمِينِى

وقال آخر : اللهم أعنى على الموت وكربته وعلى القبر وغُمته وعلى الميزان وخفته وعلى الصراط وزلته وعلى يوم القيامة وروعته . وقالت عجوز ، بلغها موت الحجاج: أللهم أنت أمته فأمت سنته . وكان محمد بن على بن الحسين يقول : اللهم أعنى على الدنيا بالغنى وعلى الآخرة بالتقوى . وقال عمرو بن عبيد : أللهم اغننى بالافتقار اليك ولا تفقرنى بالاستغناء عنك . وقال عمرو : أللهم أعنى على الدنيا بالقناعة وعلى الدين بالعصمة . قال : ومرض عَوْفُ بْنُ أَبى جَميلة فعاده قوم فجعلوا يثنون عليه فقال : دعونا من الثناء وأمدونا بالدعاء . قال : وسمعت عُمر بن هُبيرة يقول :

اللهم انى أعوذ بك من طول الغفلة و إفراط الفطنة ، اللهم لا تجعل قولى فوق عملى ولا تجعل أسوأ عملى ما قارب من أجلى . وقال أبو مَدْجِيجٍ : اللهم اجعل خير عملى ماولى أجلى . ودعت أعرابية لرجل فقالت : كبت الله كل عدو لك الا نفسك . وقال يَزِيدُ بنُ جَبل : إحرس أخاك إلا من نفسه . قال : ودعا أعرابى فقال : اللهم هب لى حقك وأرض عنى خلقك . قال : وكان قوم نساك فى سفينة فى البحر فهاجت الريح بأمر هائل فقال رجل منهم : اللهم قد أريتنا قدرتك فأرنا عفوك ورحمتك . قال : وسمع مُطرف رجلا يقول : أستغفر الله وأتوب إليه ، فأخذ بذراعه وقال : لعلك لاتفعل ! من وعد فقد أوجب ! وقال رجل لابن قَثْمٍ : كيف أصبحت ؟ قال : إن كان من رأيك أن تسد خَلَى وتقضى دينى وتكسو عورتى خبرتك ، وإلا فليس المجيب بأعجب من السائل . وقال آخر : اللهم أمتِعنا بخيارنا وأعنا على شرارنا وأجعل الأموال فى سُمحائنا . وقال أعرابى : اللهم إنك أمرتنا أن نعفو عمن ظلمنا وقد ظلمنا أنفسنا فاعف عنا . وقال أعرابى ، ورأى إبل رجل قد كثرت بعد قلة فقيل : إنه قد تزوج أمَةً فجاءته بنافجة مال ، فقال : اللهم إنا نعوذ بك من بعض الرزق . أبو مجيب الربعى قال : قال أعرابى : جنبك الله الأمرين وكفاك شر الأجوفين .(١)

وجاء فى الحديث : مَن وُقى شر قبقبه وذبذبه ولقلقه فقد وقى الشر كله .

وقال أعرابى : مَنحكم الله منحة ليست بجداء ولا نكداء ولا ذات داء . قال : قيل لابراهيم النخعى : أى رجل أنت لولا حدة فيك ؟ قال : أستغفر الله مما أملك وأستصلحه مالا أملك . وقال أعرابى ، ومات ابن له : اللهم إنى قد وهبت له ماقصر فيه من برى فهب لى ماقصر فيه من طاعتك . قال : لما صافّ قُتَيْبَةُ ابنُ مسلم الترك وهاله أمرهم سأل عن مُحمد بن وَاسع وقال : إنظروا مايصنع ؟ فقيل : هاهو ذاك فى أقصى الميمنة جانحا على سِيَةِ قوسه ينضنض بأصبعه نحو السماء ! قال

(١) قال الجاحظ : الاجوفان : البطن والفرج ، والامران : الجوع والعرى .

قتيبة : تلك الإصبع الفاردة أحب إلىّ من مئة ألف سيف شهير وسنان طرير . أبو الدَّرداء قال : إن أبغض الناس إلى أن أظلمه من لم يستعن على إلا بالله . وقال خالدُ بنُ صفوان : إحذروا مجانيق الضعفاء . يعنى الدعاء . وقال : لايستجاب إلا لمخلص أو مظلوم .قال : وكان على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه يقول : ألهم إن ذنوبى لاتضرك وإن رحمتك إياى لاتنقصك فاغفر لى مالا يضرك وأعطنى مالا ينقصك . وقال أعرابى : ألهم إنك حبست عنا قطر السماء فذاب الشحم وذهب اللحم ودق العظم ، فارحم أنين الآنة وحنين الحانة ، ألهم ارحم تحيرها فى مراتعها وأنينها فى مرابضها . قال : وحجت أعرابية فلما صارت بالموقف قالت : أسألك الصحبة يا كريم الصحبة وأسألك سترك الذى لاتزيله الرياح ولا تخرقه الرماح . وقيل لعلى بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه : كم بين السماء إلى الأرض ؟ قال : دعوةٌ مستجابة . فقالوا : كم بين المشرق إلى المغرب ؟ قال : مسيرة يوم للشمس ومن قال غير هذا فقد كذب . قال : وحج أعرابى فقال : ألهم إن كان رزقى فى السماء فأنزله وإن كان فى الأرض فأخرجه وإن كان نائياً فقربه وإن كان قريباً فيسره .

أبو عثمان اليَقْطُرى ، عن عبد الله بن سلم الفِهْرى قال : لما ولى مسروق السلسلة إنبرى له شاب فقال له : وقاك الله خشية الفقر وطول الامل فلا تكونن دريئة للسفهاء ولا شيناً للفقهاء . وقال أعرابى فى دعائه : ألهم لاتخيبنى وأنا أرجوك ولا تعذبنى وأنا أدعوك ، ألهم فقد دعوتك كما أمرتنى فأجبنى كما وعدتنى . وقال عبدالله ابن المبارك : قالت عائشة : يا بنى : لاتطلبوا ماعند الله من عند غير الله بما يسخط الله. قال : وقال رجل من النساك : إن ابتليت أن تدخل مع ناس إلى السلطان فإذا أخذوا فى الثناء فعليك بالدعاء . وقال الكذاب الحِرْمازى :

لَاهُمَّ إنْ كانَتْ بَنُو عُمَيْرَهْ رَهْطُ التَّلِبِّ دَعوةً مَسْتُورَهْ
قَدْ أَجْمَعُوا لِحَلْقَةٍ مَقْصُورَهْ وَاجْتَمَعُوا كَأنَّهُمْ قَارُورَهْ

فِى غَنَمٍ وَإِبِلٍ كَثِيرَهْ   فَابْعَثْ عَلَيهِمْ سَنَةً قاشُورَهْ
تَحْتَلِقُ المَالَ احْتِلَاقَ النُّورَهْ

وقال أعرابى :

لاَهُمَّ أَنْتَ الرَّبُّ تُسْتَغَاثُ   لَكَ الحياةَ وَلكَ الميرَاثُ
وَقَدْ دَعَاكَ النَّاسُ فَاسْتَغَاثُوا   غِيَاثَهُمْ وَعِنْدَكَ الغِيَاثُ
لَمْ يَبْقَ إِلاَّ عِكْرِشٌ أَنْكَاثُ   وَشِيحٌ أصولها مِثَاثُ
وَطَاحَتِ الأَلْبَانُ وَالأَزْمَاثُ

وكان سَعْدُ بنُ أبى وقّاص يسمى المستجاب الدعوة ، وقال لعمر حين شاطره ماله : لقد هممتُ ! فقال له عمر : أن تدعو الله على ؟ قال: نعم . قال : إذاً لاتجدنى بدعاء ربى شقيا .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كَمْ مِنْ ذِى طِمْرَيْن لا يُؤْبهُ له لوْ أقسم على الله لأبرّهْ ، مِنهم البراءُ بنُ مالكٍ » وجمع الناس اليه وقد دهمهم العدو فأقسم فمنحهم الله أكتافهم . الأصمعى وأبو الحسن قالا : أخبرنا ابراهيم بن حبيب بن الشهيد عن أبيه أو عن غيره قال : بلغ سعداً شىء فعله المهلبُ فى العدو والمهلب يومئذ فتى ، فقال سَعْدٌ : أللهم لاتره ذلا . فيرون أن الذى نال المهلَّبُ تلك الدعوة . وقال الحسين بن على رضى الله تعالى عنهما :

ألموْتُ خيرٌ مِنْ رُكُوبِ العَارِ   وَالعَارُ خَيرٌ مِنْ دُخُولِ النَّارِ
وَاللهُ مِنْ هَذا وَهَذَا جَارِى

وقال الآخر ، وكان قد وقع فى الناس وباء جارف وموت ذريع فهرب على حماره ، فلما كان فى بعض الطريق ضرب وجه حماره راجعاً الى حيه وقال :

لَنْ يُسْبَقِ اللهُ عَلَى حِمَارِ   وَلاَ عَلَى ذِى مَيْعَةٍ خَطَّارِ
قَدْ يُصْبِحُ اللهُ أَمَامَ السَّارِى

وسمع مُجاشعُ الربعى رجلا يقول : ألشحيح أعـذر من الظالم ! فقال : إن شيئين خيرهما الشح لناهيك بهما شراً . قال المغيرة بن شعبة : سمع عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه رجلا يقول فى دعائه : أللهم اجعلنى من الأقلين ! فقال له عمر : ما هذا الدعاء ؟ قال : سمعت الله يقول « وقليلٌ ما هم » وسمعته يقول : « وقليل من عبادِيَ الشكورُ » فقال عمر : عليك من الدعاء بما يُعرف . وقال ناس من الصحابة لعمر : ما بال الناس كانوا إذا ظلموا فى الجاهلية فدعوا استجيب لهم ونحن لا يستجاب لنا و إن كنا مظلومين ! ؟ قال : كانوا ولا زاجر لهم إلا ذاك فلما أنزل الله تبارك وتعالى الوعد والوعيد والحدود والقصاص والقود ، وَكَلَهُمْ إلى ذلك . وقال عمر رضى الله تعالى عنه : إن فى يوم كذا وكذا من شهر كذا وكذا الساعة لايدعو الله فيها أحد إلا أستجيب له . فقال له قائل : أرأيت إن دعا فيها منافق ؟ قل : فإن المنافق لايوفق لتلك الساعة . ولما صعد المنبر قابضاً على يد العباس يوم الاستسقاء لم يزد على الدعاء بالاستغفار ، فقيل له : إنك لم تستسق و إنما كنت تستغفر ! قال : قد استسقيت بمجاديح السماء . ذهب إلى قوله : « وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً » وكان عمر حمل الهُرْمُزَانَ مع جماعة فى البحر فغرقوا ، قال ابن سيرين : لو كان دعا عليهم بالهلاك لهلكوا . قال محمد بن على لابنه : يابنى إذا أنعم الله عليك نعمة فقل الحمد لله ، و إذا حزبك أمر فقل لا حول ولا قوة إلا بالله ، و إذا أبطأ عنك الرزق فقل أستغفر الله . قالوا : وكان محمد بن على لا يسمع المبتلى الاستعاذة من البلاء . قال قوم ليزيد بن أسد : أطال الله بقاءك . قال : دعونى أمت وفىَّ بقية تبكون بها على . رأى سالم بن عبد الله سائلا يسأل يوم عرفة فقال : ياعاجز ، أفى هذا اليوم تسأل غير الله ! ؟ . قال : كان رجل من الحكماء يقول فى دعائه : أللهم احفظنى من الصديق ، وكان يقول : أللهم اكفنى بوائق الثقات . حدثنى صديق لى كان ولى ضياع الرى قال : قرأت على باب شيخ منهم : جزى الله من لانعرفه ولا يعرفنا أحسن الجزاء ، ولا جزى من نعرفه ويعرفنا إلا ما هو أهله ، انه

عدل لا يجور . وكان على رواشم عمر بن مهران التى يرشم بها على الطعام : أللهم احفظه ممن يحفظه .

وقال المُغيرةُ بنُ شُعبةَ فى كلام له : إن المعرفة لتنفع عند الكلب العقور والجمل الصؤول فكيف بالرجل الكريم . ؟ أبو الحسن قال : قالت امرأة من الأعراب : أللهم إنى أعوذ بك من شر قريش وثقيف وما جمّعت من اللفيف ، وأعوذ بك من عبد ملك أمره ومن عبد ملأ بطنه . قال : مر عمر بن عبد العزيز برجل يسبح بالحصى فاذا بلغ المئة عزل حصاة فقال له عمر : ألق الحصى وأخلص الدعاء . وكان عبدُ الملك بنُ هلال الهنائى عنده زنبيل ملآن حصى فكان يسبح بواحدة واحدة فإذا مل شيأ طرح ثنتين ثنتين ثم ثلاثا ثلاثا فإذا مل قبض قبضة وقال سبحان الله بعدد هذا وإذا مل شيأ قبض قبضتين وقال سبحان الله بعدد هذا فاذا ضجر أخذ بعروتى الزنبيل وقلبه وقال : ألحمد لله بعدد هذا وإذا بكر لحاجة لحظ الزنبيل وقال : ألحمد لله عدد ما فيه .

قال غَيْلان : إذا أردت أن تتعلم الدعاء فاسمع دعاء الأعراب . قال سعيدُ بن المسيب : مرّ بى صِلَةُ بن أشْيَمٍ فما تمالكت أن نهضت إليه فقلت له : يا أبا الصهباء أدع الله لى ؟ فقال : رغبك الله فيما يبقى وزهدك فيما يفنى ووهب لك اليقين الذى لاتسكن النفس إلا إليه ولا تعول فى الدين إلا عليه . أبو الحسن قال : سمع رجل بمكة رجلا يدعو لأمه فقال له : ما بال أبيك ؟ قال : هو رجل يحتال لنفسه . أبو الحسن عن عروة بن سليمان العبدى قال : كان عندنا رجل من بنى تميم يدعو لأبيه ويدع أمه فقيل له فى ذلك فقال : إنها كابية . ورفع أعرابى يده بمكة قبل الناس فقال : أللهم اغفر لى قبل أن يدهمك الناس .

وقال النبى صلى الله عليه وسلم « إنَّ اللهَ يُحِبُّ المُلِحِّينَ فِى الدُّعَاءِ »

وقال آخر : دعوتان أرجو أحداهما كما أخاف الأخرى ، دعوة مظلوم أعنْتهُ ودعوة ضعيف ظلمته . قال : وكان من دعاء أبى الدَّرْداء : أللهم أمتعنا بخيارنا

وأعنا على شرارنا واجعلنا خياراً كلنا و إذا ذهب الصالحون فلا تبقنا . وقال آخر لبعض السلاطين : أسألك بالذى أنت بين يديه أذل منى بين يديك وهو على عقابك أقدر منك على عقابى إلا نظرت فى أمرى نظر من يرى برئى أحب إليه من سقمى . قالوا : وكان مطرف بن عبدالله بن الشخير يقول : اللهم إنك أمرتنا بما أمرتنا ولا نقوى عليه الا بعونك ، ونهيتنا عما نهيتنا ولا ننتهى عنه الا بعصمتك واقعة علينا حجتك غير معذورين فيما بيننا و بينك ولا مبخوسين فيما عملنا لوجهك .

عبد العزيز بن أبان عن سفيان فى قوله تعالى : « دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ » قال : كان أحدهم إذا أراد أن يدعو قال : سبحانك اللهم . عكرمة قال : فى قوله تعالى : « قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا » . قال كان موسى عليه السلام يدعو وهٰرون يؤمن فجعلهما الله داعيين . قال ولما وقع يونس فى البحر وقد وكل به حوت فلما وقع ابتلعه فهوى به إلى قرار الأرض فسمع تسبيح الحصى فنادى يونس فى الظلمات « أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ » قال : ظلمة بطن الحوت وظلمة البحر وظلمة الليل ، وقال تبارك وتعالى « فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ » وفى الحديث المرفوع أن من دعاء النبى صلى الله عليه وسلم « أَعُوذُ بِكَ مِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعْ وَبَطْنٍ لَا يَشْبَعْ وَدُعَاءٍ لَا يُسْمَعْ »

على بن سليم أن قَيْسَ بنَ سَعْدٍ قال : اللهم ارزقنى حمداً ومجدا فانه لا حمد إلا بفعال ولا مجد إلا بمال . وقال رجل فى مجلس الحسن : ليهنك الفارس ! قال الحسن فلعله خامر ! إذا وهب الله لرجل ولداً فقل : شكرتَ الواهب و بورك لك فى الموهوب و بلغ أشده ورزقت بره .

أحسن ما قيل فى التعازى

أبو سلمة الأنصارى قال : كان عمر بن عبدالعزيز يقول : ماأحسن تعزية أهل اليمن ! وتعزيتهم : لا يُحزنكم الله تعالى ولا يَفتنكم وأثابكم ما أثاب المتقين وأوجب لكم الصلاة والرحمة . قال : كان أبو بكر رضى الله تعالى عنه إذا عزى رجلاقال : ليس مع العزاء مصيبة ولا مع الجزع فائدة ، الموت أشد ما قبله وأهون ما بعده ، إذكروا فقد رسول الله صلى الله عليه وسلم تَهُنْ عندكم مصيبتكم صلى الله على محمد وعظم أجركم . وكان على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه إذا عزى قوما قال : إن تجزعوا فأهل ذلك الرحم وإن تصبروا ففى ثواب الله عوض من كل فائت ، وإن أعظم مصيبة أصيب بها المسلمون محمد صلى الله عليه وسلم،وعظم الله أجركم . وعزى عبدُالله بن عباس عُمرَ بنَ الخطاب رضى الله تعالى عنه على بنى له مات فقال : عوضك الله منه ما عوضه منك . وهذا الصبى الذى مات هو الذى كان عمر بن الخطاب قال فيه : ريحانة أشمها وعن قريب ولد بار أو عدو ضار . سفيان قال: كان أبو ذر يقول : أللهم أمتعنا بخيارنا وأعنا على شرارنا . قال : ودعا أعرابى فقال : أللهم إني أعوذ بك من الفقر المُدقع والذل المُضرع . عزت امرأةُ المنصورَ على أبى العباس مقدمه من مكة فقالت : أعظم الله أجرك ، فلا مصيبة أعظم من مصيبتك ولا عوض أعظم من خلافتك .

دعوات مستجادة

قالوا : وقال عُمربن عبدالعزيز ، وقد سمعوا وقع الصواعق ودوى الريح وصوت المطر فقال وقد فزع الناس : هذه رحمته فكيف نقمته ! . وقال أبو اسحق: أللهم إن كان عذابا فاصرفه وإن كان صلاحا فزد فيه وهب لنا الصبر عندالبلاء والشكر عند الرخاء ، أللهم إن كانت منحة فمن علينا بالعصمة وإن كان عقابا فمن علينا

بالمغفرة . وقال أبو ذر : الحمد لله الذى جعلنا من أمة تُغفر لهم السيئات ولا تُقبل من غيرهم الحسنات .

وكان الفضل بن الربيع يقول : المسألة للملوك من تحية النوكى ، فاذا أردت أن تقول : كيف أصبحت ، فقل : صبحك الله بالخير ، وإذا أردت أن تقول : كيف تجدك ؟ فقل : أنزل الله عليك الشفاء والرحمة . قال أحمد الهُجَيمى أبو عمر أحد أصحاب عَبد الواحدِ زَيد : اللهم يا أجود الأجودين ويا أكرم الأكرمين ويا أعفى العافين ويا أرحم الراحمين ويا أحكم الحاكمين ويا أحسن الخالقين فرج عنى فرجاً عاجلا تامّاهنيئاً مباركا لى فيه إنك على كل شىء قدير . وكان عبد الله الشقرى — وهو الكعبى أحد أصحاب المضمار من غلمان عبد الواحد بن زيد وكنيته أبو محمد وكنية عبد الواحد أبو عبيدة — يقول : اللهم إنى عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتى بيدك اللهم هب لى يقيناً وأدم لى العافية وافتح لى باب رزقى فى عافية وأعوذ بك من النار والعار والكذب والسخف والخسف والقذف والحقد والغضب وحببنى إلى خلقك وحببهم الىّ وأسألك فرجاً عاجلا فى عافية إنك على كل شىء قدير .

دعاء الغنوى فى حبسه

أعوذ بك من السجن والدين والسب والضرب ومن الغل والقيد ومن التعذيب والتجسيس ، وأعوذ بك من الحور بعد الكور ومن شر العدو فى النفس والأهل والمال ، وأعوذ بك من الهم والأرق ومن الهرب والطلب ومن الاستخذاء والاستخفاء ومن الاطراد والاغراب ومن الكذب والعضيهة ومن السعاية والنميمة ومن لؤم القدرة ومقام الخزى فى الدنيا والآخرة إنك على كل شىء قدير .

ومن دعائه فى الحبس

أسألك طول العمر فى الأمن والعافية والحلم والعلم والحزم والأخلاق الحسنة السنية والأفعال المرضية واليسر والتيسير والنماء والتثمير وطيب الذكر وحسن

الأحدوثة والمحبة فى الخاصة والعامة ، وهب لى ثبات الحجة والتأييد عند المنازعة والمخاصمة وبارك لى فى الموت إنك على كل شىء قدير .

وكان صالح المرى كثيراً ما يردد فى مجلسه : أعوذ بك من الخسف والمسخ والرجفة والزلزلة والصاعقة والريح المهلكة ، وأعوذ بك من جهد البلاء ومن شماتة الأعداء . وكان يقول : أعوذ بك من التعب والتعذر والخيبة وسوء المنقلب ، ألّلهم من أرادنى بخير فيسر لى خيره ومن أرادنى بشر فاكفنى شره ، ألّلهم أسألك خصب الرحل وصلاح الأهل . وكان عيسى بن أبى المدور يقول : أعوذ بك من الذلة والقلة ومن الإهانة والمهنة ولإخفاق والوحدة ، وأعوذ بك من الحيرة وقلة الحيلة، وأعوذ بك من جهد البلاء وشماتة الأعداء .

قال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : من أعطى الدعاء لم يحرم الإجابة ، قال الله تعالى « إِدْعُونِى أَسْتَجِبْ لَكُمْ » ومن أعطى الشكر لم يحرم الزيادة ، لقوله عز وجل «لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ » ومن أعطى الاستغفار لم يحرم القبول ، لقوله تعالى « وَاسْتَغْفِرُوا اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ » . وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : كونوا أوعية الكتاب وينابيع العلم وسلوا الله رزق يوم بيوم.

وروى محمد بن على عن آبائه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « إِذَا سَأَلْتُمْ اللهَ فَسَلُوهُ بِبَاطِنِ الْكَفَّيْنِ وَإِذَا اسْتَعَذْتُمُوهُ فَاسْتَعِيذُوهُ بِظَاهِرِهِمَا »

وقال آخر : ألّلهم إنى أعوذ بك من بطر الغنى وذلة الفقر . وعن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت : سلوا ربكم حتى الشِّسْعَ فانه إن لم ييسره لم يتيسر . طاوس قال : يكفى من الدنيا مايكفى العجين من الملح . وسأل رجل رجلا حاجة فقال المسؤل : إذهب بسلام ! فقال السائل : قد أنصفنا من ردنا إلى الله فى حوائجنا . عن الشعبى قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم « أَللّٰهُمَّ اذْهِبْ مُلْكَ غَسَّانَ وَضَعْ مُهُورَ كِنْدَةَ » وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : لكل شىء رأس ورأس المعروف تعجيله

اسماعيل بن ابراهيم ونطقه بالعربية دون تلقين

القول فى إنطاق الله تعالى إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام بالعربية المبينة على غير التلقين والتمرين وعلى غير التدريب والتدريج وكيف صار عربياً أعجميُّ الأبوين ، وأول من عليه أن يقر بهذا القحطانى ، فانه لابد من أن يكون له أب كان أول عربى من جميع بنى آدم عليه السلام ولو لم يكن ذلك كذلك وكان لايكون عربياً حتى يكون أبوه عربياً وكذلك أبوه وكذلك جده ، كان ذلك موجبا لأن يكون نوح عليه السلام عربيا وكذلك آدم عليه السلام.

قال أبو عبيدة : حدثنا مِسْمَعُ بنُ عَبْدِ المَلِكِ عن أبى جَعفر مُحمد بن عَلى بنِ الحسين عن آبائه قال : أول من فتق لسانه بالعربية المبينة إسماعيل وهو ابن أربع عشرة سنة ، قال النبى صلى الله عليه وسلم : شهدت الفجار وأنا ابن أربع عشرة سنة وكنت أُنبِلُ على عمومتى . يريد أجمع لهم النبل . قال أبو عبيدة : فقال له يونس صدقت يا أبا يسار هكذا حدثنى نصر بن طريف .

وروى قَيْسُ بنُ الرَّبيع عن أشياخه عن ابن عباس أن الله ألهم إسماعيل العربية إلهاما ، وقال الله تبارك وتعالى « وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ » قال : قد يرسل الله الرسول إلى قومه ، ولو أرسل فى ذلك الوقت إلى قوم آخرين لما كان الثانى ناقضاً للأول ، وإذا كان الأمر كذلك كان قومه أول من يفهم عنه ثم يصيرون حجة على غيرهم ، وإذا كان الله عز وجل قد بعث محمداً صلى الله عليه وسلم إلى العجم فضلا عن العرب فقحطان وإن لم يكونوا من قومه أحق بلزوم الفرض من سائر العجم . وهذا الجواب جواب عوام النزارية ، فأما الخواص الخُلَّص فانهم قالوا : العرب كلهم شىء واحد لأن الدار والجزيرة واحدة والأخلاق والشيم واحدة ، وبينهم من التصاهر والتشابك والإتفاق فى الأخلاق وفى الأعراق من جهة الخؤولة المرددة والعمومة المشتبكة ثم المناسبة التى بنيت على غريزة التربة وطباع الهواء والماء ، فهم فى ذلك شىء واحد فى الطبيعة واللغة والهمة

والشمائل والمرعى والراية والصناعة والشهوة ، فإذا بعث الله عز وجل نبينا من العرب فقد بعثه إلى جميع العرب ، وكلهم قومه ، ولأنهم جميعا يد على العجم وعلى من حاربهم من الأمم لأن تناكحهم لا يعدوهم وتصاهرهم مقصور عليهم .

قالوا : والمشاكلة من جهة الاتفاق فى الطبيعة والعادة ربما كانت أبلغ وأوغل من المشاكلة من جهة الرحم ، نعم حتى تراه أغلب عليه من أخيه لأمه وأبيه وربما كانت أشبه به خَلقاً وخُلقاً وأدبا ومذهباً ، فيجوز أن يكون الله تبارك وتعالى حين حول إسماعيل عربياً أن يكون كما حول طبع لسانه إلى لسانهم وباعده من لسان العجم أن يكون أيضاً حول سائر غرائزه وسلخ سائر طبائعه فنقلها كيف أحب وركبها كيف شاء ثم فضله بعد ذلك بما أعطاه من الأخلاق المحمودة واللسان البين بما لم يكن عندهم ، وكما خصه من البيان بما لم يخصهم به فكذلك يخصه من تلك الأخلاق ومن تلك الدلائل بما يفوقهم ويروقهم ، فصار باطلاق اللسان على غير التلقين والترتيب وبما نقل [إليهم] من طبائعه ونقل إليه من طبائعهم وبالزيادة التى أكرمه الله بها أشرف شرفا وأكرم كرما .

وقد علمنا أن الخرس والأطفال إذا دخلوا الجنة وحولوا فى مقادير البالغين وإلى الكمال والتمام لا يدخلونها إلا مع الفصاحة بلسان أهل الجنة ولا يكون ذلك إلا على خلاف الترتيب والتدريج والتعليم والتقويم ، وعلى ذلك المثال كان كلام عيسى بن مريم عليه السلام فى المهد وإنطاق يحيى عليه السلام بالحكمة صبيا ، وكذلك القول فى آدم وحواء عليه السلام .

وقد قلنا فى ذئب أهبان بن أوس ، وغراب نوح ، وهدهد سليمان ، وكلام النملة ، وحمار عُزير ، وكذلك كل شىء أنطقه الله بقدرته وسخره لمعرفته ومشيئته ، وإنما يمتنع البالغ من المعارف من قِبَل أمور تعرض من الحوادث وأمور فى أصل تركيب الغريزة فإذا كفاهم الله تلك الآفات وحصنهم من تلك الموانع ووفر عليهم الذكاء وجلب إليهم جياد الخواطر وصرف أوهامهم الى التعرف وحبب إليهم التبين

وقمت المعرفة وتمت النعمة . والموانع قد تكون من قِبَلِ الأخلاط الأربعة على قدر القلة والكثرة والكثافه والرقة ، ومن ذلك مايكون من جهة سوء العادة وإهمال النفس فعندها يستوحش من الفكرة و يستثقل النظر ، ومن ذلك ما يكون من الشواغل العارضة والقوى المتقسمة ، ومن ذلك ما يكون من خُرق المعلم وقلة رفق المؤدب وسوء صبر المثقف ، فاذا صفّى الله ذهنه ونقحه وهذبه وثقفه وفرّغ باله وكفاه انتظار الخواطر وكان هو المفيد له والقائم عليه والمريد لهدايته لم يلبث أن يعلم ، وهذا صحيح فى الأوهام غير مدفوع فى العقول ، وقد جعل الله الخال أبا ، وقالوا : الناس بأزمانهم أشبه منهم بآبائهم .

وقد رأينا اختلاف صور الحيوان على قدر اختلاف طبائع الأماكن وعلى قدر ذلك شاهدنا اللغات والأخلاق والشهوات ، ولذلك قالوا : فلان ابن بجدتها وفلان بيضة البلد ، يقع ذما و يقع حمداً ، وقال زياد : والله لَلكوفة أشبه بالبصرة من بكر بن وائل بتميم . و يقولون : ما أشبه الليلة بالبارحة ! كأنهم قالوا : ما أشبه زمان يوسف بن عمر بزمان الحجاج . وقال سهيل بن عمرو : أشبه أمراً بعض بزه . وقال الأضبط بن قريع : بكل واد بنو سعد !

ولولا أن الله عز وجل أفرد إسماعيل من العجم وأخرجه بجميع معانيه إلى العرب لكان بنو إسحٰق أولى به ، و إنما ذلك كرجل قد أحاط علمه بأن هذا الطفل من نجل هذا الرجل ولكن لما كان من سفاح لم يجز أن يضيفه إليه و يدعوه أباه ، وقد جعل الله نسب ابن الملاعنة نسب أمه و إن ولد على فراش أبيه ، وقد أرسل الله موسى وهٰرون عليهما السلام إلى فرعون وقومه والى جميع القبط وهما أمتان : كنعانى وقبطى ، وقد جعل الله قوم كل نبى هم المبلغين والحجة ، ألا ترى أنا نزعم أن عجز العرب عن مثل نظم القرآن حجة على العجم من جهة إعلام العرب العجمَ أنهم كانوا عن ذلك عجزة ! وقال النبى صلى الله عليه وسلم «خُصِصْتُ بِأُمُورٍ مِنْهَا أَنِّي بُعِثْتُ إِلَى الأَحْمَرِ وَالأَسْوَدِ وَأُحِلَّتْ لِي الغَنَائِمُ وَجُعِلَتْ

لِيَ الأَرْضُ طَهُوراً » فدل بذلك على أن غيره من الرسل إنما كان يرسل إلى الخاص ، وليس يجوز لمن عرف صدق ذلك الرسول من سائر الأمم أن يكذبه وينكر دعواه ، والذى عليه ترك الإنكار والعمل بشريعة النبي الأول . هذا فرق ما بين من بعث إلى البعض ومن بعث إلى الجميع * انقضى الباب

حديث يوم السقيفة

قال : وقال حُبَابُ بنُ المُنْذِرِ يوم السقيفة : أنا جُذَيلُها المحكك وعُذَيقُها المُرَجَّب إن شئتم كررناها جذعةً ، منا أمير ومنكم أمير ، فان عمل المهاجرى شيئاً فى الأنصارى رد ذلك عليه الأنصارى وإن عمل الأنصارى شيئا فى المهاجرى رد عليه المهاجرى . فأراد عمرُ الكلام فقال أبو بكرٍ : على رِسْلِكَ ؟

نحن المهاجرون أول الناس إسلاماً وأوسطهم داراً وأكرم الناس أحساباً وأحسنهم وجوهاً وأكثر الناس ولادة فى العرب وأمسهم رحماً برسول الله صلى الله عليه وسلم أسلمنا قبلكم وقُدمنا فى القرآن عليكم ، فأنتم إخواننا فى الدين وشركاؤنا فى الفيء وأنصارنا على العدو ، آويتم ونصرتم وآسيتم فجزاكم الله خيرا ، نحن الأمراء وأنتم الوزراء ، ولا تدين العرب إلا لهذا الحى من قريش ، أنتم محقوقون أن لا تَنفِسُوا على إخوانكم من المهاجرين ما ساق الله إليهم . قالوا: فانا قد رضينا وسلمنا .

عيسي بن نذير قال : قال أبو بكر رضى الله تعالى عنه : نحن أهل الله وأقرب الناس بيتا من بيت الله وأمسهم رحماً برسول الله صلى الله عليه وسلم ، إن هذا الأمر إن تطاولت إليه الخزرجُ لم تقصر عنه الأوسُ وإن تطاولت إليه الأوس لم تقصر عنه الخزرج ، وقد كان بين الحيين قتلى لا تنسى وجراح لا تداوى ، فان نعق منكم ناعق فقد جلس بين لَحْيَيْ أسدٍ يضغمه المهاجرى ويجرحه الأنصارى .

قال ابنُ دأبٍ : فرماهم والله بالمسكتة .

من حديث ابن أبى سفيان بن حويطب عن أبيه عن جده قال : قدمت من عمرتى فقال لى أهلى : أعلمت أن أبابكر بالموت ! فأتيته فاذا عيناه تذرفان ، فقلت : ياخليفة رسول الله ، أما كنت أول من أسلم وثانى اثنين فى الغار فصدقت هجرتك وحسنت نصرتك ووليت فأحسنت صحبتهم واستعملت خيرهم عليهم ؟ قال : وحسناً ماصنعت ؟ قلت : نعم والله ، قال: والله لله أشكر له وأعلم به ولا يمنعنى ذلك من أن أستغفر الله . فما خرجت حتى مات .

أبو الخطاب الزُّرارى عن حجناء بن جرير قال: قلت : يا أبت إنك لم تهج أحدا إلا وضعته إلا التيم ! قال : إنى لم أجد حسباً فأضعه ولا بناء فأهدمه ! قال : وقيل للفرزدق : أحسن الكميت فى مدائحه فى تلك الهاشميات ؟ قال : وجد آجراً وجصاً فبنى . عامرُ بن الأسودِ قال : دخل رجل من ولد عامر بن الظرب على عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فقال له : خبرنى عن حالك فى جاهليتك وعن حالك فى إسلامك ؟ قال : أما جاهليتى فما ندمت فيها غير لمة ولا هممت فيها بأمة ولا خِمت فيها عن بهمة ولا رآنى راء إلا فى ناد أو عشيرة أوحمل جريرة أو خيل مغيرة . عوانة قال : قال عمر : الرجال ثلاثة ، رجل ينظر فى الأمور قبل أن تقع فيصدرها مصدرها ورجل متوكل لا ينظر فاذا نزلت به نازلة شاور أهل الرأى وقبل قولهم ورجل حائر بائر لا يأتمر رشدا ولا يطيع مرشدا . قال : كلم علباءُ بن الهيثم السدوسى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فى حاجة وكان أعور دميما جيد اللسان حسن البيان فلما تكلم فى حاجته فأحسن صعَّد عمر بصره فيه وحدره فلما أن قام قال : لكل أناس فى جميلهم خُبْرٌ .

أخبرنا عيسى بن يزيد [بن دأب] عن أشياخه قال : قدم معاوية : المدينة فدخل دار عثمان فقالت عائشة ابنة عثمان : وا أبتاه و بكت ، فقال معاوية : يا ابنة أخى ، إن الناس أعطونا طاعة وأعطيناهم أمانا وأظهرنا لهم حلما تحته غضب وأظهروا

لنا طاعة تحتها حقد ، ومع كل إنسان سيفه وهو يرى مكان أنصاره ، وإن نكثنا بهم نكثوا بنا ولا ندرى أعلينا تكون أم لنا ، ولأن تكونى ابنة عم أمير المؤمنين خير من أن تكونى امرأة من عرض المسلمين ؟[١] . وقالت عائشة ابنة عثمان فى أبان بن سعيد بن العاص حين خطبها وكان نزل بأيلة وترك المدينة :

نَزَلْتَ بِبَيْتِ الضَّبِّ لاَ أَنْتَ ضَائِرٌ عَـدُوًّا وَلاَ مُسْتَنْفِعًا أَنْتَ نَافِعُ

أبو الحسن قال : قال سلامة بن روح الجذامى لعمرو بن العاص : إنه كان بينكم وبين العرب ناب فكسرتموه[٢] فما حملكم على ذلك قال : أردنا أن نخرج الحق من جفير الباطل . قدم ببيعة على إلى الكوفة يزيد بن عاصم المحاربى فبايع أبو موسى فقال عمار لعلى : والله لينقضن عهده وليحلن عقده وليفرن جهده وليسلمن جنده . وقال على فى رواية الشعبى : حملتُ إليكم دِرَّةَ عمر لأضربكم بها لتنتهوا فأبيتم حتى اتخذت الخيزرانة فلم تنتهوا ، وقد أرى الذين يريدون السيف ولا آتى لأصلحكم بفسادى !

مقطعات من نوادر الأعراب وأشعارهم

كانت العادة فى كتب الحيوان أن أجعل فى كل مصحف من مصاحفها عشر ورقات من مقطعات الأعراب ونوادر الأشعار لما ذكرت عجبك بذلك فأحببت أن يكون حظ هذا الكتاب فى ذلك أوفر إن شاء الله تعالى . قال أبو العرف الطهوى :

وَافَى الْوُفُودَ فَوَافَى مِنْ بَنِى جَمَلٍ بِكْرُ الْوِفَادَةِ فَانِى السِّنِّ عُرْزُومُ[٣]

كَزُّ الْمَلاَطِينِ فِى السِّرْبَالِ حِينَ مَشَى وَفِى الْمَجَالِسِ لَحَّاظٌ رُزَامِيمُ[٤]

(١) من عرض المسلمين : يعنى من عامتهم

(٢) يريد ما صنعوه مع على كرم الله وجهه

(٣) عرزوم : شديد مجتمع

متقبض جانبي السنام

لمَّا رأى الْبابَ والْمَوَّابَ أَخْرجَهُ ... لؤمٌ يُخالِطُهُ جُبْنٌ وتَحْزِيمُ

قدْ كانَ لِي بِكُمُ عِلْمٌ وكانَ لكُمْ ... مَمْشَى وَرَاءَ ظُهُورِ الْقَوْمِ مَعْلُومُ

وقال الحرث بن حلزة ، قال أبو عبيدة : الباقي مصنوع : (١)

يَا أَيُّهَا الْمُزْمِعُ ثُمَّ انْثَنَى ... لا يُثْنِكَ الْحَازِي وَلا الشَّاحِجُ (٢)

وَلا قَعِيدٌ أَعْضَبٌ قَرْنُهُ ... هَاجَ لَهُ مِنْ مَرْتَعٍ هَائِجُ (٣)

بَيْنَا الْفَتَى يَسْعَى وَيُسْعَى لَهُ ... تَاحَ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ خَالِجُ

يَتْرُكُ مَا رَفَّحَ مِنْ عَيْشِهِ ... يَعْبَثُ فِيهِ هَمَجٌ هَامِجُ (٤)

قُلْتُ لِعَمْرٍو حِينَ أَرْسَلْتُهُ ... وَقَدْ حَبَا مِنْ دُونِنَا عَالِجُ (٥)

لا تَكْسَعِ الشَّوْلَ بِأَغْبَارِهَا ... إِنَّكَ لا تَدْرِي مَنِ النَّاتِجُ (٦)

وَاصْبُبْ لِأَضْيَافِكَ أَلْبَانَهَا ... فَإِنَّ شَرَّ اللَّبَنِ الْوَالِجُ (٧)

وقال زَبَّانُ بنُ سَيَّارِ بنِ عَمْرِو بن جابر [الفزاري]

تَخَبَّرَ طَيْرَةً فِيهَا زِيَادٌ ... لِتُخْبِرَهُ وَمَا فِيهَا خَبِيرُ

أَقَامَ كَأَنَّ لُقْمَانَ بْنَ عَادٍ ... أَشَارَ لَهُ بِحِكْمَتِهِ مُشِيرُ

تَعَلَّمْ أَنَّهُ لا طَيْرَ إِلَّا ... عَلَى مُتَطَيِّرٍ وَهُوَ الثُّبُورُ

---

(١) اما الأبيات الصحيحة فهي هذه قال يوصى ابنه عمرا :

قلت لعمرو حين أرسلته ... وقد حبا من دونها عالج

لاتكسع الشول بأغبارها ... إنك لاتدرى من الناتج

واصبب لأضيافك البانها ... فان شر اللبن الوالج

يترك ما رفح من عيشه ... يعبث فيه همج هامج

(٢) الحازي : الكاهن الذي يزجر الطير ، والشاحج : الغراب

(٣) القعيد الاعضب : الظبي المكسور القرن الذي يأتي من الخلف

(٤) مارفح : ما اصلح ، همج هامج : رعاع أوشاب

(٥) حبا : عرض ودنا ، عالج : رمل في مكان معروف يقال له رمل عالج

(٦) لا تكسع الشول : لا تترك في ضروع النياق بقايا اللبن ، الاغبار بقية اللبن

(٧) الوالج : الذي يدخر في البيت

بَلَى شَيْءٌ يُوافِقُ بَعْضَ شَيْءٍ … أَحايِيناً وَباطِلُهُ كَثِيرُ
وَمَنْ يُنْزَحْ بِهِ لَابُدَّ يَوْماً … يَجِيءُ بِهِ نَعِيٌّ أَوْ بَشِيرُ

وقال بعض الأعراب :

نجيبةُ بطّالٍ لدُنْ شبَّ همُّهُ … لُعابُ الغواني والمُدامُ المُشَعْشَعُ
جلا المِسْكُ والحمّامُ والبيضُ كالدُّمى … وَطِيبُ الدِّهانِ رأسَهُ فهوَ أنْزَعُ
أُسَيْلِمُ ذاكُمْ لا خفاً بمكانِهِ … لِعَيْنٍ تَدَجّى أوْ لِأُذْنٍ تَسَمَّعُ
مِنَ النَّفَرِ الشُّمِّ الَّذِينَ إذا انْتَدَوْا … وَهابَ الرِّجالُ حَلْقَةَ البابِ قَعْقَعُوا
إذا النَّفَرُ السُّودُ اليَمانُونَ نَمْنَمُوا … لهُ حَوْكَ بُرْدَيْهِ أطالُوا وَأَوْسَعُوا

وقال بعض الأعراب :

أَلْبانُ إبْلِ تَعِلَّةَ بْنِ مُسافِرٍ … ما دامَ يَمْلِكُها عَلَيَّ حَرامُ
وَطَعامُ عِمْرانَ بْنِ أَوْفى مِثْلُهُ … ما دامَ يَسْلُكُ فِي البُطُونِ طَعامُ
إنَّ الَّذِينَ يَسُوغُ فِي أَحْلاقِهِمْ … زادٌ يُمَنُّ عَلَيْهِمُ لَلِئامُ
لَعَنَ الإلٰهُ تَعِلَةَ بْنَ مُسافِرٍ … لَعْناً يُشَنُّ عَلَيْهِ مِنْ قُدّامُ

وقال بعض الأعراب :

نَجِيبَةُ قَوْمٍ شادَها القَتُّ وَالنَّوى … بِيَثْرِبَ حَتّى نَيُّها مُتَظاهِرُ (١)
فَقُلْتُ لَها سِيرِي فَما بِكِ عِلَّةٌ … سَنامُكِ مَلْمُومٌ وَنابُكِ فاطِرُ
فَمِثْلُكِ أَوْ خَيْراً تَرَكْتُ رَزِيَّةً … تُقَلِّبُ عَيْنَيْها إذا مَرَّ طائِرُ (٢)

وقال بعض الأعراب ، مجهول الاسم ، وهو من جيد محدث أشعارهم :

حَفَرْنا عَلى رَغْمِ اللَّهازِمِ حُفْرَةً … بِبَطْنِ فَلاحٍ وَالأَسِنَّةُ جُنَّحُ

---

(١) القت : نبات جاف ترعاه الابل . والظاهر انه تبن البرسيم . النى : الشحم

(٢) الرزية : كان العرب فى الجاهلية إذا مات سيد منهم تركوا إلى جانب قبره ناقة قد شد عنقها إلى رحلها فلا تزال هكذا حتى تموت او يفترسها سبع . وهذه هى الرزية

وَقَدْ غَضِبُوا حَتَّى إِذَا مَلأُوا الرُّبَى ... رَأَوْا أَنَّ إِقْرَارًا عَلَى الضَّيْمِ أَرْوَحُ (١)

وقال رجل من محارب :

وَقَائِلَةٍ تَطَوَّفُ فِى جِدَادٍ ... وَأَنْتَ إِخَالُ مُعْطًى لَوْ تَقُومُ (٢)

فَقُلْتُ الضَّارِبَاتُ الطَّلْحِ وَهْنًا ... عَلَى يُمْنَاىَ إِذْ وَضَحَ النُّجُومُ

قَصَرْنَ عَلَىَّ بَعْدَ اللهِ فَقْرِى ... فَلاَ أَسَلُ الصَّدِيقَ وَلاَ أَلُومُ

وقال حاتمُ الطائى :

وَإِنِّى لأَسْتَحْيِي حَيَاءً يَسُرُّنِى ... إِذَا اللُّؤْمُ مِنْ بَعْضِ الرِّجَالِ تَطَلَّعَا

إِذَا كَانَ أَصْحَابُ الإِنَاءِ ثَلاَثَةً ... حَيِيًّا وَمُسْتَحْيًا وَكَلْبًا مُجَشَّمَا

فَإِنِّى لأَسْتَحْيِي أَكِيلِى أَنْ يَرَى ... مَكَانَ يَدِى مِنْ جَانِبِ الزَّادِ أَقْرَعَا

أَكُفُّ يَدِى مِنْ أَنْ تَمَسَّ أَكُفَّهُمْ ... إِذَا نَحْنُ أَهْوَيْنَا وَحَاجَتُنَا مَعَا

وَإِنَّكَ مَهْمَا تُعْطِ بَطْنَكَ سُؤْلَهُ ... وَفَرْجَكَ نَالاَ مُنْتَهَى الذَّمِّ أَجْمَعَا

قال : وأظنها لبعض اليهود :

وَإِنِّى لأَسْتَبْقِى إِذَا العُسْرُ مَسَّنِى ... بَشَاشَةَ وَجْهِى حِينَ تُبْلَى المَنَاقِعُ

فَأُغْنِى ذَوِى قَوْمِى وَلَوْ شِئْتُ نَوَّلُوا ... إِذَا مَا تَشَكَّى المُلْحِفُ المُتَضَارِعُ

مَخَافَةَ أَنْ أُقْلَى إِذَا جِئْتُ زَائِرًا ... وَتُرْجِعُنِى نَحْوَ الرِّجَالِ المَطَامِعُ

فَأُسْمِعَ مَنًّا أَوْ أُشَرِّفَ مُنْعِمًا ... وَكُلُّ مُصَادِى نِعْمَةٍ مُتَوَاضِعُ

وقال بعض بنى أسد [يمدح يحيى بن حيان النخعى] :

أَلاَ جَعَلَ اللهُ الْيَمَانِينَ كُلَّهُمْ ... فِدًى لِفَتَى الفِتْيَانِ يَحْيَى بْنِ حَيَّانِ

وَلَوْلاَ عُرُوقٌ فِىَّ مِنْ عَصَبِيَّةٍ ... لَقُلْتُ وَأَلْفًا مِنْ مَعَدِّ بْنِ عَدْنَانِ

وَلَكِنَّ نَفْسِى لَمْ تَطِبْ بِعَشِيرَتِى ... وَطِيبَتْ لَهُ نَفْسًا بِأَبْنَاءِ قَحْطَانِ (٣)

---

(١) يعنى أنهم بالرغم من تجمعهم رأوا ترك القتال أبقى لهم وأروح لأنفسهم ، يرميهم بأنهم أنذال جبناء أذلا[ء]

(٢) فى جداد : فى وقت قطع الثمر من النخل

(٣) ويروى : وطابت له نفسى

وقال ثروان أو ابن ثروان ، مولى لبنى عُذْرَةَ : (١)

وَلَوْ كُنْتُ مَوْلَى قَيْسِ عَيْلَانَ لَمْ تَجِدْ ... عَلَيَّ لِإِنْسَانٍ مِنَ النَّاسِ دِرْهَمَا
وَلَـكِنَّنِي مَوْلَى قُضَاعَةَ كُلِّهَا ... فَلَسْتُ أُبَالِي أَنْ أَدِينَ وَتَغْرَمَا
أُولَئِكَ قَوْمِي بَارَكَ اللهُ فِيهِمُ ... عَلَى كُلِّ حَالٍ مَا أَعَفَّ وَأَكْرَمَا
جُفَاةُ المَحَزِّ لَا يُصِيبُونَ مَفْصِلاً ... وَلَا يَأْكُلُونَ اللَّحْمَ إِلَّا تَخَذُّمَا

وقال آخر [حاتم الطائى]

أَيَا ابْنَةَ عَبْدِ اللهِ وَابْنَةَ مَالِكٍ ... وَيَا ابْنَةَ ذِي البُرْدَيْنِ وَالفَرَسِ الوَرْدِ
إِذَا مَا عَمِلْتِ الزَّادَ فَالْتَمِسِي لَهُ ... أَكِيلاً فَإِنِّي لَسْتُ آكُلُهُ وَحْدِي
كَرِيمًا قَصِيًّا أَوْ قَرِيبًا فَإِنَّنِي ... أَخَافُ مَذَمَّاتِ الأَحَادِيثِ مِنْ بَعْدِي
وَكَيْفَ يُسِيغُ المَرْءُ زَادًا وَجَارُهُ ... خَفِيفُ المِعَى بَادِي الخَصَاصَةِ وَالجَهْدِ
وَلَلْمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ زِيَارَةِ بَاخِلٍ ... يُلَاحِظُ أَطْرَافَ الأَكِيلِ عَلَى عَمْدِ
وَإِنِّي لَعَبْدُ الضَّيْفِ مَا دَامَ ثَاوِيًا ... وَمَا فِيَّ إِلَّا تِلْكَ مِنْ شِيمَةِ العَبْدِ

وقال ابن عبدَلٍ :

وَلَوْ شَاءَ بِشْرٌ كَانَ مِنْ دُونِ بَابِهِ ... طَمَاطِمُ سُودٌ أَوْ صَقَالِبَةٌ حُمْرُ
وَلَـكِنَّ بِشْرًا سَهَّلَ البَابَ لِلَّتِي ... يَكُونُ لِبِشْرٍ عِنْدَهَا الحَمْدُ وَالأَجْرُ
بَعِيدُ مُرَادِ العَيْنِ مَا رَدَّ طَرْفَهُ ... حِذَارَ الغَوَاشِي بَابُ دَارٍ وَلَا سِتْرُ

وقال بعض الحجازيين : (٢)

لَوْ كُنْتُ أَحْمِلُ خَمْرًا يَوْمَ زُرْتُكُمُ ... لَمْ يُنْكِرِ الكَلْبُ أَنِّي صَاحِبُ الدَّارِ
لَكِنْ أَتَيْتُ وَرِيحُ المِسْكِ يَفْغَمُنِي ... وَالعَنْبَرُ الوَرْدُ أُذْكِيهِ عَلَى النَّارِ
فَأَنْكَرَ الكَلْبُ رِيحِي حِينَ أَبْصَرَنِي ... وَكَانَ يَعْرِفُ رِيحَ الزِّقِّ وَالقَارِ

(١) الصحيح ان هذه الابيات لشقران مولى بنى سلامان بن سعد هزيم . وهو من شعراء الدولتين الأموية والعباسية وكان بينه وبين ابن ميادة هجاء وتساب .

(٢) هذه الأبيات لمالك بن أسماء الفزارى

وقال ابنُ عبدل :

نِعمَ جارُ الخنزيرةِ المرضِعِ الغرْ ... ثَى إذا ما غدا أبو كلثومِ
طاوياً قدْ أصابَ عندَ صديقٍ ... مِنْ غداءٍ مُلبّقٍ مأدومِ
ثمّ أنحى بجعرهِ حاجبَ الشمْـ ... ـسِ فألقى كالمعلفِ المهدومِ

وقال حبيبُ بنُ أوس [أبو تمام الطائى]

وحياةُ القريضِ إحياؤكَ الجُـ ... ـودَ فإنْ ماتَ الجودُ ماتَ القريضُ
يا مُحِبَّ الإحسانِ فى زمنٍ أصْـ ... ـبحَ فيهِ الإحسانُ وهوَ بغيضُ

وقال :

ثمَّ اطّرحتُمْ قراباتى وآصرتى ... حتَّى توهّمتُ أنّى مِنْ بنى أسدِ
وطلعةُ الحمدِ أقلى فى عيونهمِ ... وفى صدورهم مِنْ طلعةِ الأسدِ

وقال :

إيّاكَ يعنى القائلونَ بقولِهِمْ ... (إنَّ الشقىَّ بكلِّ حبلٍ يُخنقُ)
مِنْ شاعرٍ وقفَ الكلامُ ببابهِ ... واكتنَّ فى كنفى ذراهُ المنطقُ
سِرْ حيثُ شئتَ منَ البلادِ فلى بها ... سُورٌ عليكَ مِنَ الرجالِ وخندقُ
قدْ ثقّفتْ منهُ الشآمُ وسهّلتْ ... منهُ الحجازُ ورقّقتْهُ المشرقُ

وقال :

بنو عبدِ الكريمِ نجومُ ليلٍ ... تُرَى فى طىِّءٍ أبداً تلوحُ
إذا كانَ الهجاءُ لهمْ ثواباً ... فخبّرْنى لمنْ خُلقَ المديحُ

وقال :

أىُّ شىءٍ يكونُ أحسنَ مِن صـ ... ـبٍّ أديبٍ متيّمٍ بأديبِ

وقال :

نقّلْ فؤادكَ حيثُ شئتَ منَ الهوى ... ما الحبُّ إلاّ للحبيبِ الأوّلِ

كم مَنْزِلٍ فى الأرضِ يألفُهُ الفتى ... وحنينُهُ أبداً لأوّلِ منزلِ

وقال :

إشرب فإنك سوف تعلمُ أنّهُ ... قدحٌ يُصيبُ العِرضَ منهُ خُمارُ

عاداكَ أسوارُ الكلامِ بشُرَّدٍ ... عُونِ القريضِ خُتوفها أبكارُ

غُرُرٌ بَنى ما شئتُ كُنَّ شواهدى ... أن لم يكنْ لى والدٌ عطَّارُ

وقال سَلَمة بن الخُرْشُب الأنمارى :(١)

أبلغْ سُبَيعاً وأنتَ سيّدُنا ... قِدْماً وأوفى رجالِنا ذِمَما

أنَّ بغيضاً وأنَّ إخوتَها ... ذُبيانَ قد ضَرَّمُوا الذى اضطرَما

نُبِّئتُ أنْ حكّموكَ بينهُمُ ... فلا يقولُنَّ بئسَ ما حكَما

إنْ كنتَ ذا عِرْفةٍ بشأنهمِ ... تعرفُ ذا حقّهمْ ومَنْ ظلَما

وتُنزلُ الأمرَ فى منازلهِ ... حزماً وعزماً وتُحضِرُ الفَهِما

ولا تُبالى مِنَ المحقِّ ولا المبـ ... ـطلِ لا إلّةً ولا ذِمَماً (٢)

فاحكمْ فأنتَ الحكيمُ بينهُمُ ... لنْ يعدِمُوا الحُكمَ ثابتاً صتَما

واصدعْ أديمَ السَّواءِ بينهُمُ ... على رِضا مَنْ رضى ومَنْ رغِما

إنْ كانَ مالاً ففضِّ عِدّتَهُ ... مالاً بمالٍ وإنْ دماً فدَما

هذا وإنْ لمْ تُطقْ حكومتَهُمْ ... فانبذْ إليهمْ أمورَهُمْ سَلَما

وقال آخر :

أبلغْ ضِراراً أبا عمرٍو مُغلغلةً ... أنْ كلُّ قولكَ ظهرَ الغيبِ يأتينا

أرهنْ قبيصةَ إنْ صلحٌ هممتَ بهِ ... إنَّ ضِراراً لكمْ رهنٌ بما فينا

إنْ ضُحّيكا قتيلٌ مِنْ سراتِكُمُ ... وإنَّ حِطّانَ منّا فاعدِلُوا الدِّينا(٣)

---

(١) كان بالأصول : سلمة بن الحرث . وهو خطأ . والصواب ما اثبتناه . وراجع ص ٢٠١ من الجزء الاول

(٢) الالة هنا بمعنى الحلف او القرابة . والذمة : العهد

(٣) الدين : الجزاء

وَانْهَ عُبَيْدًا فلا يُؤْذِي عَشِيرَتَهُ نَهْيُكَ خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَهْيِ نَاهِينَا

وقال آخر :

بَنِى عَدِيٍّ أَلَا يُنْهَى سَفِيهُكُمُ إِنَّ السَّفِيهَ إِذَا لَمْ يُنْهَ مَأْمُورُ

وقال حضرمي بن عامر الأسدى ، ومات أخوه ، فقال جزء : قد فرح بأكل الميراث :

قَدْ قَالَ جَزْءٌ وَلَمْ يَقُلْ جَلَلَا أَنِّى تَرَوَّحْتُ نَاعِمًا جَذِلَا

إِنْ كُنْتَ أَزْنَنْتَنِي بِهَا كَذِبًا جَزْءُ فَلَاقَيْتَ مِثْلَهَا عَجِلَا

أَفْرَحُ أَنْ أُرْزَأَ الكِرَامَ وَأَنْ أُورِثَ ذَوْدًا شَصَائِصًا نَبَلَا ؟

وقال حُرَيث بنُ سلمة بن مرارة :

تَقُولُ ابْنَةُ العَمْرِيِّ لَمَّا رَأَيْتُهَا تَنَكَّرْتَ حَتَّى كِدْتَ مِنْكَ أُهَالُ

فَإِنْ تَعْجَبِي مِنِّى عُمَيْرُ فَقَدْ أَتَتْ لَيَالٍ وَأَيَّامٌ عَلَيَّ طِوَالُ

وَإِنِّى لَمِنْ قَوْمٍ تَشِيبُ سَرَاتُهُمْ كَذَاكَ وَفِيهِمْ نَائِلٌ وَفَعَالُ

وَلَوْ لَقِيَتْ مَا كُنْتُ أَلْقَى مِنَ العِدَى إِذَا سَالَ مِنْهَا مَفْرِقٌ وَقَذَالُ

وَلَكِنَّهَا فِي كِلَّةٍ كُلَّ شَتْوَةٍ وَفِي الصَّيْفِ كِنٌّ بَارِدٌ وَحِجَالُ

تُصَانُ وَتُعْلُ المِسْكَ حَتَّى كَأَنَّهَا إِذَا وَضَعَتْ عَنْهَا النَّصِيفَ غَزَالُ

وقال بعض الخوارج لامرأته ، وأرادت أن تنفر معه :

إِنَّ الحَرُورِيَّةَ الحَرَّا إِذَا رَكِبُوا لَا تَسْتَطِيعُ لَهُمْ أَمْثَالُكِ الطَّلَبَا

إِنْ يَرْكَبُوا فَرَسًا لَا تَرْكَبِي فَرَسًا وَلَا تُطِيقِي مَعَ الرَّجَّالَةِ الخَبَبَا

وقال خُزَزُ بنُ لُوذَانَ لامرأته فى شبيه بهذا :

لَا تَذْكُرِي مُهْرِي وَمَا أَطْعَمْتُهُ فَيَكُونَ جِلْدُكِ مِثْلَ جِلْدِ الأَجْرَبِ

إِنَّ الغَبُوقَ لَهُ وَأَنْتِ مَسُوءَةٌ فَتَأَوَّهِي مَا شِئْتِ ثُمَّ تَحَوَّبِي

كَذَبَ العَتِيقُ وَمَاءُ شَنٍّ بَارِدٍ إِنْ كُنْتِ سَائِلَتِي غَبُوقًا فَاذْهَبِي

إِنِّى لَأَخْشَى أَنْ تَقُولَ خَلِيلَتِي هَذَا غُبَارٌ سَاطِعٌ فَتَلَبَّبِ

إنَّ العَدُوَّ لَهُمْ إليكِ وَسِيلَةٌ … إنْ يأخذوكِ تَكحّلِي وتخضّبي
وَيكونُ مَرْكبُكِ القَعُودَ وحِدْجَهُ … وَابْنُ النَّعامَةِ يَوْمَ ذَلِكَ مَرْكَبِي
وَأنا امْرُؤٌ إنْ يأخُذُونِي عَنْوَةً … أُقْرَنْ إلى شَرِّ الرِّكابِ وأُجْنَبِ

وأراد أعرابي أن يسافر فطلبت اليه امرأته أن تكون معه فقال :

إنَّكِ لو سافَرْتِ قدْ مَذِحْتِ … وَحَكَّكِ الحِنْوَانِ فانْفَتَحْتِ (١)
وَقُلْتِ هَذا صَوْتُ دِيكٍ تَخّي

وفي شبيه بهذا المعنى الأول يقول عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة :

وَأعْجَبَها مِنْ عَيْشِها ظِلُّ غُرْفَةٍ … وَرَيّانُ مُلْتَفُّ الحدائقِ أَخْضَرُ
وَوالٍ كَفاها كُلَّ شَيْءٍ يُهِمُّها … فَلَيْسَتْ لِشَيْءٍ آخِرَ الدَّهْرِ تَسْهَرُ

وقال سلامةُ بنُ جَنْدَلٍ هذه الأبيات وبعث بها الى صَعْصَعَةَ بنِ محمودِ بنِ عمرو ابنِ مَرْثَدٍ ، وكان أخوه أحمر بن جندل أسيراً في يده ، فأطلقه له :

سأجْزِيكَ بالوِدِّ الذي كانَ بَيْنَنا … أصَعْصَعَ إنّي سَوْفَ أجْزِيكَ صَعْصَعا (٢)
سأُهْدِي وَإنْ كُنّا بِتَثْلِيثَ مِدْحَةً … إلَيْكَ وَإنْ حَلَّتْ بُيُوتُكَ لَعْلَعا
فإنْ يَكُ مَحْمُودٌ أباكَ فإنَّنا … وَجَدْناكَ مَحْمُودَ الخَلائِقِ أرْوَعا (٣)
وإنْ شِئْتَ أهْدَيْنا ثَناءً وَمِدْحَةً … وَإنْ شِئْتَ أهْدَيْنا لَكُمْ مِئَةً مَعا (٤)

قال [صعصعة بن محمود] ألثناء والمدحة أحب الينا . وقال أوس بن حجر ، حين حبس وأقام عند فضالة بن كلدة ، وتولت خدمته حليمة ابنة فضالة شاكراً ذلك :

(١) قال الجاحظ : المذح : سحج إحدى الفخذين بالاخرى

(٢) الذي في ديوان سلامة بن جندل المطبوع في بيروت :

سأجزيك بالقد الذي قد فككته … سأجزيك ما ابليتنا العام صعصعا

(٣) رواية الديوان هكذا :

فان يك محمود اباك فاننا … وجدناك منسوبا إلى الخير اروعا

(٤) رواية الديوان هكذا:

وإن شئت اهدينا ثناء ومدحة … وإن شئت عدينا لكم مئة معا

لَعَمْرُكَ مَا مَلَّتْ ثَوَاءَ ثَوِيِّهَا حَلِيمَةُ إِذْ أَلْقَى مَرَاسِيَ مُقْعَدِ
وَلَكِنْ تَلَقَّتْ بِالْيَدَيْنِ ضَمَانَتِي وَحَلَّ بِفَلْجٍ فَالْقَنَافِذِ عُوَّدِي
وَقَدْ غَبَرَتْ شَهْرَىْ رَبِيعٍ كِلَيْهِمَا بِحَمْلِ الْبَلَايَا وَالْخِبَاءِ الْمُمَدَّدِ
وَلَمْ تُلْهِهَا تِلْكَ التَّكَالِيفُ أَنَّهَا كَمَا شِئْتَ مِنْ أُكْرُومَةٍ وَتَخَرُّدِ
هِيَ ابْنَةُ أَعْرَاقٍ كِرَامٍ نَمَيْنَهَا إِلَى خُلُقٍ عَفٍّ بَرَازَتِهِ قَدِ
سَأَجْزِيكِ أَوْ يَجْزِيكِ عَنَّا مُثَوِّبٌ وَحَسْبُكِ أَنْ يُثْنَى عَلَيْكِ وَتُحْمَدِي

وقال الخريمى :

وَلَمْ أَجْزِهِ إِلَّا الْمَوَدَّةَ جَاهِدًا وَحَسْبُكَ مِنِّي أَنْ أَوَدَّ فَأَجْهَدَا

وقال الأسدى:

وَإِنِّي أُحِبُّ الْخُلْدَ لَوْ أَسْتَطِيعُهُ وَكَالْخُلْدِ عِنْدِي أَنْ أَمُوتَ وَلَمْ أُلَمْ

وقال الحادرة :

فَأَثْنُوا عَلَيْنَا لَا أَبَا لِأَبِيكُمُ بِإِحْسَانِنَا إِنَّ الثَّنَاءَ هُوَ الْخُلْدُ

وأنشد الأصمعى لمهلهل :

فَقَتْلًا بِتَقْتِيلٍ وَعَقْرًا بِعَقْرِكُمْ جَزَاءَ الْعُطَاسِ لَا يَمُوتُ مَنِ اثَّأَرْ

وضاف أبو الشُّلَيل العنبرى بنى حكم فخذا من عَنزة فقال :

أَرَانِي فِي بَنِي حَكَمٍ قَصِيًّا عَلَى قَتَرٍ أَزُورُ وَلَا أُزَارُ
أُنَاسٌ يَأْكُلُونَ اللَّحْمَ دُونِي وَتَأْتِينِي الْمَعَاذِرُ وَالْقُتَارُ

وقال الآخر :

إِذَا مَدَّ أَرْبَابُ الْبُيُوتِ بُيُوتَهُمْ عَلَى رُجَّحِ الْأَكْفَالِ أَلْوَانُهَا زُهْرُ
فَإِنَّ لَنَا مِنْهَا خِبَاءً يُحِفُّنَا إِذَا نَحْنُ أَمْسَيْنَا الْمَجَاعَةُ وَالْفَقْرُ

وقال آخر وهو أبو المهوّس الأسدى :(١)

تراه يُطوِّفُ الآفاقَ حرصًا ... ليأكلَ رأسَ لقمانَ بنِ عادِ

وقال أيضا :

وبنو الفُقَيمِ قليلةٌ أحلامُهم ... ثُطُّ اللحى متشابهو الألوانِ
لو يسمعونَ بأكلةٍ أو شربةٍ ... بعُمانَ أصبحَ جمعُهم بعُمانِ
متأبّطين بنيهمُ وبناتِهم ... صُعرَ الأنوفِ لريحِ كلِّ دُخانِ

وقال آخر :

وجيرةٍ لن ترى فى الناسِ مثلَهمُ ... إذا يكونُ لهم عيدٌ وإفطارُ
إن يُوقدوا يُوسِعونى من دُخانِهمِ ... وليس يبدو لنا ما تُنضِجُ النارُ

وقال أبو الطُّرُوق الضَّبى فى خاقان بن عبد الله بن الأهتم :

وشكّ الناسُ فى خاقانَ لمّا ... أتى لولادِهِ سنةٌ وشهرُ
وقالتْ أختُه إنّى براهُ ... إلى الرحمنِ منكَ وذاكَ نُكرُ
ولم يُسمعْ بحملٍ قبلَ هذا ... أتى من دونِهِ دهرٌ ودهرُ
فنافرَها فألحقَهُ شبيبٌ ... وأثبتَهُ فشابَ عليهِ وفرُ

وقال مكى بن سوادة البرجمى :

تحيّرَ اللؤمُ يبغى من يُحالفُهُ ... حتّى تناهى إلى أبناءِ خاقانِ
أزرى بكم يا بنى خاقانَ أنّكمُ ... من نسلِ حجّامةٍ من قِنِّ هزّانِ
سفّاكةٍ لدماءِ القومِ آكلةٍ ... قِدمًا لأموالِهم من غيرِ سلطانِ
لو تسألونَ بها أيّوبَ جاءكمُ ... على الذى قلتُ أيّوبُ ببرهانِ
أيامَ تُعطيهِ خرجًا من حجامتِها ... يومًا فيومًا تُوفّيهِ بأوزانِ
فإنْ رددتُم عليهِ ما يقولُ أتى ... على مقالتِهِ فيها بتِبيانِ

(١) روى المبرد ان هذا البيت من ابيات لأبى مهدش الفقعسى . وروى دعبل انها لابى مهوس الأسدي ورواها ابن برى ليزيد بن عمرو بن الصعق . وراجع بقيتها فى ص ١٦٦ من الجزء الاول

ثم اشتراها أبو خاقان حين عست فالتقطت نقطة منه بأقطان (١)
فاستدخلتها ولا يدرى بما فعلت حتى إذا ركضت جاءت بخاقان

وقال اللعين المنقرى فى آل الأهتم :

وكيف تسامون الكرام وأنتم دوارج جرذيون فدع القوائم (٢)
بنو ملصق من ولد حذلم يكن ظلوما ولا مستنكرا للمظالم

وقال آخر :

قالت عهدتك مجنونا فقلت لها إن الشباب جنون برؤه الكبر

وقال أعرابى وهو أبو حية النميرى :

رمتنى وستر الله بينى وبينها عشية آرام الكناس رميم
ألا رب يوم لو رمتنى رميتها ولكن عهدى بالنضال قديم
رميم التى قالت لجارات بيتها ضمنت لكم أن لا يزال يهيم

وقال أبو يعقوب الأعور :

بقلبى سقام لست أحسن وصفه على أنه ما كان فهو شديد
تمر به الأيام تسحب ذيلها فتبلى به الأيام وهو جديد

وقال الثقفى :

من كان ذا عضد يدرك ظلامته إن الذليل الذى ليست له عضد
تنبو يداه إذا ما قل ناصره ويأنف الضيم إن أثرى له عدد

وقال أشجع السلمى فى هرون أمير المؤمنين :

وعلى عدوك يا ابن عم محمد رصدان ضوء الصبح والإظلام
فإذا تنبه رعته وإذا هدى سلت عليه سيوفك الأحلام

(١) عست : كبرت
(٢) فدع : معوجو القوائم

وقال :

إِنتَجِـعِ الفَضْلَ أوتَخَلَّ مِنَ الـــدُّنيا فهاتانِ غايتا الهِمَمِ

وقال :

أبَتْ طَبرِستانُ إلاّ الّذِي   يَعُم البَرِيّةَ مِنْ دائها
ضَممتَ مناكبِها ضمةً   رَمَتْكَ بما بينَ أحْشائها

وقالوا : لم يدع الأول للآخر معنى شريفا ولا لفظاً بهياً إلا أخذه إلا بيت عنترة :

فترى الذُّبابَ بها يُغنّي وَحْدَهُ   غَرِداً كفِعْلِ الشّارِبِ المُترَنّمِ
هَزِجاً يَحُكُّ ذِراعَهُ بِذِراعِه   فِعلَ المُكِبِّ على الزِّنادِ الأجْذَمِ

وقال الثقيمى قاتل غالب أبى الفرزدق :

وَما كُنْتُ نَوّامًا وَلكِنّ ثائِراً   أناخ قليـلاً فوقَ ظَهْرِ سَبيل
وَقَدْ كُنتُ مَخزونَ اللّسانِ وَمُفحماً   (فأصْبَحْتُ أدْرِي اليومَ كيفَ أقُولُ)

وقال أبو المُثلّم الهذَليّ (١)

أصَخْرَ بنَ عبدِ اللهِ إنْ كُنتَ شاعِرا   فإنّكَ لا تَهْدِي القَرِيضَ لِمُفْحَمِ

قال الهذلى (٢)

---

(١) هو ابو المثلم الهذلى : احد شعراء هذيل المعدودين ، كان بينه وبين صخر بن عبد الله الخيثمى الهذلى المعروف بصخر الغي تنافس . وكان صخر خليعا ذا باس وشر ، ومن شره انه عمد إلى رجل مزنى كان جاراً لبنى خناعة بن سعد بن هذيل فقتله ، فاخذ ابو المثلم يحرض قومه على مطالبته بدم جارهم المزني فبلغ ذلك صخرا فقال يذكر ابا المثلم وما فعله :

إني بدهماء عز ما أجد   عاودنى من حبابها زؤد
عاودنى حبها وقد شحطت   صرف نواها فانى كمد
فلست عبدا للموعدين ولا   اقبل ضيما اوتي به احد
جاءت كبير كيما اخفرها   والقوم صيد كانهم رمدوا
فى المزني الذي حششت به   مال ضريك تلاده نكد
إن امتسكه فبالفداء وإن   اقتل بسيفي فانه قود

فرد عليه ابو المثلم بقصيدة منها البيت الذى فى الاصل

(٢) هو أبو العيال الهذلى وقد مضت ترجمته فى ص ١٧ من الجزء الاول

عَلَى عَبْدِ بْنِ زُهْرَةَ طُولَ هَذَا الدَّهْرِ أَنْتَحِبُ (١)
أَخٌ لِي دُونَ مَنْ لِي مِنْ بَنِي عَمِّي وَإِنْ قَرُبُوا
طَوَى مَنْ كَانَ ذَا نَسَبٍ إِلَيَّ وَزَادَهُ النَّسَبُ
أَبُو الأَضْيَافِ وَالأَيْتَامِ سَاعَةَ لَا يُعَدُّ أَبُ
أَلَا لِلّٰهِ دَرُّكَ مِنْ فَتًى قَوْمٍ إِذَا رَكِبُوا (٢)
وَقَالُوا مَنْ فَتًى لِلثَّغْرِ يَرْقُبُنَا وَيَرْتَقِبُ (٣)
فَكُنْتَ أَخَاهُمُ حَقًّا إِذَا تُدْعَى لَهَا تَثِبُ (٤)
وَقَدْ ظَهَرَ السَّوَابِغُ فِيهِمُ وَالبَيْضُ وَالْيَلَبُ
أَقَامَ لَدَى مَدِينَةِ آلِ قُسْطَنْطِينَ وَانْقَلَبُوا
نَجِيبًا حِينَ يُدْعَى إِنَّ آبَاءَ الْفَتَى نُجُبُ

وَقَالَ أَدْهَمُ بْنُ مُحْرِزٍ الْبَاهِلِيُّ:

وَلَمَّا رَأَيْتُ الشَّيْبَ قَدْ شَانَ أَهْلَهُ تَفَتَّيْتُ وَابْتَعْتُ الشَّبَابَ بِدِرْهَمِ

وَقَالَ آكِلُ الْمُرَارِ الْمَلِكُ (٥)

إِنَّ مَنْ غَرَّهُ النِّسَاءُ بِشَيْءٍ بَعْدَ هِنْدٍ لَجَاهِلٌ مَغْرُورُ (٦)
حُلْوَةُ الْعَيْنِ وَاللِّسَانِ وَمُرٌّ كُلُّ شَيْءٍ يُجِنُّ مِنْهَا الضَّمِيرُ

---

(١) رواية الاصبهاني: طول الليل اكتئب

(٢) رواية الاصبهاني: إذا رهبوا

(٣) رواية الاصبهاني: فتى للحرب

(٤) رواية الاصبهاني

فكنت فتاهم فيها إذا يدعى لها يثب

(٥) هو الحرث بن عمرو الكندى جد امرىء القيس. وكان ابن هبولة الغساني سبي امرأته فلحقه الحرث فقتله وارتجع المرأة، وكان قد نال منها فقال لها: هل كان أصابك؟ قالت: نعم والله ما اشتملت النساء على مثله. فأوثقها بين فرسين ثم استحفزهما حتى قطعاها وقال الابيات

(٦) ويروى: بود

كلُّ أُنثى وَإنْ بدَتْ لكَ منها ... آيةُ الحبِّ حُبُّها خَيتعورُ (١)

وقال طُفيلُ الغنويُّ (٢)

إنَّ النّساءَ كأشجارٍ نبتْنَ معًا ... منها المُرارُ وبعضُ المُرِّ مأكولُ

إنَّ النّساءَ متى يُنهيْنَ عنْ خُلقٍ ... فإنّهُ واجبٌ لابدَّ مفعولُ

وقال علقمةُ بنُ عبدَةَ (٣)

فإنْ تسألوني بالنّساءِ فإنّني ... بصيرٌ بأدْواءِ النّساءِ طبيبُ

إذا شابَ رأسُ المرءِ أوْ قلَّ مالُهُ ... فليْسَ لهُ منْ وُدّهِنَّ نصيبُ

يُرِدْنَ ثراءَ المالِ حيثُ علمْنَهُ ... وشَرْخُ الشّبابِ عندهُنَّ عجيبُ

وقال أبو الشّغْبِ السّعْدِي :

أبعدَ بني الزّهراءِ أرجُو بشاشةً ... منَ العيشِ أوْ أرْجُو رخاءً منَ الدّهرِ

غطارفةٌ زُهْرٌ مضَوْا لسبيلِهِمْ ... ألهفي على تلكَ الغطارفةِ الزُّهْرِ

---

(١) ويروى :

كل أنثى وإن بدا لك منها ... آية الود حبها خيتعور

والخيتعور : الكثير التقلب لا يدوم على حال

(٢) هو طفيل بن عوف الغنوى شاعر جاهلى معدود ، كان وصافا للخيل مجيداً . قال قتيبة بن مسلم لاعرابي من غنى قدم عليه خراسان : أى بيت قالته العرب أعف ؟ قال : قول طفيل:

ولا أكون وكاء الزاد أحبسه ... لقد علمت بأن الزاد ما كول

قال : فأى بيت قالته العرب فى الحرب أجود ؟ قال : قول طفيل :

بجيش إذا قيل اركبوا لم يقل لهم ... عواوير يخشون الردى اين نركب

قال : فأى بيت قالته العرب فى الصبر اجود ؟ قال : قول نافع بن خليفة الغنوى :

ومن خير مافينا من الامن انتا ... متى مانوافق موطن الصبر نصبر

قال قتيبة : فما تركت لاخوانك من باهلة ؟ قال : قول صاحبهم :

وإنا اناس ماتزال سهامنا ... تنور نيران العدو مناسمه

وليس لناحى تضاف إليهم ... ولكن لناعود شديد شكائمه

(٣) هو المعروف بعلقمة الفحل ، شاعر من فحول شعراء الجاهلية ومقدميهم . مات سنة ٦٢٥ م . والابيات التى رواها الجاحظ فى الاصل هى من قصيدة بارعة مطلعها :

طحابك قلب فى الحسان طروب ... بعيد الشباب عصر حان مشيب

وهي طويلة ، ارجع إليها فى المفضليات مشروحة بقلمنا شرحا وافياً

يُذَكِّرُنيهم كلُّ خيرٍ رأيتُه ... وشرٍّ فما أنفكُّ منهم على ذِكرِ

وقال أبو حُزابة (١) في عبد الله بن ناشرة :

ألا لا فتى بعد ابنِ ناشرةَ الفتى ... ولا خيرَ إلا قد تولّى وأدبرا

وكان حصاداً للمنايا ازدرعنه ... فهلّا تركن النَّبتَ ما كان أخضرا

لحا اللهُ قوماً أسلموك ورفَّعوا ... عناجيجَ أعطتْها يمينُك ضُمَّرا (٢)

أما كان فيهم فارسٌ ذو حفيظةٍ ... يرى الموتَ في بعضِ المواطنِ أعذرا (٣)

يَكُرُّ كما كرَّ الكُلَيبيُّ بعدما ... رأى الموتَ تحدوه الأسنَّةُ أحمرا (٤)

فكرَّ عليه الوِرْدَ يدمى لبانُه ... وما كرَّ إلا رهبةً أن يُعيَّرا

وقال أعرابي :

رعاكِ ضمانُ اللهِ يا أمَّ مالكٍ ... ولَلّهُ أن يشفيكِ أرعى وأوسعُ

يُذكِّرنيكِ الخيرُ والشرُّ والذي ... أخافُ وأرجو والذي أتوقَّعُ

وقال دُرَيدُ بنُ الصِّمَّة :

وقالوا ألا تبكي أخاك وقد أرى ... مكانَ الأسى لكن بُنيتُ على الصبرِ

فقلتُ أعبدَ اللهِ أبكي أمِ الذي ... على الجَدَثِ الباقي قتيلَ أبي بكرِ

وعبدَ يغوثٍ أو نديمي خالداً ... وعزَّ المُصابُ وضعُ قبرٍ إلى قبرِ

---

(١) هو الوليد بن حنيفة التميمي ، شاعر من شعراء الدولة الاموية ، كان من اهل البادية فتحضر وسكن البصرة ، ثم اكتتب في بعث سجستان فكان بها مدة ثم عاد إلى البصرة ، وكان شاعراً راجزاً فصيحاً خبيث اللسان هجاء ، ثم خرج مع ابن الاشعث وقتل معه سنة ٨٣ هـ ٧٠٢ م . وكان ابن ناشرة معه بسجستان وقتل في فتنة الزبير

(٢) ويروى : وجردوا ، بدل ورفعوا

(٣) ويروى :

اما كان فيهم ماجد ذو حفيظة ... يرى الموت في بعض المواطن الخرا

(٤) خلط صاحب الاغاني هذا البيت بالبيت بعده ورواه هكذا

يكر كما كر الكلبي مهره ... وما كر إلا خشية ان يعيرا

ومن هذه القصيدة قوله :

لعمري لقد هدت قريش عروشنا ... بابيض نفاح العشيات ازهرا

فلا صلح حتى تزحف الخيل والقنا ... بنا وبكم ان يصدر الامر مصدرا

أَبَى القَتْلُ إلاَّ آلَ صِمَّةَ إنَّهُمْ ... أَبَوْا غَيْرَهُ وَالقَدْرُ يَجْرِى إلى القَدْرِ
فإمَّا تَرَيْنا ما تَزالُ دِماؤُنا ... لدَى ثائرٍ يَسْعَى بها آخِرَ الدَّهْرِ
فإنَّا لِلَحْمِ السَّيْفِ غَيْرَ نَكيرةٍ ... ونَلْحَمُهُ حِيناً فليْسَ بذِى نُكْرِ
يُغارُ عَلَيْنا وَاتِرِينَ فَيُشْتَفَى ... بِنا إنْ أُصِبْنا أوْ نُغِيرُ عَلَى وَتْرِ
قَسَمْنا بذاكِ الدَّهْرَ شطْرَيْنِ بَيْننا ... فلا يَنقضِى إلا ونحْنُ عَلَى شَطْرِ

وقال آخر [هو سعد بن كعب الغنوى]

إذا ما تَرَاآهُ الرِّجالُ تَحَفَّظُوا ... فلَمْ تُنْطَقِ العَوْراءُ وَهْوَ قَرِيبُ
حَبِيبٌ إلى الزُّوَّارِ غِشْيانُ بَيْتِهِ ... جَمِيلُ المُحَيَّا شَبَّ وَهْوَ أَدِيبُ
فتًى لايُبالى أنْ يَكونَ بجِسْمِهِ ... إذا نالَ خَلاَّتِ الكِرامِ شُحُوبُ
حَلِيمٌ إذا ما الحِلْمُ زَيَّنَ أَهْلَهُ ... مَعَ الحِلْمِ فى عَيْنِ العَدُوِّ نَجِيبُ
حَلِيفُ النَّدَى يَدْعُو النَّدَى فيُجِيبُهُ ... قَرِيباً ويَدْعُوهُ النَّدَى فيُجِيبُ
يَبِيتُ النَّدَى يا أُمَّ عَمْرٍو ضَجِيعَهُ ... إذا لم يَكُنْ فى المُنْقِيَاتِ حَلُوبُ (١)

وقال آخر:

ألاَ تَرَيْنَ وَقَدْ قَطَّعْتِنِى عَذَلاً ... ماذا مِنَ الفَوْتِ بين البُخْلِ والجُودِ
إلاَّ يكُنْ وَرِقٌ يَوْماً أَجُودُ بها ... لِلْمُعْتَفِينَ فإنِّى لَيِّنُ العُودِ

وإلى هذا ذهبَ ابنُ يسير حيث يقول:

لا يَعْدَمُ السائلونَ الخيْرَ أَفْعَلُهُ ... إمَّا نَوالِى وإمَّا حُسْنُ مَرْدُودِى

وقال الهذلى (٢)

(١) قال الجاحظ: يقول إذا كان الجدب ولم يكن للمال لبن فهو وهوب مطعام فى هذا الزمن ، والمنقيات: المهازيل التى ذهب نقيهن ، والنقى: مخ العظام وشحم العين ، وجمعه انقاء ، وناقة منقية: التى دات نق »

(٢) هو ابو المثلم المار ذكره قريبا . وهذا البيت من ابيات يرثى بها صخر الغى ، وقبله برواية ابى الفرج:

لو كان للدهر مال كان متلده ... لكان للدهر صخر مال قنيان
آبى المضيمة ناب بالعظيمة متلاف الكريمة لانكس ولا وان
حامى الحقيقة نسال الوديقة معتال الوسيقة جلد غير ثنيان

وَهَّابُ مَالاَ تَكَادُ النَّفْسُ تُرْسِلُهُ   مِنَ التِّلاَدِ وَصُولٌ غَيْرُ مَنَّانِ

وقال أبو عُبَيْدَةَ مَعْمَرُ بْنُ الْمُثَنَّى : ومن الشوارد التى لا أرباب لها قوله :

إِنْ يَفْخَرُوا أَوْ يَغْدِرُوا   أَوْ يَبْخَلُوا لَمْ يَحْفِلُوا
يَغْدُوا عَلَيْكَ مُرَجَّلِيـ   ـنَ كَأَنَّهُمْ لَمْ يَفْعَلُوا (١)
كَأَبِى بَرَاقِشَ كُلَّ لَوْ   نٍ لَوْنُهُ يَتَخَيَّلُ (٢)

ومثله فى بعض معانيه :

أَكُولٌ لِأَرْزَاقِ الْعِبَادِ إِذَا اشْتَا   صَبُورٌ عَلَى سُوءِ الثَّنَاءِ وَقَاحُ

وقال :

وَمَا نَفَى عَنْكَ قَوْمًا أَنْتَ خَائِفُهُمْ   كَمِثْلِ وَقْمِكَ جُهَّالاً بِجُهَّالِ (٣)
[فَاقْعَسْ إِذَا حَدِبُوا وَاحْدَبْ إِذَا قَعَسُوا   وَوَازِنِ الشَّرَّ مِثْقَالاً بِمِثْقَالِ (٤)

وقال الراجز :

وَقَدْ تَعَلَّلْتُ ذَمِيلَ الْعَنْسِ   بِالسَّوْطِ فِى دَيْمُومَةٍ كَالتُّرْسِ (٥)
إِذْ عَرَجَ اللَّيْلُ بِرُوحِ الشَّمْسِ

وقال الراجز :

قَدْ كُنْتُ إِذْ حَبْلُ صِبَاكَ مُدْمَشُ   وَإِذْ أَهَاضِيبُ الشَّبَابِ تَبْغَشُ (٦)

رباء مرقبة مناع مغلبة   ركاب سلهبة قطاع اقران
هباط اودية شهاد اندية   حمال الوية سرحان فتيان
يحمى الصحاب إذا جد الضراب ويكـ   ـفى القائلين إذا ما كبل العانى
ويترك القرن مصفرا انامله   كأن فى ريطتيه نضح ارقان

ورواية ابي الفرج هكذا :

يعطيك مالا تكاد النفس تسلمه   من التلاد وهوب غير منان

(١) مرجلين : مسرحى الشعور مزينين
(٢) ابو براقش : طائر صغير اعلى ريشه اغبر واوسطه احمر واسفله اسود فاذا هيج انتفش فظهرت لريشه الوان شتى
(٣) الوقم : القهر والاذلال
(٤) فاقعس : فتاخر . حدبوا : مالوا وعطفوه
(٥) ذميل العنس . سير الناقة الصلبة . الديمومة : الفلاة
(٦) مدمش : شديد الفتل محكمه . البغش : التطاير

وقال الراجز :

طَالَ عَلَيْهِنَّ تَكَالِيفُ السُّرَى وَالنَّصُّ فى حِينِ الهَجِيرِ وَالضُّحَى
حَتَّى عَجَاهُنَّ فَمَا تَحْتَ العَجَى رَوَاعِبُ يَخْضِبْنَ مَبِيضَ الحصى (١)

سمع ذلك ابن وَهِيبٍ (٢) فرام مثله فقال :

يَخْضِبُ مَرْوًا دَمًا نَجِيعًا مِنْ فَرْطِ مَا تَنْكُبُ الحَوَامِى

وقال عامرٌ ملاعبُ الأسنة : (٣)

دَفَعْتُكُمُ عَنِّى وَمَادَفْعُ رَاحَةٍ بِشَىْءٍ إِذَا لَمْ تَسْتَعِنْ بِالأَنَامِلِ
يُضَعْضِعُنِى حِلْمِى وَكَثْرَةُ جَهْلِكُمْ عَلَىَّ وَأَنِّى لَا أَصُولُ بِجَاهِلِ

وقال آخر :

لَابُدَّ لِلسُّؤْدُدِ مِنْ أَرْمَاحِ وَمِنْ سَفِيهٍ دَائِمِ النُّبَاحِ
وَمِنْ عَدِيدٍ يَتَّقِى بِالرَّاحِ

وقال أبو نُخَيْلَةَ لبعض سادات بنى سعد :

وَإِنَّ بِقَوْمٍ سَوَّدُوكَ لَفَاقَةً إِلَى سَيِّدٍ لَوْ يَظْفَرُونَ بِسَيِّدِ

وتمثل سُفيان بن عُيينة ، وقد جلس على مرقب عال وأصحاب الحديث مدى البصر يكتبون ، بقول الآخر :

خَلَتِ الدِّيَارُ فَسُدْتُ غَيْرَ مُسَوَّدِ وَمِنَ الشَّقَاءِ تَفَرُّدِى بِالسُّؤْدُدِ

وقال الأول فى الأحنف :

وَإِنَّ مِنَ السَّادَاتِ مَنْ لَوْ أَطَعْتَهُ دَعَاكَ إِلَى نَارٍ يَفُورُ سَعِيرُهَا

---

(١) عجاهن : اخرهن عن رضاع فصلانهن . رواعب : تسيل منهن الدماء على الحصى

(٢) هو محمد بن وهيب الحميرى . شاعر من متوسطى الشعراء فى الدولة العباسية ، وكان اديبا بارعا من ادباء الشيعة . نشا بالبصرة وسكن بغداد وكان مختصا بالحسن بن سهل ، وهو من من مؤدبي الفتح ابن خاقان وزير المتوكل

(٣) هو ابو براء عامر بن مالك ، فارس شاعر سيد من سادات بنى مالك . وكان من الشجعان الأبطال فى الجاهلية ورأس قومه فى حرب الفجار . مات في عهد البعثة النبوية

وقال الآخر :

فأصبحتَ بعدَ الحِلْمِ في الحيِّ ظالِمًا ... تَخَمَّطُ فيهمْ والمُسَوَّدُ يظلِمِ

وقال رجل من بني الحرث بن كعب يقال له سُوَيْدٌ :

إنّي إذا ما الأمرُ بيَّنَ شكَّهُ ... وبدَتْ بصائرُهُ لمنْ يتأمَّلُ

وتَبرَّأَ الضعفاءُ منْ إخوانِهمْ ... وألحَّ منْ حَرِّ الصميمِ الكَلْكَلُ

أدعُ التي هيَ أرفقُ الحالاتِ بي ... عندَ الحفيظةِ للّتي هيَ أجملُ

وقال الآخر :

ذهبَ الذين أحِبُّهُمْ فرَطًا ... وبقيتُ كالمغمورِ في خلْفِ

مِنْ كلِّ مَطْويٍّ على حَنَقٍ ... مُتَصنِّعٍ يُكْفَى ولا يكفي

وقال أبو الطمحان القيني :

فكم فيهمُ مِنْ سيِّدٍ وابنِ سيِّدٍ ... وفيٍّ بعقدِ الجارِ حينَ يفارقُهْ

يكادُ الغمامُ الغرُّ يرغبُ أنْ يرى ... وُجُوهَ بني لأمٍ وينهلُّ بارقُهْ

وقال طُفَيْلٌ الغَنَوِيُّ :

وكانَ هُرَيْمٌ مِن سِنانٍ خليفةً ... وعمرٍو ومنْ أسماءَ لمّا تغيَّبوا

نُجُومُ سماءٍ كلّما انقضَّ كوكبٌ ... بدا وانجلتْ عنهُ الدُّجُنَّةُ كوكبُ

وقال رجل من بني نهشل :

إنّا لمِنْ معشرٍ أفنَى أوائلَهمْ ... قيلُ الكُماةِ ألا أينَ المُحامُونا

لَوْ كانَ في الألفِ منّا واحدٌ فدعَوْا ... مَنْ عاطفٌ خالَهمْ إيّاهُ يَدْعُونا

وليس يَذْهبُ منّا سيِّدٌ أبدًا ... إلّا افتلَيْنا غُلامًا سيِّدًا فينا

وقال بعض الحجازيين :

إذا طمعٌ يومًا عراني قرَيْتُهُ ... كتائبَ يأسٍ كرَّها وطِرادَها

أكدُّ ثمادي والمياهُ كثيرةٌ ... أعالجُ منها حفرَها واكتدادَها

وأرضى بها مِنْ بحرِ آخرَ إنّهُ ... هُوَ الرِّيُّ إنْ ترضَى النفوسُ ثمادَها

وقال أبو محجن الثقفي (١) :

أَلَمْ تَسْأَلْ فَوَارِسَ مِنْ سُلَيْمٍ ... بِنَضْلَةَ وَهْوَ مَوْتُورٌ مُشِيحُ
رَأَوْهُ فَازْدَرَوْهُ وَهْوَ خِرْقٌ ... وَيَنْفَعُ أَهْلَهُ الرَّجُلُ القَبِيحُ
فَلَمْ يَخْشَوْا مَصَالَتَهُ عَلَيْهِمْ ... وَتَحْتَ الرَّغْوَةِ اللَّبَنُ الصَّرِيحُ
فَكَرَّ عَلَيْهِمُ بِالسَّيْفِ صَلْتًا ... كَمَا عَضَّ الشَّبَا الفَرَسُ الجَمُوحُ
فَأَطْلَقَ غُلَّ صَاحِبِهِ وَأَرْدَى ... جَرِيحًا مِنْهُمُ وَنَجَا جَرِيحُ

وقال بعض اليهود (٢) :

سَئِمْتُ وَأَمْسَيْتُ رَهْنَ الفِرَا ... شِ وَمِنْ حَمْلِ قَوْمٍ وَمِنْ مَغْرَمِ
وَمِنْ سَفَهِ الرَّأْيِ بَعْدَ النُّهَى ... وَرُمْتُ الرَّشَادَ فَلَمْ يُفْهَمِ
فَلَوْ أَنَّ قَوْمِي أَطَاعُوا الحَلِيمَ ... وَلَمْ تَتَعَدَّ وَلَمْ تَظْلِمِ
وَلَكِنَّ قَوْمِي أَطَاعُوا السَّفِيهَ ... حَتَّى تَعَكَّظَ أَهْلُ الدَّمِ
فَأَوْدَى السَّفِيهُ بِرَأْيِ الحَلِيمِ ... فَانْتَشَرَ الأَمْرُ لَمْ يُبْرَمِ

وقال بعض الشعراء :

وَكُنْتُ جَلِيسَ قَعْقَاعِ بْنِ شَوْرٍ ... وَلَا يَشْقَى بِقَعْقَاعٍ جَلِيسُ
ضَحُوكُ السِّنِّ إِنْ أَمَرُوا بِخَيْرٍ ... وَعِنْدَ الشَّرِّ مِطْرَاقٌ عَبُوسُ

وقال آخر :

وَلَسْتُ بِزُمَّيْجَةٍ فِي الفِرَاشِ ... وَجَابَةٍ يَحْتَمِي أَنْ يُجِيبَا
وَلَا ذِي قَلَازِمَ عِنْدَ الحِيَاضِ ... إِذَا مَا الشَّرِيبُ أَرَابَ الشَّرِيبَا

وقال حَجَلُ بْنُ نَضْلَةَ :

جَاءَ شَقِيقٌ عَارِضًا رُمْحَهُ ... إِنَّ بَنِي عَمِّكَ فِيهِمْ رِمَاحُ

(١) لم اجد هذه الابيات فى ديوان ابى محجن وليس فيها ما يدل على انها له ولعلها لنضله السلمى المذكور فيها باسمه وصفته

(٢) تروى هذه الابيات لعمرو بن معدي كرب الزبيدى

هَلْ أحدثَ الدَّهْرُ لنا نكْبةً ... أمْ هلْ رفتْ أمُّ شقيقٍ سِلاحْ؟

وقال :

وَيْلُ أمِّ لذّاتِ الشبابِ مَعيشةً ... معَ الكُثْرِ يُعْطاهُ الفتى المُتلفُ النَّدِ

وقدْ يَقصُرُ القُلُّ الفتى دُونَ هَمِّهِ ... وقدْ كانَ لوْلاَ القُلُّ طلاَّعَ أنْجُدِ

وقال الآخر :

قامتْ تُخاصِرُنِي بقُنَّتِها ... خَوْدٌ تأطَّرُ غادةٌ بكْرُ

كُلٌّ يرَى أنَّ الشَّبابَ لهُ ... فى كلِّ مَبلغِ لذَّةٍ عُذْرُ

وقال سعد بن ربيعة بن مالك بن سعد بن زيد مناة وهو من قديم الشعر وصحيحه :

ألاَ إنَّما هذَا التَّلاَلُ الَّذِى ترَى ... وإدْبارُ جِسْمِي مِنْ رَدَى العَثَرَاتِ

وَكمْ مِنْ خَليلٍ قدْ تجلّدْتُ بعْدهُ ... تقطَّعُ نفْسِي دُونهُ حَسَرَاتِ

وقال الطِّرِمَّاحُ فى هذا المعنى :

وشَيَّبَنِي أنْ لاَ أزالُ مُناهِضاً ... بِغَيْرِ ثَرًى أُثْرُو بِهِ وأبُوعُ

أُخْتَرَمِي رَيْبُ المَنُونِ ولمْ أنَلْ ... مِنَ المالِ ما أعْصى بِهِ وأُطيعُ

وقال الأضبطُ بنُ قُرَيْعٍ :

لِكُلِّ هَمٍّ مِنَ الهُمُومِ سَعَهْ ... وَالمُسْىُ وَالصُّبْحُ لاَ فَلاَحَ مَعَهْ

فَصِلْ حِبالَ البَعِيدِ إنْ وَصَلَ الْـ ... ـحَبْلَ وَأقْصِ القَرِيبَ إنْ قَطَعَهْ

لاَ تَحْقِرَنَّ الفقيرَ علَّكَ أنْ ... ترْكعَ يوْماً والدَّهْرُ قدْ رفعهْ

قدْ يجْمعُ المالَ غيْرُ آكِلِهِ ... وَيأْكلُ المالَ غيْرُ مَنْ جَمعهْ

وقال أعرابى ، ونحر ناقة فى حُطَمَةٍ أصابتهم :

أكلْنا الشَّوَى حتَّى إذا لمْ نجِدْ شوًى ... أشرْنا إلى خيْراتِها بالأصابِعِ

وَلَلسَّيفُ أحْرَى أنْ تُباشرَ حَدَّهُ ... مِنَ الجُوعِ لاَ تَثْنِى عليْهِ المضاجِعُ

لعمْرُكَ ما سلَّيتُ نفساً شحِيحةً ... عَنِ المالِ فِى الدُّنيا بمِثْلِ مجاوِعِ

وقدم ناقة له أخرى إلى شجرة ليكون المحتطب قريباً من المنحر فقال :

وأدْنَيتُها مِنْ رأسِ عشاء عشَّةٍ　　　مُفصلةِ الأفنانِ صُهْبٍ فرُوعُها
وقلْتُ لها لمَّا شددْتُ عِقالَها　　　وبالكفِّ ممْهاةٌ شديدٌ وقُوعُها
لقدْ عُنيتْ نفسي عليكِ شحيحةً　　　ولكنْ يُسخي شحَّةَ النفسِ جوعُها

وقال أسقفُ نجران :

منعَ البقاءَ تصرُّفُ الشمسِ　　　وطلُوعُها مِنْ حيثُ لا تُمسي
وطلوعُها بيضاءَ صافيةً　　　وغرُوبُها صفراءَ كالوَرْسِ
اليومُ نعلمُ ما يجيء به　　　ومضى بفصْلِ قضائهِ أمسِ

وقال آخر :

وهلْكُ الفتى أنْ لا يُراحَ إلى الندى　　　وأنْ لا يرى شيئاً عجيباً فيعْجبا
ومنْ يبتغِي مِنِّي الظُّلامةَ يلقَنِي　　　إذا ما رآني أصلَعَ الرأسِ أشيَبا

أشعار في الخمر

وقال سُحيمُ بنُ وثيلٍ الرياحيُّ :

تقولُ حذْراءُ ليسَ فيكَ سوى الخمـ　　　ـرِ معابٌ يعيبُهُ أحدُ
فقلْتُ أخطأتِ بلْ مُعاقرتي الخمـ　　　ـرَ وبذْلي فيها الذي أجدُ
هوَ الثناءُ الذي سمعْتِ بهِ　　　لا سبدٌ مُخْلدي ولا لبدُ
ويحكِ لولا الخمورُ لمْ أحفلِ العيـ　　　ـشَ ولا أنْ يضُمَّني لحدُ
هيَ الحيَا والحياةُ واللهوُ لا　　　أنتِ ولا ثروةٌ ولا ولدُ

وقال عبد راع : (١)

(١) نسب السيوطى هذه الابيات لذي الرمة ، وروي القالى فى اماليه عن الاصمعى قال : اشترى اعرابى خمرا بجزة من صوف فغضبت عليه امرأته فانشا يقول :

غضبَتْ عَلَيَّ لأنْ شَرِبْتُ بجزَّةٍ ... فَلَئِنْ أبَيْتِ لأشْرَبَنْ بخَرُوفِ
وَلَئِنْ نَطَقْتِ لأشْرَبَنَّ بِنَعْجَةٍ ... حَمْرَاءَ مِنْ آلِ المُذَالِ سَحُوفِ

وقال :

ناحَتْ رُقَيَّةُ مِنْ شَاةٍ شَرِبْتُ بِهَا ... وَلَا تَنُوحُ عَلَى مَا يَأْكُلُ الذِّيبُ

وقال أبو حَفْصٍ القُرَيعى :

قَدْ تَغَرَّبْتُ لِلشَّقَاوَةِ حِيناً ... حِينَ بَدَّلْتُ لِلسَّعَادَةِ نُوقَا
يَوْمَ فَارَقْتُ بَلْدَتِي وَقَرَارِي ... وَتَبَدَّلْتُ سُوءَ رَأْيٍ وَمُوقَا
لَيْتَ عِنْدِي بِخَيْرِ مِعْزَاىَ عَشْراً ... طَيِّبَاساناً مِنَ الطِّرَازِ عَتِيقَا
وَبِخَمْسٍ مِنْهُنَّ أَيْضاً قَمِيصاً ... سَابِرِيًّا أُمِيسُ فِيهِ رَقِيقَا
قَدْ هَجَرْتُ النَّبِيذَ مُذْهُنَّ عِنْدِي ... وَتَعَزَّزْتُ رِسْلَهُنَّ مَذِيقَا
فَوَجَدْتُ الْمَذِيقَ يُوجِعُ بَطْنِي ... وَوَجَدْتُ النَّبِيذَ كَانَ صَدِيقَا
يَعِدُ النَّفْسَ بِالْعَشِيِّ مُنَاهَا ... وَيَسُلُّ الْهُمُومَ سَلًّا رَفِيقَا

وكان فتى طيب من وُلد يقطين لا يصحو ، وكان فى أهله روافض يخاصمون فى أبى بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير رضوان الله تعالى عليهم أجمعين فقال :

رُبَّ عُقَارٍ بَاذِرَنْجِيَّةٍ ... إِصْطَدْتُهَا مِنْ بَيْتِ دِهْقَانِ

غضبت على لان شربت بصوف ... ولئن غضبت لاشربن بخروف
ولئن غضبت لاشربن بنعجة ... دهساء مالئة الاناء سحوف
ولئن غضبت لاشربن بناقة ... كوماء ناوية العظام صفوف
ولئن غضبت لاشربن بسابح ... نهد اشم المنكبين منيف
ولئن غضبت لاشربن بواحدي ... ولاجعلن الصبر منه حليفي
ولقد شهدت الخيل تعثر بالقنا ... واجبت صوت الصارخ الملهوف
ولقد شهدت إذا الخصوم تواكلوا ... بخصام لا نزق ولا عافوف

وروى ابو بكر بن الانبارى ان امرانه اجابته فقالت :

ما إن غضبت لان شربت بصوف ... او ان تلذ بنعجة وخروف
فاشرب بكل نفيسة او تبنها ... وملكتها من تالد وطريف
وارفع بطرفك عن بنى قانه ... من دونه شغب وجدع انوف

جندرْتُ أرْواحاً وطيّبتها   بعدَ اتساخٍ طَالَ فى الحانِ
سَكتنا وسَلتنا لم نخُضْ فى أذى   مِنْ قَتْلِ عُثمان بن عفّانِ
وَلا أبى بكرٍ وَلا طلحةٍ   وَلا زُبيرٍ يوم عُثمانِ
اللهُ يجزيهمْ بأعْمالِهمْ   لَيْسَ علينا عِلمُ ذا الشّانِ

وقال المُنخلُ اليشكُرِىّ :

وَلَقد شَرِبْتُ مِنَ المُدا   مَةِ بالصغيرِ وَبالكبيرِ
وَلقدْ شَرِبْتُ الخَمْرَ بالخيـ   ـلِ الإناثِ وَبالذّكُورِ
فإذا سَكِرْتُ فإنَّنى   رَبُّ الخوَرْنقِ وَالسَّدِيرِ
وإذا صَحَوْتُ فإنَّنى   رَبُّ الشُّوَيْهَةِ وَالبعيرِ
يارُبَّ يومٍ لِلمُنخّلِ   قدْ لهَا فيهِ قَصيرِ

وقال أبو عطاءِ السِّنْدِى لزائر له وراَهُ يُومِئُ إلى امرأته :

كُلْ هَنيئاً وَما شَرِبْتَ مَرِيئاً   ثُمَّ قُمْ صاغِراً فغيرَ كريمِ (١)
لا أُحِبُّ النّدِيمَ يُومِضُ بالعينِ   إذا مَا خَلا بعِرْسِ النَّدِيمِ (٢)

وقال ، وتعرضت له امرأة صاحبه :

رُبَّ بيضاءَ كالقضيبِ تَثنّى   قدْ دَعَتنى لِوَصْلِها فأبيْتُ
لَيْسَ شانى تَحرّجاً غيرَ أنّى   كُنْتُ نَدْمانَ زَوْجِها فاستحَيْتُ

وقال آخر :

فَلاَ وَاللهِ لاَ أُلفى وَشَرْباً   أُنازِعُهُمْ شَراباً ماحَييتُ
وَلا وَاللهِ مَا أُلفى بلَيْلٍ   أُراقِبُ عِرسَ جارى مابقيتُ

(١) رواية الأغانى : ثم قم صاغرا وانت ذميم . على الأفوباء
(٢) رواية الأغانى :

لا أحب النديم يومض بالطر   ف إذا ماخلا لعرس النديم

سأترُكُ ما أخافُ عليَّ منه ... مقالتَهُ وأجملُهُ السُّكوتُ
أبَى لِى ذاكَ آباءٌ كِرامٌ ... وأجدادٌ بمجدِهِم رُبيتُ

وقال السُّحيمى:

ومالِىَ وَجْهٌ فى اللئامِ ولا يَدٌ ... ولكنَّ وَجْهى فى الكرامِ عريضُ
أهشُّ إذا لاقيتُهُمْ وكأنَّنى ... إذا أنا لاقيتُ اللئامَ مريضُ

وقال ابن كناسة:

فىَّ انقباضٌ وحِشْمَةٌ فإذا ... لاقيتُ أهلَ الوفاءِ والكرَمِ
خلَّيتُ نفسِى على سجيَّتِهَا ... وقُلتُ ما قُلتُ غيرَ مُحتشِمِ

وقال عبدُ الرحمنِ بنُ الحكَم (١)

وكأسٍ ترَى بينَ الأنامِ وبينَها ... قذى العينِ قد نازعتُ أمَّ أبانِ
ترى شاربِيها حينَ يعتقبانِها ... يميلانِ أحياناً ويعتدِلانِ
فما ظنُّ ذا الواشى بأبيضَ ماجدٍ ... وبَيْضاءِ خَوْدٍ حينَ يلتقيانِ

وقال الرَّمَّاحُ بنُ مُيَّادَةَ، وكان الأصمعى يقول: ختم الشعر بالرماح، وأظن النابغة أحد عمومته:

ألا رُبَّ خَمَّارٍ طرقتُ بِسُدْفَةٍ ... مِنَ اللَّيلِ مُرْتاداً لِندمانِىَ الخمرَا
فأنهلتُهُ خمراً وأُخلِفُ أنَّها ... طِلاءٌ حلالٌ كى يُحمِّلَنى الوِزْرَا

وقال آخر:

ولقدْ شرِبْتُ الخمرَ حتَّى خِلتُنى ... لمَّا خرجْتُ أجُرُّ فضلَ المِئْزَرِ
قابُوسَ أو عمْرَو بنَ هِندٍ قاعِداً ... يُجْبَى لهُ ما بَيْنَ دارةَ قَيْصَرِ
فى فِتيةٍ بِيضِ الوُجوهِ خضارِمٍ ... عِندَ النِّدامِ عشيرُهُمْ لم يخسَرِ

(١) هو عبد الرحمن بن الحكم ابن أبى العاص ابن أمية، يكنى ابا مطرف . شاعر اسلامى من متوسطى شعراء الدولة الاموية

وقال ابنُ مَيَّادَةَ :

وَمُعَتَّقٍ حُرِمَ الوُقُودُ كَرَامَةً … كَدَمِ الذَّبيحِ تَمُجُّهُ أَوْدَاجُهُ
ضَمِنَ الكُرُومُ لهُ أَوائِلَ حَمْلِهِ … وَعَلَى الدِّنانِ تَمامُهُ وَنَتاجُهُ

وأنشد اللاحقي لبعض الروافض :

إذا المُرْجِيُّ سَرَّكَ أَنْ تَراهُ … يَمُوتُ بدائِهِ مِنْ قَبْلِ مَوْتِهْ
فَجَدِّدْ عِنْدَهُ ذِكْرَى عَلِيٍّ … وَصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ وَأَهْلِ بَيْتِهْ

ما قيل في البرامكة

وقال بعضهم فى البرامكة :

إذا ذُكِرَ الشِّرْكُ فى مَجْلِسٍ … أَنارَتْ وُجُوهُ بَنى بَرْمَكِ
وَإِنْ تُلِيَتْ عِنْدَهُمْ آيَةٌ … أَتَوْا بِالأَحادِيثِ عَنْ مَزْدَكِ(١)

وقال آخر :

لَعَنَ اللهُ آلَ بَرْمَكَ إِنِّى … صِرْتُ مِنْ أَجْلِهِمْ أَخا أَسْفارِ
إِنْ يَكُ ذُو القَرْنَيْنِ قَدْ مَسَحَ الأرْ … ضَ فَإِنِّى مُوَكَّلٌ بِالعِيارِ

وقال آخر :

إِنَّ الفَراغَ دَعانِى … إلى ابْتِناءِ المَساجِدْ
وَإِنَّ رَأْيِىَ فيها … كَرَأْيِ يَحْيَى بنِ خالِدْ

وقال أبو الهول فى جعفر بن يحيى :

أَصْبَحْتُ مُحْتاجاً إلى الضَّرْبِ … فى طَلَبِ العُرْفِ إلى الكَلْبِ

---

(١) مزدك ، ويقال مردك ، ظهر هذا الزنديق فى ايام قباذ بن فيروز من ملوك الفرس الساسانية وادعى النبوة وان رسالته تنحصر فى التساوى والتشارك بين الناس في اموالهم ونسائهم ، واجابه قباذ إلى دعوته ، ولقى الناس من ذلك الامرين ، ولما تولى كسرى انو شروان بن قباذ قتل مردك وتتبع المردكية حتى اتى عليهم تقتيلا وتشريدا ورد الامور إلى نصابها

إذا اشتكى صبٌّ إليهِ الهوى   قل له مالى وللصبِّ
أغنِى فتًى يطعَنُ فى دينهِ   يَشبُّ معَهُ خشبَ الصلْبِ

وقال رجل من أهل الشام :

أبعْدَ مروانَ وبعْدَ مسلَمهْ   وبعْدَ إسْحٰقَ الذى كانَ لِمهْ
صارَ علَى الثغْرِ فرنجُ الرحْمهْ   إنَّ لنا بفعلِ يحيى نقمهْ
مُهلِكةً مُبيرةً مُنتقِمهْ   أكْلِ بنى برْمكَ أكْلِ الحطمه
إنَّ لهٰذا الأكْلِ يومًا تُخمه   أيسرُ شىْءٍ فيه حزُّ الغلْصمهْ

وقال الشاعر :

ما رعَى الدَّهرُ آلَ برْمكَ لمَّا   أنْ رمى مُلكهُمْ بأمرٍ بديعِ
إنَّ دهرًا لمْ يرْعَ حقًّا ليحْيٰ   غيرُ راعٍ ذِمامَ آلِ الرَّبيعِ

وقال سهلُ بنُ هٰرونَ فى يحيى بنِ خالد :

عدُوُّ تلادِ المالِ فيما ينوبهُ   منوعٌ إذا ما منعهُ كانَ أحزمَا
مُذلِّلُ نفسٍ قدْ أبتْ غيرَ أنْ ترَى   مكارِهَ ما تأْبى مِنَ الحقِّ مَغْنَمَا

وقال حسان بن حسان :

منْ مُبلغٌ يحيى ودُونَ لِقائهِ   زبراتُ كلِّ خُنابسٍ همْهامِ
ياراعِيَ السُّلطانِ غيرَ مُفرِّطٍ   فى لِينِ مُختبطٍ وطِيبِ شمامِ
يُغْدِى مسارحهُ ويُصْفِى شربهُ   ويَبِيتُ بالرَّبَواتِ والأعلامِ
حتَّى يُنخْنِخ ضاربًا بجرانهِ   ورسَتْ مراسِيهِ بدارِ سلامِ
فى كلِّ ثغرٍ حارسٌ منْ قبلهِ   وشُعاعُ طرْفٍ لا يُفتَّرُ سامِ

وهذا شبيه بقول العتابى فى هٰرون :

إمامٌ لهُ كفٌّ يضمُّ بنانُها   عصا الدِّينِ ممنوعًا منَ البرْىِ عودُها

وَعَيْنٌ مُحيطٌ بالبَرِيَّةِ طَرْفُها ... سَواءٌ عَلَيهِ قُرْبُها وبَعيدُها
وَأَصْمَعُ يَقْظانٌ يَبيتُ مُناجِياً ... لهُ في الحَشا مُسْتَوْدَعاتٌ يَكيدُها
سَميعٌ إذا ناداهُ في قَعْرِ كُرْبَةٍ ... مُنادٍ كَفَتْهُ دَعْوَةٌ لاَ يُعيدُها

وَقال كُلْثُوم بنُ عَمْرٍو العَتَّابي:

تَلُومُ عَلَى تَرْكِ الغِنَى باهِلِيَّةٌ ... طَوى الدَّهْرُ عَنها كُلَّ طِرْفٍ وتالِدِ
رَأَتْ حَوْلَها النِّسْوانَ يَرْفُلْنَ في الكُسا ... مُقَلَّدَةً أَجْيادُها بالقَلائِدِ
يَسُرُّكِ أَنِّي نِلْتُ ما نالَ جَعْفَرٌ ... مِنَ المُلْكِ أَوْ ما نالَ يَحْيَى بْنُ خالِدِ
وَأَنَّ أَميرَ المُؤمِنينَ أَغَصَّني ... مَغَصَّهُما بالمُرْهَفاتِ البَوارِدِ
ذَريني تَجِئْني مِيتَتي مُطْمَئِنَّةً ... وَلَمْ أَتَقَحَّمْ هَوْلَ تِلْكَ المَوارِدِ
فإنَّ كَريماتِ المَعالي مَشُوبَةٌ ... بِمُسْتَوْدَعاتٍ في بُطُونِ الأساوِدِ

وقال الحسنُ بنُ هانئ:

عَجِبْتُ لِهرُونَ الإمامِ وَما الَّذي ... يُرَوِّي وَيَرْجُوفيكَ ياخِلْقَةَ السَّلْقِ (١)
قَفا خَلْفَ وَجْهٍ قَدْ أُطيلَ كأَنَّهُ ... قَفا مَلِكٍ يَقْضي الحُقُوقَ عَلَى بَثْقِ
وَأَعْظَمَ زَهْواً مِنْ ذُبابٍ عَلَى خَرا ... وَأَبْخَلَ مِنْ كَلْبٍ عَقُورٍ عَلَى عِرْقِ
أَرَى جَعفَراً يَزْدادُ بُخْلاً وَدِقَّةً ... إذا زادَهُ الرَّحْمنُ في سَعَةِ الرِّزْقِ
وَلَوْجاءَ غيرُ البُخْلِ مِنْ عِنْدِ جَعفَرٍ ... لَمَا وَضَعُوهُ الناسُ إلاَّ عَلَى الحُمْقِ

ولما أنشد ابنُ [أبي] حَفْصَةَ الفضلَ بن يحيي بن خالد:

ضَرَبْتَ فَلاَ شُلَّتْ يَدٌ خالِدِيَّةٌ ... رَتَقْتَ بها الفَتْقَ الذي بَيْنَ هاشِمِ

قال له الفضلُ: قل فلا شلت يد برمكية فخالد كثير وليس برمك إلا واحداً.

وقال سَلْمُ في يحيى، ويحيي يومئذ شاب:

وَفَتًى خَلا مِنْ مالِهِ ... وَمِنَ المُرُوءَةِ غيرُ خالِ
وَإذا رَأى لَكَ مَوْعِداً ... كانَ الفِعالُ مَعَ المَقالِ

(١) السلق: الذئب

لله درُّكَ مِنْ فتى ... مافيكَ مِنْ كرمِ الخِلالِ
أعطاكَ قبلَ سؤالِهِ ... فكفاكَ مكروهَ السؤالِ

ومن جيد ما قيل فيهم:

للفضلِ يومُ الطالقانِ وقبلَه ... يومٌ أنافَ بهِ على خاقانِ
مَا مثلُ يومَيهِ اللذَينِ تواليا ... فى غزوتينِ حواهما يومانِ
عصمتْ حكومتُهُ جماعةَ هاشمٍ ... مِنْ أنْ يجرِّدَ بينَها سيفانِ
تلكَ الحكومةُ لا التى عن لُبْسِها ... عظُمَ التنائى وتفرّقَ الحكمانِ

وقال الحسنُ بنُ هانئ فى جعفر بن يحيى:

ذاكَ الوزيرُ الذى طالتْ علاوتُهُ ... كأنَّهُ ناظرٌ فى السيفِ بالطولِ (١)

ذكروا أن جعفر بن يحيى كان أول من عرض الجرُبّانات لطول عنقه. وقال معدانُ الأعمى، وهو أبو السَّرِىّ السُّميطى:

يومَ تُشفَى النفوسُ مِنْ يَعْصُرِ اللؤْ ... مِ وَيُثنى بِسامةِ الرحّالِ
وعدىٍّ وتيمِها وثقيفٍ ... وأُمَيٍّ وتغلبٍ وهِلالِ
لا حَرورٌ ولا النوائبُ تنجو ... لا ولا صحبُ واصلِ الغزّالِ
غيرَ كفتٍ ومَنْ يلوذُ بكفتٍ ... فهمُ رهطُ الأعورِ الدجّالِ
وبنو الشيخِ والقتيلُ بفخٍّ ... بعدَ يحيى ومؤتمِ الأشبالِ
سنَّ ظلمَ الإمامِ فى القومِ بشرٌ ... إنَّ ظلمَ الإمامِ ذو عُقّالِ

وقال الكميت:

آمتْ نساءُ بنى أُميّةَ منهمُ ... وبنوهمُ بمضيعةٍ أيتامُ
نامتْ جدودُهمُ وأسقطَ نجمُهمْ ... والنجمُ يسقطُ والجدودُ تنامُ
خلتِ المنابرُ والأسرّةُ منهمُ ... فعليهمُ حتى المماتِ سلامُ

(١) العلاوة: العنق

وقال خليفة أبو خلف بن خليفة :

أعفى آلَ هاشمٍ يا أُميّاً　　جعلَ اللهُ بيتَ مالكِ فيّاً
أنْ عدى اللهُ آلَ مرْوانَ والعا　　صِى لقدْ كانَ للرّسولِ عصيّاً
لوْ تصفّحْتَ أوْلياءَ عليٍّ　　لمْ تجِدْ في جميعِهمْ باهليّا

وقال الرّاعى فى بنى أمية :

بَنى أميّةَ إنَّ اللهَ مُلحِقُكمْ　　عمّا قليلٍ بعُثْمانَ بنِ عفّانِ

وقال كعبُ الأشْقرِىُّ (١) لعمر بن عبد العزيز :

إنْ كُنْتَ تحْفظُ ما يليكَ فإنما　　عُمّالُ أرضِكَ بالبلادِ ذِئابُ
لَنْ يَسْتجيبُوا للّذِى تدْعو لهُ　　حتّى يُجلد بالسيوفِ رِقابُ
بأكفِّ مُنصلِتينَ أهْلِ بصائرٍ　　فِى وقْعِهنّ مزاجرٌ وعِقابُ
هلاّ قُرَيْشٌ ذكّرُوا بثُغورِهَا　　حزْمٌ وأحْلامٌ هُناكَ رِغابُ
لوْلاَ قُرَيْشٌ نصرُهَا ودِفاعُها　　أُلفِيتُ مُنقطِعاً بِىَ الأسْبابُ

فلما سمع هذا الشعر قال: لمن هذا؟ قالوا: لرجل من أزد عمان يقال له كعب الأشقرى! قال: ما كنت أظن أهل عمان يقولون مثل هذا الشعر. قال [أبو] اليقظان: وقام إلى عمر بن عبد العزيز رجل وهو على المنبر فقال :

إنَّ الّذِين بعثْتَ فى أقْطارِهَا　　نبذُوا كِتابكَ واستُحِلَّ المَحْرَمُ
طُلْسُ الثّيابِ على منابرِ أرْضِنا　　كُلٌّ يجورُ وكلّهمْ يتظلّمُ
وأرَدْتَ أن يلِىَ الأمانةَ مِنْهمُ　　عدْلٌ وهيْهاتَ الأمِينُ المُسْلِمُ

وكان زيد بن على كثيراً ما يتمثّل بقول الشاعر :

شرّدَهُ الخوفُ وأزْرَى بهِ　　كذاكَ منْ يكْرَهُ حرَّ الجِلادْ

(١) هو كعب بن معدان الاشقرى الازدى . كان شاعرا مجيدا وخطيبا بليغا وفارسا شجاعا . ابلى مع المهلب بن ابي صفرة وبنيه فى حروب الخوارج بلاء حسنا . قال الفرزدق : شعراء الاسلام اربعة انا وجرير والاخطل وكعب الاشقري . مات مقتولا بيد اخ له من امه بعمان سنة ١٠٢ ه

مُنْخَرِقُ الخُفَّيْنِ يَشْكُو الوَجَى ... تَنْكُبُهُ أَطْرَافُ مَرْوٍ حِدَادْ

وقال عبد الله بن كثير السهمى ، وكان يتشيع لولادة كانت نالته ، وسمع عمال خالد ابنِ عبدِ الله القسْرِى يلعنون علياً والحسنَ والحسينَ على المنابر :

لَعَنَ اللهُ مَن يَسُبُّ علياً ... وَحُسَيناً من سُوقَةٍ وإمَامِ

أَيُسَبُّ المُطَيَّبُونَ جُدُوداً ... والكِرَامُ الأَخْوَالِ والأَعْمَامِ

يأْمَنُ الظَّبْىُ والحَمَامُ ولا يأْ ... مَنُ آلُ الرَّسُولِ عِنْدَ المَقَامِ

طِبْتَ بيتاً وطَابَ أهْلُكَ أهْلاً ... أَهْلُ بَيْتِ النَّبِيِّ والاسلامِ

رَحْمَةُ اللهِ والسلامُ عَلَيْهِمْ ... كلّما قامَ قائمٌ بِسَلامِ

وقال حين عابوه بذلك الرأى :

إنَّ امْرَأً أَمْسَتْ مَعَايِبُهُ ... حُبُّ النَّبِيِّ لَغَيْرِ ذِى ذَنْبِ

وَبَنِى أَبِى حَسَنٍ وَوَالِدِهِمْ ... مَنْ طَابَ فى الأَرْحَامِ والصُّلْبِ

أَيُعَدُّ ذَنْباً أَنْ أُحِبَّهُمُ ... بَلْ حُبُّهُمْ كَفَّارَةُ الذَّنْبِ

وقال يزيدُ بنُ أبى بكرِ بنِ دَأْبٍ اللَّيْثِىّ :

اللهُ يَعْلَمُ فى علىٍّ عِلْمَهُ ... وَكَذاكَ عِلْمُ اللهِ فى عُثْمَانِ

وقال السيِّدُ الحِمْيَرِىُّ :(١)

إنّى امْرُؤٌ حِمْيَرِىٌّ غيرُ مُؤْتَشِبٍ ... جَدِّى رُعَيْنٌ وَأخْوَالِى ذَوُو يَزَنِ

ثُمَّ الوَلاءُ الّذِى أَرْجُو النَّجَاةَ بِهِ ... يَوْمَ القِيامَةِ لِلْهَادِى أَبِى الحَسَنِ

وقال ابنُ أُذَيْنَةَ :(٢)

سَمِينُ قُرَيْشٍ مَانِعٌ مِنْكَ لَحْمَهُ ... وَغَثُّ قُرَيْشٍ حَيْثُ كانَ سَمِينُ

---

(١) مضت ترجمته فى ص ١٣٥ من الجزء الثاني

(٢) مضت ترجمته فى ص ١٣٠ من هذا الجزء . وقفت سكينة بنت الحسين على عروة بن اذينة يوما فقالت : ياابا عامر ، انت الذى تزعم ان لك مروءة وان غزلك من وراء عفة وانك تقى ؟ قال نعم ، قالت : افانت الذى تقول :

وقال ابنُ الرُّقَيَّاتِ :

مَا نَقَمُوا مِنْ بَنِى أُمَيَّةَ إلاَّ ... أَنَّهُمْ يَحْلُمُونَ إنْ غَضِبُوا
وَأَنَّهُمْ مَعْدِنُ المُلُوكِ ولاَ ... تَصْلُحُ إلاَّ عَلَيْهِمُ العَرَبُ

وقال عُرْوَةُ بنُ أُذَيْنَةَ :

إذَا قُرَيْشٌ تَوَلَّى خَيْرُ صالِحِهَا ... فاسْتَيْقِنَنَّ بأَنْ لاَ خَيْرَ فى أَحَدِ
رَهْطُ النَّبِىِّ وأَوْلَى النَّاسِ مَنْزِلَةً ... بِكُلِّ خَيْرٍ وَأَثْرَى النَّاسِ فِى العَدَدِ

وقال حسَّانُ بنُ ثابت يرثى أبا بكرٍ الصدّيق رضى الله تعالى عنه :

إذَا تَذَكَّرْتَ شَجْواً مِنْ أَخِى ثِقَةٍ ... فاذْكُرْ أَخَاكَ أَبَا بَكْرٍ بِمَا فَعَلاَ
أَلتَّالِىَ الثَّانِىَ المَحْمُودُ مَشْهَدُهُ ... وَأَوَّلَ النَّاسِ مِنْهُمْ صَدَّقَ الرُّسُلاَ
وَثَانِىَ اثْنَيْنِ فِى الغَارِ المُنِيفِ وَقَدْ ... طَافَ العَدُوُّ بِهِ إذْ صَعَّدَ الجَبَلاَ
وَكَانَ حِبَّ رَسُولِ اللهِ قَدْ عَلِمُوا ... خَيْرَ البَرِيَّةِ لَمْ يَعْدِلْ بِهِ رَجُلاَ

وقال بعض بنى أسد :

لَمَّا تَخَيَّرَ رَبِّى فَارْتَضَى رَجُلاً ... مِنْ خَلْقِهِ كَانَ مِنَّا ذَلِكَ الرَّجُلُ
لَنَا المَسَاجِدَ نَبْنِيهَا وَنَعْمُرُهَا ... وَفِى المَنَابِرِ قُعْدَانٌ لَنَا ذُلُلُ

وقال يزيدُ بنُ الحكم بنِ أبى العاص فى شأن السقيفة :

قَدِ اخْتَصَمَ الأَقْوَامُ بَعْدَ مُحَمَّدٍ ... فَسَائِلْ قُرَيْشاً حِينَ جَدَّ اخْتِصَامُهَا
أَلَمْ تَكُ مِنْ دُونِ الخَلِيقَةِ أُمَّةً ... بِكَفِّ امْرِئٍ مِنْ آلِ تَيْمٍ زِمَامُهَا
هَدَى اللهُ بِالصِّدِّيقِ ضُلاَّلَ أُمَّةٍ ... إلَى الحَقِّ لَمَّا ارْفَضَّ عَنْهَا نِظَامُهَا

وقالت صفيةُ فى ذلك اليوم :

قالت وابنتها وجدي فبحت به ... قد كنت عندى تحب الستر فاستتر
ألست تبصر من حولى فقلت لها ... غطى هواك وما ألقى على بصرى

قال لها • بلى • فقالت : جوارى حرائر إن كان هذا خرج من قلب سليم

قَدْ كانَ بَعْدَكَ أنباءٌ وَهَنْبَثَةٌ لَوْ كُنْتَ شاهِدَها لم تَكْثُرِ الخُطَبُ
إنّا فَقَدْناكَ فَقْدَ الأرْضِ وابِلَها وَاخْتَلَّ قَوْمُكَ فاشْهَدْهُمْ فَقَدْ شَغِبُوا

وقال الفَرَزْدَقُ :

صَلَّى صُهَيْبٌ ثَلاثاً ثُمَّ أسْلَمَها إلى ابْنِ عَفّانَ مُلْكاً غَيْرَ مَقْصُورِ
وِلايَةً مِنْ أبي حَفْصٍ لِثالِثِهِمْ كانُوا أخِلاءَ مَهْدِيٍّ وَمَحْبُورِ

وقال مزرِّدُ بنُ ضِرارٍ (١) يرثي عمرَ بنَ الخطَّاب رضي الله تعالى عنه :

عَلَيْكَ السلامُ مِنْ إمامٍ وَبارَكَتْ يَدُ اللهِ في ذاكَ الأدِيمِ المُمَزَّقِ
قَضَيْتَ أُمُوراً ثُمَّ غادَرْتَ بَعْدَها بَوائِقَ في أكْمامِها لَمْ تُفَتَّقِ
وَما كُنْتُ أخْشَى أنْ تَكُونَ وَفاتُهُ بِكَفَّيْ سَبَنْتَى أزْرَقِ العَيْنِ مُطْرِقِ

قال وسمعوا في تلك الليلة هاتفاً يقول :

لِيَبْكِ عَلَى الإسلامِ مَنْ كانَ باكِياً فَقَدْ أوْشَكُوا هُلْكاً وَما قَدُمَ العَهْدُ
وَأدْبَرَتِ الدُّنْيا وَأدْبَرَ خَيْرُها وَقَدْ مَلَّها مَنْ كانَ يُوقِنُ بالوَعْدِ

وعن أبي الجحاف عن مسلم البطين :

إنّا نُعاقِبُ لا أبالَكَ عُصْبَةً عَلِقُوا الفِرَى وَبَرَوْا مِنَ الصِّدِّيقِ
وَبَرَوْا سَفاهاً مِنْ وَزِيرِ نَبِيِّهِمْ تَبّاً لِمَنْ يَبْرا مِنَ الفارُوقِ
إنّي عَلَى رَغْمِ العُداةِ لَقائِلٌ دِيناً بِدِينِ الصّادِقِ المَصْدُوقِ

---

(١) هذه الابيات تروى للشماخ بن ضرار هكذا :

جزى الله خيراً من امير وباركت يد الله في ذاك الاديم الممزق
فمن يسع او يركب جناحي نعامة ليدرك ماقدمت بالامس يسبق
قضيت اموراً ثم غادرت بعدها بوائج في اكمامها لم تفتق
أبعد قتيل بالمدينة اظلمت له الارض تهتز العضاه باسوق
تظل الحصان البكر يلقى جنينها ثنا خبر فوق المطى معلق
وما كنت اخشى ان تكون وفاته بكفي سبنتى ازرق العين مطرق

وقال الكميت :

فَقُلْ لِبَنِي أُمَيَّةَ حَيثُ حَلّوا ... وَإِنْ خِفْتَ المُهَنَّدَ والقَطِيعا
أَجاعَ اللهُ مَنْ أَشْبَعْتُموهُ ... وَأَشْبَعَ مَنْ بِجَورِكُمُ أُجيعا
بِمَرْضِيِّ السِّياسَةِ هَاشِمِيٍّ ... يَكونُ حَياً لأُمَّتِهِ رَبيعا

وقال حرب بن المُنْذِر بن الجارود :

فَحَسْبِي مِنَ الدُّنْيا كَفافٌ يُقِيمُنِي ... وَأَثْوابُ كَتَّانٍ أَزُورُ بِها قَبْرِي
وَحُبِّي ذَوِي قُرْبَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ... فَما سُؤْلُنا إِلاَّ المَوَدَّةَ مِنْ أَجْرِ

من كلام خلفاء بنى العباس وأمرائهم

وجه التدبير فى الكتاب إذا طال أن يداوى مؤلفه نشاط القارىء له ويسوقه إلى حظه بالاحتيال له ، فمن ذلك أن يخرجه من شىء إلى شىء ومن باب إلى باب بعد أن لا يخرجه من جملة ذلك الفن ومن جمهور ذلك العلم . وقد يجب أن نذكر بعض ما انتهى إلينا من كلام خلفائنا من وُلد العباس ولو أن دولتهم أعجمية خُراسانية ودولة بنى مَرْوانَ عربية أعرابية وفى أجناد شامية ، والعرب أوعى لما تسمع وأحفظ لما تأتى ولها الأشعار التى تقيد عليها مآثرها وتخلد لها محاسنها وجرت من ذلك فى إسلامها على مثل عادتها فى جاهليتها فبنت بذلك لِبنى مَرْوانَ شرفا كثيراً ومجداً كبيراً وتدبيراً لا يحصى . ولو أن أهل خُراسان حفظوا على أنفسهم وقائعهم فى أهل الشام وتدبير ملوكهم وسياسة كبرائهم وما جرى فى ذلك من فرائد الكلام وشريف المعانى كان فيما قال المَنْصُور وما فعل فى أيامه وأسس لمن بعده مابزّ بجماعة ملوك بنى مروان . ولقد تتبع أبو عُبَيْدَةَ النحوى وأبو الحسن المدائنى وهِشامٌ الكلبىُّ والهيثمُ بنُ عَدى أخباراً اختلفت وأحاديث تقطعت فلم يدركوا إلا قليلا من كثير ، وممزوجا من خالص . وعلى كل حال فإنا إذا صرنا إلى بقية ما رواه العباس بن محمد وعبد الملك بن صالح والعباس بن موسى وإسحٰق بن

عيسى وإسحق بن سليمان وأيوب بن جعفر ، وما رواه إبراهيم بن السندى عن السندى وعن صالح صاحب المصلى عن مشيخة بنى هاشم ومواليهم ، عرفت بتلك البقية كثرة مافات وبذلك الصحيح أين موضع الفساد مما صنعه الهيثمُ بنُ عدى وتكلفه هِشامُ بن الكلبى .

شيء من سياسة بني العباس وأمرائهم

وسنذكر جملا مما انتهى إلينا من كلام المنصور ومن شأن المأمون وغيرهما وإن كنا قد ذكرنا من ذلك طرفا ، وتقصد من ذلك إلى التخفيف والتقليل فإنه يأتى من وراء الحاجة ويعرف بجملته مراد البقية .

قال : وكان المنصورُ داهياً أريباً مصيباً فى رأيه سديداً وكان مقدما فى علم الكلام ومكثراً من كتاب الآثار ولكلامه كتاب يدور فى أيدى الوراقين معروف عندهم . ولما هم بقتل أبى مُسلم سقط بين الاستبداد برأيه والمشاورة فيه فأرق فى ذلك ليلته فلما أصبح دعا باسحٰق بن مُسلم العُقيلى فقال له : حدثنى حديث الملك الذى أخبرتنى عنه بحرَّان ؟ قال : أخبرنى أبى عن الحصين بن المنذر أن ملكا من ملوك فارس يقال له سَابورُ الأكبر كان له وزير ناصح قد اقتبس أدباً من آداب الملوك وشاب ذلك بفهم فى الدين فوجهه سابور داعيةً إلى خُراسان وكانوا قوما عجما يعظمون الدنيا جهالة بالدين ويخلون بالدين استكانة لقوت الدنيا وذلا لجبابرتها ، فجمعهم على دعوة من الهوى يكيد به مطالب الدنيا واغتر بقتل ملوكهم وتخوله إياهم ، وكان يقال : لكل ضعيف صولة ولكل ذليل دولة ، فلما تلاحمت أعضاء الأمور التى لقح استحالت حربا عوانا شالت أسافلها بأعاليها فانتقل العز إلى أرذلهم والنباهة إلى أخملهم فأشربوا له حبا مع خفض من الدنيا افتتح بدعوة من الدين ، فلما استوثقت له البلاد بلغ سابور أمرهم وما أحال عليه من طاعتهم ، ولم يأمن زوال القلوب وغدرات الوزراء ، فاحتال فى قطع رجائه عن قلوبهم وكان يقال :

وَمَا قُطِعَ الرَّجَاءُ بِمِثْلِ يَأْسٍ تُبَادِهُهُ الْقُلُوبُ عَلَى اغْتِرَارِ

فصمم على قتله عند وروده عليه برؤساء أهل خراسان وفرسانهم فقتله فبغتهم بحدث فلم يرعهم إلا ورأسه بين أيديهم ، فوقف بهم بين الغربة ونأى الرجعة وتخطف الأعداء وتفرق الجماعة واليأس من صاحبهم ، فرأوا أن يستتموا الدعوة بطاعة سابور ويتعوضوه من الفرقة فأذعنوا له بالملك والطاعة وتبادروه بمواضع النصيحة فملكهم حتى مات حتف أنفه .

فأطرق المنصور مليا ثم رفع رأسه وهو يقول :

لِذِي الْحِلْمِ قَبْلَ الْيَوْمِ مَا تُقْرَعُ الْعَصَا وَمَا عُلِّمَ الإِنْسَانُ إِلاَّ لِيَعْلَمَا

وأمر إسحٰق بالخروج ودعا بأبي مسلم فلما نظر إليه داخلا قال :

قَدِ اكْتَنَفَتْكَ خَلاَّتٌ ثَلاَثٌ جَلَبْنَ عَلَيْكَ مَحْذُورَ الْحِمَامِ

خِلاَفُكَ وَامْتِنَانُكَ تَرْتَمِينِي وَقَوْدُكَ لِلْجَمَاهِيرِ الْعِظَامِ

ثم وثب إليه ووثب معه بعض حشمه بالسيوف فلما رآهم وثب فبدره المنصور فضربه ضربة طوحه منها ثم قال :

إِشْرَبْ بِكَأْسٍ كُنْتَ تَسْقِي بِهَا أَمَرَّ فِي الْحَلْقِ مِنَ الْعَلْقَمِ

زَعَمْتَ أَنَّ الدَّيْنَ لاَ يُقْتَضَى كَذَبْتَ فَاسْتَوْفِ أَبَا مُجْرِمِ

ثم أمر بحز رأسه و بعث به إلى أهل خراسان وهم ببابه فجالوا حوله ساعة ثم رد عن شغبهم إقطاعهم عن بلادهم و إحاطة الأعداء بهم فذلوا وسلموا له ، فكان إسحٰق إذا رأى المنصور قال :

وَمَا ضَرَبُوا لَكَ الأَمْثَالَ إِلاَّ لِتَحْذُوَ إِنْ حَذَوْتَ عَلَى مِثَالِ

وكان المنصور إذا رآه قال :

وَخَلَّفَهَا سَابُورُ لِلنَّاسِ يُقْتَدَى بِأَمْثَالِهَا فِي الْمُعْضِلاَتِ الْعَظَائِمِ

وكان المهدى يحب القيان وسماع الغناء ، وكان معجباً بجارية يقال لها جوهر ،

وكان اشتراها من مروان الشامى فدخل عليه ذات يوم مروان الشامى وجوهر تغنيه فقال مروان :

أَنْتِ يَاجَوْهَرُ عِنْدِي جَوْهَرَةْ فِى بَيَاضِ الدُّرَّةِ الْمُشْتَهِرَةْ
فَإِذَا غَنَّتْ فَنَارٌ ضُرِمَتْ قَذَفَتْ فِى كُلِّ قَلْبٍ شَرَرَهْ

فاتهمه المهدى وأمر به فَدُعَّ فى عنقه إلى أن خرج ، ثم قال لجوهر : أطربينى فأنشأت تقول :(١)

وَأَنْتَ الَّذِي أَخْلَفْتَنِي مَاوَعَدْتَنِي وَأَشْمَتَّ بِي مَنْ كَانَ فِيكَ يَلُومُ
وَأَبْرَزْتَنِي لِلنَّاسِ ثُمَّ تَرَكْتَنِي لَهُمْ غَرَضاً أُرْمَى وَأَنْتَ سَلِيمُ
فَلَوْ أَنَّ قَوْلاً يَكْلِمُ الْجِسْمَ قَدْبَدَا بِجِسْمِيَ مِنْ قَوْلِ الْوُشَاةِ كُلُومُ

فقال المهدى :

أَلاَ يَا جَوْهَرَ الْقَلْبِ لَقَدْ زِدْتِ عَلَى الْجَوْهَرْ
وَقَدْ أَكْمَلَكِ اللهُ بِحُسْنِ الدَّلِّ وَالْمَنْظَرْ
إِذَا مَا صُلْتِ مَا أَحْسَنَ خَلْقِ اللهِ بِالْمَزْهَرْ
وَغَنَّيْتِ فَفَاحَ الْبَيْتُ مِنْ رِيقِكِ بِالْعَنْبَرْ
فَلاَ وَاللهِ مَا الْمَهْدِيُّ أَوْلَى مِنْكِ بِالْمِنْبَرْ
فَإِنْ شِئْتِ فَفِي كَفِّكِ خَلْعُ ابْنِ أَبِي جَعْفَرْ

قال الهيثم : أنشدت هرون وهو ولى عهد أيام موسى بيتين لحمزة بن بيض فى سليمان بن عبد الملك :

---

(١) قال ابن الدمينة لمحبوبته امامة وهو يحاورها :

وانت التى كلفتنى دلج السري وجون القطا بالجلهتين جثوم
وانت التى قطعت قلبى حزازة وقرفت قرح القلب فهو كليم
وانت التى احفظت قومي فكلهم بعيد الرضا دانى الصدود كظيم

فاجابته امامة بالابيات التى تمثلت بها جوهر للمهدى

حَازَ الخِلافَةَ وَالداكَ كِلاَهُما ... مِنْ بَيْنِ سَخْطَةِ ساخِطٍ أوْ طائِعِ
أَبَوَاكَ ثُمَّ أخُوكَ أصْبَحَ ثَالِثاً ... وَعَلَى جَبِينِكَ نُورُ مُلْكٍ سَاطِع

قال : يا يحيي أكتب لى هذين البيتين .

ولما مدح ابن هرمة أبا جعفر المنصور أمر له بألفى درهم فاستقلها و بلغ ذلك أبا جعفر فقال : أما يرضى أنى حقنت دمه وقد استوجب إراقته ووفرت ماله وقد استحق تلفه وأقررته وقد استأهل الطرد وقربته وقد استحق البعد ؟ أليس هو القائل فى بنى أمية :

إذَا قيلَ مَنْ عِندَ رَيْبِ الزَّما ... نِ لِمُعتَرِّ فِهْرٍ وَمُحْتاجِها
وَمَنْ يَعْجِلُ الخيلَ يَومَ الوَغَى ... بِإلْجَامِها قَبْلَ إسْرَاجِها
أشارَتْ نساءُ بَنِى مالِكٍ ... إلَيْكَ بِهِ قَبْلَ أزْوَاجِها

قال ابن هرمة : فإنى قد قلت فيك أحسن من هذا ! قال : هاته ! قال : قلت :

إذَا قُلْتُ أىُّ فتًى تَعْلَمُونَ أهَشُّ إلى الطَّعْنِ بالذَّابِلِ
وَأَضْرَبُ لِلْقِرْنِ يَوْمَ الوَغَى ... وَأَطْعَمُ فِى الزَّمَنِ المَاحِلِ
أشارَتْ إلَيْكَ أكُفُّ الوَرَى ... إشارَةَ غَرْقَى إلَى سَاحِلِ

قال المنصور : أما هذا الشعر فسترق وأما نحن فلا نكافىء إلا بالتى هى أحسن .

سياسة المنصور فى العفو عن المسىء

ولما احتال أبو الأزهر المهلب [بن عُبيثر المهرى] لعبد الحميد بن ربعى بن خالد بن مغداق ، وأسلمه [إلى] حميد [بن قحطبة وأسلمه حميد] إلى المنصور قال: لا عذر فأعتذر وقد أحاط بى الذنب وأنت أولى بما ترى ، قال : لست أقتل أحداً من آل قحطبة بل أهب مسيئهم لمحسنهم وغادرهم لوفيهم ! قال : إن لم يكن فى مصطنع فلا حاجة لى فى الحياة ولست أرضى أن أكون طليق شفيع وعتيق

ابن عم ! قال : اسكت مقبوحا مشقوحا أخرج فانك أنوك جاهل ، أنت عتيقهم وطليقهم ما حييت .

ولما داهن سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب فى شأن إبراهيم بن عبد الله وصار إلى المنصور أمر الربيع بخلع سواده والوقوف به على رؤس اليمانية فى المقصورة يوم الجمعة ثم قال : قل لهم يقول لكم أمير المؤمنين : قد عرفتم ما كان من إحسانى إليه وحسن بلائى عنده وقديم نعمتى عليه والذى حاول من الفتنة ورام من البغى وأراد من شق العصا ومعاونة الأعداء و إراقة الدماء وأنه قد استحق بهذا من فعله أليم العقاب وعظيم العذاب ، وقد رأى أمير المؤمنين إتمام بلائه الجميل لديه وَرَبَّ نعمائه السابقة عنده لما يتعرفه أمير المؤمنين من حسن عائدة الله عليه وما يؤمله من الخير العاجل والآجل عند العفو عمن ظلم والصفح عمن أساء ، وقد وهب أمير المؤمنين مسيئهم لمحسنهم وغادرهم لوفيهم .

وصف المأمون لصنوف العلم وحثه على التخصص

وقال سهل بن هرون يوما وهو عند المأمون : من أصناف العلم مالا ينبغى للمسلمين أن يرغبوا فيه ، وقد يرغب عن بعض العلم كما يرغب عن بعض الحلال.! قال المأمون : قد يسمى بعض الناس الشىء علما وليس بعلم فان كنت أردت هذا فوجهه الذى ذكرنا ، ولو قلت : إن العلم لايدرك غوره ولا يسبر قعره ولا تبلغ غايته ولا يستقصى أصنافه ولا يضبط آخره فالأمر على ما قلت ، فاذا كان الأمر كذلك فابدأوا بالأهم فالأهم وابدأوا بالفرض قبل النفل ، فاذا فعلتم ذلك كان عدلا وقولا صدقا ، وقد قال بعض العلماء : إقتصد من أصناف العلم ما هو أشهى إلى نفسك وأخف على قلبك فان نفاذك فيه على حسب شهوتك [له] وسهولته عليك ، وقال أيضا بعض العلماء : لست أطلب العلم طمعا فى بلوغ غايته والوقوف على نهايته ولكن التماس ما لا يسع جهله ولا يحسن بالعاقل إغفاله ، وقال آخرون : علم الملوك النسب

والخبر وجمل الفقه ، وعلم التجار الحساب والكتاب ، وعلم أصحاب الحرب درس كتب المغازي وكتب السير ، فأما أن تسمى الشيء علما وتنهى عنه من غير أن يكون يشغل عما هو أنفع منه بل تنهى نهيا جزما و أمر أمراً حتما ! والعلم بصر وخلافه عمى والاستبانة للشر ناهية عنه والاستبانة للخير آمرة به ! ؟

وصف المأمون لكتب الامامة

ولما قرأ المأمون كتبي في الامامة فوجدها على ما أمر به ، وصرت اليه ، وقد كان أمر اليزيدي بالنظر فيها ليخبره عنها. قال لي : قد كان بعض من نرتضي عقله ونصدق خبره خبرنا عن هذه الكتب باحكام الصنعة وكثرة الفائدة ، فقلنا : قد تُربي الصفة على العيان ، فلما رأيتها رأيت العيان قد أربى على الصفة ، فلما فليتها أربى الفلي على العيان كما أربى العيان على الصفة ، وهذا كتاب لا يحتاج إلى حضور صاحبه ولا يفتقر إلى المحتجين عنه ، قد جمع استقصاء المعاني واستيفاء جميع الحقوق مع اللفظ الجزل والمخرج السهل ، فهو سوقي ملوكي وعامي خاصي .

مجادلة المأمون للخراساني المرتد

ولما دخل عليه المرتد الخراساني وقد كان حمله معه من خراسان حتى وافى به العراق ، قال له المأمون :

لأن أستحييك بحق أحب إليّ من أن أقتلك بحق ، ولأن أقبلك بالبراءة أحب إلي من أن أدفعك بتهمة ، قد كنت مسلماً بعد أن كنت نصرانياً وكنت فيها أتيحَ وأيامك أطول فاستوحشت مما كنت به آنساً ثم لم تلبث أن رجعت عنا نافراً، فخبرنا عن الشيء الذي أوحشك من الشيء الذي صار آنس لك من إلفكَ القديم وأنسك الأول ؟ فإن وجدت عندنا دواء دائك تعالجت به ، والمريض من الأطباء يحتاج إلى المشاورة ، وإن أخطأك الشفاء ونبا عن دائك الدواء كنت قد

أعذرت ولم ترجع على نفسك بلائمة ، فان قتلناك قتلناك بحكم الشريعة ، أو ترجع أنت فى نفسك إلى الإستبصار والثقة وتعلم أنك لم تقصر في اجتهاد ولم تفرط فى الدخول فى باب الحزم ! ؟

قال المرتد : أوحشنى كثرة ما رأيت من الاختلاف فيكم !

قال المأمون : لنا اختلافان أحدهما كالاختلاف فى الأذان وتكبير الجنائز والاختلاف فى التشهد وصلاة الأعياد وتكبير التشريق ووجوه القرآت واختلاف وجوه الفتيا وما أشبه ذلك ، وليس هذا باختلاف إنما هو تخيير وتوسعة وتخفيف من المحنة ، فمن أذَّن مَثنى وأقام مثنى لم يؤثم ومن أذن مثنى وأقام فرادى لم يُحَوَّبْ ، لايتعايرون ولا يتعايبون ، أنت ترى ذلك عيانا وتشهد عليه تبيانا ! والاختلاف الآخر كنحو اختلافنا فى تأويل الآيه من كتابنا وتأويل الحديث عن نبينا مع إجماعنا على أصل التنزيل واتفاقنا على عين الخبر ، فان كان الذى أوحشك هذا حتى أنكرت من أجله هذا الكتاب فقد ينبغى أن يكون اللفظ بجميع التوراة والانجيل متفقا على تأويله كما يكون متفقا على تنزيله ولا يكون بين جميع النصارى واليهود اختلاف فى شىء من التأويلات ، وينبغى لك أن لاترجع إلا إلى لغة لا اختلاف فى تأويل ألفاظها ، ولو شاء الله أن ينزل كتبه ويجعل كلام أنبيائه وورثة رسله لا يحتاج إلى تفسير لفعل ، ولكنا لم نر شيئاً من الدين والدنيا دفع إلينا على الكفاية ، ولو كان الأمر كذلك لسقطت البلوى والمحنة وذهبت المسابقة والمنافسة ولم يكن تفاضل ، وليس على هذا بنى الله الدنيا ؟

قال المرتد : أشهد أن الله واحد لا ند له ولا ولد وأن المسيح عبده وأن محمداً صادق وأنك أمير المؤمنين حقا .

فأقبل المأمون على أصحابه فقال : فِرُوا عليه عرضه ولا تبروه فى يومه ريثما يعتق إسلامه كيلا يقول عدوه إنه أسلم رغبة ، ولا تنسوا بعدُ نصيبكم من بره وتأنيسه ونصرته والعائدة عليه .

دفاع المأمون عن إيقاع الملوك بخاصتهم

حدثنا أحمد بن أبي دواد قال : قال لي المأمون : لا يستطيع الناس أن يُنصفوا الملوك من وزرائهم ولا يستطيعون أن ينظروا بالعدل بين الملوك وحماتهم وكفاتهم وبين صنائعهم و بطانتهم ، وذلك أنهم يرون ظاهر حرمة وخدمة واجتهاد ونصيحة ويرون إيقاع الملوك بهم ظاهراً حتى لا يزال الرجل يقول : ما أوقع به إلا رغبة فى ماله أو رغبة فى بعض مالا تجود النفوس به ، ولعل الحسد والملال وشهوة الاستبدال اشتركت فى ذلك ، وهناك خيانات فى صلب الملك أو فى بعض الحرم فلا يستطيع الملك أن يكشف للعامة موضع العورة فى الملك ولا أن يحتج لتلك العقوبة بما يستحق ذلك الذنب ولا يستطيع الملك ترك عقابه لما فى ذلك من الفساد ، على علمه بأن عذره غير مبسوط للعامة ولا معروف عند أكثر الخاصة .

من آداب الملوك

ونزل رجل من أهل العسكر فعدا بين يدى المأمون وشكا إليه مظلمته فأشار بيده : أن حسبك ! فقال له بعض من كان يقرب من المأمون : يقول لك أمير المؤمنين : إركب ؟ قال المأمون : لا يقال لمثل هذا : إركب إنما يقال له : انصرف .
وحدثنى إبراهيم بن السندى قال : بينا الحسن اللؤلؤى يحدث المأمون ليلا وهو بالرقة وهو يومئذ ولى عهد وأطال الحسن الحديث حتى نعس المأمون فقال الحسن: نعست أيها الأمير ! ففتح عينيه وقال : سُوقى ورب الكعبة ، يا غلام خذ بيده .

ذكر بقية كلام النوكى والموسوسين والجفاة والأغبياء وما ضارع ذلك وشاكله

وأحببنا أن لا يكون مجموعا فى مكان واحد إبقاء على نشاط القارىء والمستمع . مر ابن أبى علقمة بمجلس بنى ناجية فكبا حماره لوجهه فضحكوا منه

فقال : مايضحككم ؟رأى وجوه قريش فسجد! . أبو الحسن قال: أتى رجل عِبادياصيرفياً يستساف منه مئتى درهم فقال : وما تصنع بها ؟ قال : أشترى بها حماراً فلعلى أربح فيه عشرين درهما ! قال : إذاً أنا وهبتك العشرين فما حاجتك إلى المئتين ؟ قال : ما أريد إلا المئتين ! فقال : أنت لاتريد أن تردها على . قال: وأتى قوم عِبادِياً فقالوا : نحب أن تسلف فلانا ألف درهم وتؤخره سنة ؟ فقال : هاتان حاجتان وسأقضى لكم إحداها و إذا فعلت ذلك فقد أنصفت ، أما الدراهم فلا تسهل علىّ ولكنى أؤخره سنتين !؟ ولعب رجل قدام بعض الملوك بالشطرنج فلما رآه قد استجاد لعبه وفاوضه الكلام قال له : لم لا توليني نهر بوق؟ قال: أوليك نصفه ، أكتبوا له عهده على بوق ! وقال له مرة : ولنى أرمينية ؟ قال : يُبطئ على أمير المؤمنين خبرك !؟ وقدم آخر على صاحب له من فارس فقال له : قد كنت عند أمير المؤمنين فأى شىء ولاك ؟ قال : ولانى قفاه ! قال : ونظر أمير إلى أعرابى فقال [الأعرابى] : لقد هم لى الأمير بخير ؟ قال : ما فعلت ! قال : فبشر ؟ قال : وما فعلت ! قال : إن الأمير لمجنون . قال أبو الحسن : شهد مجنون على امرأة ورجل بالزنا فقال الحاكم : تشهد أنك رأيته يدخله ويخرجه ؟ قال : والله لو كنت جلدة استها لماشهدت بهذا . قال : وكان رجل من أهل الرى يجالسنا فاحتبس عنا فأتيته فجلست معه على بابه و إذا رجل يدخل ويخرج فقلت : من هذا ؟ فسكت ، ثم أعدت فسكت ، فلما أعدت الثالثة قال : هو زوج أخت خالتى . وقال الشاعر :

إِذَا الْمَرْءُ جَازَ الْأَرْبَعِينَ وَلَمْ يَكُنْ ... لَهُ دُونَ مَا يَأْتِى حَيَاءٌ وَلاَ سِتْرُ
فَدَعْهُ وَلاَ تَنْفِسْ عَلَيْهِ الَّذِى أَتَى ... وَلَوْ جَرَّ أَرْسَانَ الْحَيَاةِ لَهُ الدَّهْرُ

أعرابى خاصمته امرأته إلى السلطان فقيل له : ما صنعت ؟ قال : خيراً كبها الله لوجهها وأمر بى إلى السجن ! قال أبو الحسن : عرض الأسد لأهل قافلة فتبرع عليهم رجل فخرج إليه فلما رآه سقط وركبه الأسد فشدوا عليه بأجمعهم فتنحى عنه الأسد. فقالوا له : ما حالك ؟ قال : لابأس علىّ ولكن الأسد خرى فى سراويلى .

قال أبو عباية السليطى : قد فسد الناس ؟ قلت : وكيف ؟ قال : ترى بساتين هزار مرد هذه ما كان يمر بها غلام إلا بخفير ، قلت : هذا صلاح ! قال : لا بل فساد .

أبو الحسن قال : خطب سعيد بن العاص عائشةَ ابنةَ عثمان على أخيه فقالت : لا أزوجه ! قال : ولم ؟ قالت : هو أحمق ! له برذونان أشهبان فيحتمل مؤنة اثنين وهما عند الناس واحد . قال : كان المغيرة بن المهلّب ممروراً وكان عند الحجاج يوماً فهاجت به مِرّتُه فقال له الحجاج : أُدخل المتوضأ ، وأمر من يقيم عنده حتى يتقيأ ويفيق . قال أبو الحسن : قالت خَيرَة بنت ضمرة القشيرية امرأة المهلب للمهلب : إذا انصرفت من الجمعة فأحب أن تمر بأهلى ؟ قال لها : إن أخاك أحمق ! قالت : فانى أحب أن تفعل ! فجاء وأخوها جالس وعنده جماعة فلم يوسع له فجلس المهلب ناحية ثم أقبل عليه فقال له : ما فعل ابن عمك فلان ؟ قال حاضر ، فقال : إرسل إليه ؟ ففعل ، فلما نظر إليه غير مرفوع المجلس قال : يا ابن اللخناء ، المهلب جالس ناحية وأنت جالس فى صدر المجلس ! ؟ وواثبه . فتركه المهلب وانصرف ، فقالت له خَيرة : أمررت بأهلى ؟ قال : نعم وتركت أخاك الأحمق يُضرب .

قال : وكتب الحجاج إلى الحكم بن أيوب : أُخطب على عبد الملك بن الحجاج امرأة جميلة من بعيد مليحة من قريب شريفة فى قومها ذليلة فى نفسها أمة لبعلها ؟ فكتب إليه : قد أصبتها لولا عظم ثديها ! فكتب إليه الحجاج : لا يحسن نحر المرأة حتى يعظم ثدياها . قال المرار بن مُنقذ العدوى :(1)

صَلْتَةُ الخَدِّ طَوِيلٌ جِيدُهَا ‍ ‍ ‍ ضَخْمَةُ الثَّدْيِ ولَمَّا يَنْكَسِرْ

قال على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه : لا ، حتى تدفىء الضجيع وتروى الرضيع . وقال ابن صديقة لرجل رأى معه خفاً : ما هذه القلنسُوَة ؟ فاحتكموا إلى عرباض فقال عرباض : هى قلنسوة الرجلين . ؟

قال أبو اسحٰق : قلت لخنجير كوز : وعدتك أن تجىء ارتفاع النهار فجئتنى

(1) راجع القصيدة التى منها هذا البيت بالمفضليات مشروحة بقلمنا

صلاة العصر ! قال : جئتك ارتفاع العشى ! قال : قيل لأعرابى : ما اسم المرق عندكم ؟ قال : ألسخين . قال : فاذا برد ؟ قال : لا ندعه حتى يبرد . باع نخاس من أعرابى غلاماً فأراد أن يتبرأ من عيبه قل : إعلم أنه يبول فى الفراش . قال : إن وجد فراشاً فليبل فيه .

حدثنا صديق لى قال : أتانى أعرابى بدرهم فقلت له : هذا زائف فمن أعطاك هذا ؟ قال : لص مثلك .

وقال يزيد بن كثوة : أتيت بنى كش هؤلاء فاذا عرس ، وَبَلِقَ البابُ فَدْرَنفق وادَّمَجَ(١) فيه سُرعان من الناس وألصت ولوج الدار فدلطنى الحداد دَلطَةَ(٢) دهورنى على قمة رأسى وأبصرت شيخان الحى هناك ينتظرون المُرَيَّة(٣) فعجت إليهم فوالله أن زلنا نظار نظار حتى عقل الظل فذكرت أخلائى من بنى تبر فقصدتهم وأنا أقول :

تَرَكْنَ بَنِى كَشٍّ وَمَا فِى دِيَارِهِمْ عَوَامِدَ واعْصَوْصَيْنَ نَحْوَ بَنِى تِبْرِ
إِلَى مَعْشَرٍ شُمِّ الأُنُوفِ قِرَاهُمُ إِذَا نَزَلَ الأَضْيَافُ مِنْ قَمَعِ الْجُزْرِ

وانصرفت وأتيت باب كش وإذا الرجال صتيتان وإذا أرمداء كثيرة وطهاة لاتحصى ولحان فى جفان الا كم . ؟ صالح بن سليمان قال : أحمق الشعراء الذي يقول :

أُهِيمُ بِدَعْدٍ مَا حَيِيتُ فَإِنْ أَمُتْ أُوَكِّلْ بِدَعْدٍ مَنْ يَهِيمُ بِهَا بَعْدِى

ولا يشبه قول الآخر :

فَلَا تَنْكِحِى إِنْ فَرَّقَ الدَّهْرُ بَيْنَنَا أَغَمَّ الْقَفَا وَالْوَجْهِ لَيْسَ بِأَنْزَعَا

قال : مات لابن مقرن غلام فحفر لهم أعرابى قبره بدرهمين وذلك فى بعض الطواعين فلما أعطوه الدرهمين قل : دعوهما حتى يجتمع لى عندكم ثمن ثوب !

وأدخل أعرابى إلى المربد جنيبا له فنظر إليها بعض الغوغاء فقال : لا إله إلا الله ما أسمن هذه الجزر ، قال له الأعرابى : مالها تكون جزراً جزرك الله !

---

(١) بلق الباب : إنفتح . فادرنفق : فاندفع فيه الناس بسرعة . وادمج : دخل

(٢) دلطنى : دفعنى فى صدرى

(٣) شيخان الحى : شيوخه . المرية : المراة بصيغة التصغير . وكان بالأصول المزية . وهو خطأ

قال أبو الحسن : جاء رجل إلى رجل من الوجوه فقال : أنا جارك وقد مات أخى فلان فمر لى بكفن ؟ قال : لا والله ما عندى اليوم شىء ولكن تعهدنا وتعود بعد أيام فسيكون الذى تحب ! قال : أصاحك الله فنملّحه إلى أن يتيسر عندكم شىء . . ! ؟ . قال : كان مولى البكرات يدعى البلاغة فكان يتصفح كلام الناس فيمدح الردىء ويذم الجيد فكتب إلينا رسالة يعتذر فيها من ترك المجىء فقال : وقطعنى عن المجىء إليكم أنه طلعت فى إحدى أليتىَّ ابنى بثرة فعظمت حتى صارت كأنها رمانة صغيرة !؟

وقال على الأسوارى : فلما رأيته اصفر وجهى حتى صار كأنه الكشوث . وقال محمد بن الجهم : إلى أين بلغ الماء منك ؟ قال : إلى العانة . قال شعيب بن زُرارة : لو كان قال : إلى الشعرة كان أجود ! وقال له محمد بن الجهم : هذا الدواء الذى جئت به قدركم آخذ منه ؟ قال : قدر بعرة . وقال علىّ : جاءنى رجل حَزَنْبَلٌ من هٰهنا إلى ثمة .

شىء من سخف قاسم التمار

وقال قاسمُ التَّمَّار : بينهما كما بين السماء إلى قريب من الأرض ! وقال قاسم التمار : رأيت إيوان كسرى كأنما رفعت عنه الأيدى أول من أمس ! وأقبل على أصحاب له وهم يشربون النبيذ ، وذلك بعد العصر بساعة ، فقال لبعضهم : قم صلِّ فاتتك الصلاة ! ثم أمسك عنه ساعة ثم قال لآخر : قم صل ويلك فقد ذهب الوقت ! فلما أكثر عليهم فى ذلك وهو جالس لا يقوم يصلى قال له واحد منهم : فأنت [لم] لم تصل ؟ فأقبل عليه فقال : ليس والله يعرفون أُصلى فى هذا ؟ قلت : وأى شىء أصلك ؟ قال : لا نصلى لأن هذه المغرب قد جاءت ! وقال قاسم : أنا أنفِسُ بنفسى على السلطان ! وأتى منزل ابن أبى شهاب وقد تعشى القوم وجلسوا على النبيذ فأتوه بخبز وزيتون وكامخ (١) فقال : أنا لا أشرب النبيذ إلا على

(١) كامخ : موالح تشهى الطعام .

زُهومة .[١] وقال : حين بعت البغل بدأت بالسرج . وقال : ليس فى الدنيا ثلاثة أنكح منى ، أنا أكسل منذ ثلاث ليال فى كل ليلة عشر مرات ! كأن الإكسال عنده هو الانزال . وقال : ذهب والله منى الأطيبين ؟ قلت : وأى شيء الأطيبين قال : قوة اليدين والرجلين . وقال : فالتوى لى عرق حين قعدت منها مقعد الرجل من الغلام . وقال فى غلام له رومى : ما وضعت بينى و بين الأرض أطيب منه . قال : ومحمد بن حسان لا يشكرنى ووالله ما ناك حاذراً قط إلا على يدى .

وقال أبو خشرم : ما أعجب أسباب النيك ؟ فقيل له : ألنيك وحده ، قال : سمعنا الناس يقولون : ما أعجب أسباب الرزق وما أعجب الأسباب !

وكان قاسم التمار عند ابن لأحمد بن عبد الصمد بن على وهناك جماعة فأقبل وهب المحتسب يعرض له بالغلمان فلما طال على قاسم أراد أن يقطعه عن نفسه بأن يعرفه هو أن ذلك القول عليه فقال : إشهدوا جميعا أنى أنيك الغلمان واشهدوا جميعا أنى أعفج الصبيان والتفت التفاتة فرأى الأخوين الهذليين وكانا يعاديانه بسبب الاعتزال فقال : عنيت بقولى : إشهدوا جميعا أنى لوطى أى على دين لوط ! قال القوم بأجمعهم : أنت لم تقل إنى لوطى إنما قلت : إشهدوا أنى أنيك الصبيان . . . !

قال سفيان الثورى :[٢] لم يكن فى الأرض أحد قط أعلم بالنجوم ثم بالقرانات من « ما شاء الله » كأن يريد ما شاء الله المنجم[٣] وكان يقول : هو أكفر عندى من رام هرمز ! يريد أكفر من هرمز .

---

(١) زهومة : يريد اللحم

(٢) في إحدى النسخ : السدوسي . وفى أخرى : سفيان السدوسى . وكل هذا خطأ والصواب ما أثبتناه .

(٣) هو ما شاء الله بن أبرى المنجم اليهودى . كان فى بغداد على فضل وحذق بعلم النجوم ، وزعموا أنه كان له حظ فى سهم الغيب والاخبار بأمور الحدثان . إلتقى به سفيان الثورى يوما فقال له : أنت تخاف زحل وأنا أخاف رب زحل وانت ترجو المشترى وانا ارجو رب المشترى وانت تغدو بالاستشارة وانا اغدو بالاستخارة ، فكم بيننا ؟ فقال له ما شاء الله : كثير ما بيننا ! حالك ارجى وامرك انجح واحجى ! وقد شهر فى زمن المنصور وادرك عهد المأمون وتوفى حوالى سنة ٢٠٠ هـ

ومن وسوس : غَلْفَاء بنُ الحرث ملك قيس عيلان ، وسوس حين قتل إخوته ، وكان يتغلف و يغلف أصحابه بالغالية فسمى غلفاء بذلك .

وكان رجل ينيك البغلات فجلس يوما يحدث عن رجل كيف ناك بغلة وكيف انكسرت رجله وكيف كان ينالها قال : كان يضع تحت رجله لَبِنَةً فبينا هو ينحى فيها إذ انكسرت اللّبنة من تحت رجله و إذا أنا على قفاى !

ومن الأحاديث المولدة التى لا تكون وهو مليح فى ذلك قولهم : ناك رجل كلبة فعقدت عليه فلما طال عليـه البلاء رفع رأسه فصادف رجلا يطلع عليه من سطح فقال له الرجل : إضرب جنبها ، فلما ضرب جنبها وتخلص قال : قاتله الله أى نياك كلبات هو !

وكان عندنا قاص أعمى ليس يحفظ من الدنيا إلا حديث جرجيس فلما بكى واحد من النظارة قال القاص : أنتم بأى شىء تبكون ! إنما البلاء علينا معاشر العلماء !

قال : و بكى حول أبى شيبان ولده وهو يريد مكة قال : لا تبكوا يا بنى فإنى أريد أن أضحى عندكم ! وقال أخوه : ولدت فى رأس الهلال للنصف من شهر رمضان ! إحسب أنت الآن هذا كيف شئت ! وقال : تزوجت امرأة مخزومية عمها الحجاج بن الزبير الذى هدم الكعبة ! وقال : ذلك لم يكن أبا إنما كان والداً ! وقال أبو دينار : هو و إن كان أخاً فقد ينبغى أن ينصف !

ومن المجانين : على بن إسحق بن يحيى بن معاذ ، وكان أول ما عرف من جنونه أنه قال : أرى الخطأ قد كثر فى الدنيا والدنيا كلها فى جوف الفلك و إنما نؤتى منه وقد تخاخل وتخرم وتزايل فاعتراه مايعترى الهرماء وإنما هو مجنون فكم يصبر وسأحتال فى الصعود إليه فانى إن بخرته ورندجته وسويته انقلب هذا الخطأ كله إلى الصواب ! وجلس مع بعض متعاقلى فتيان العسكر وجاءهم النخاس بجوار فقال : ليس نحن فى تقويم الأبدان إنما نحن فى تقويم الأعضاء ، ثمن أنف هذه خمسة وعشرون ديناراً وثمن أذنيها ثمانية عشر وثمن عينيها ستة وسبعون وثمن رأسها بلا

شيء من حواسها مائة دينار ! فقال صاحبه المتعاقل : هُهنا باب هو أدخل فى الحكمة من هذا ! كان ينبغى لقدم هذه أن تكون لساق تلك وأصابع تلك أن تكون لقدم هذه ، وكان ينبغى لشفتى تيك أن تكونا لفم تيك وأن تكون حاجباتيك لجبين هذه ! فسمى مقوم الأعضاء .

ومن النوكى : كلاب بن ربيعة ، وهو الذى قتل الخثعمىّ قاتل أبيه دون أخوته ، وهو القائل :

أَلَمْ تَرَنِى ثَأَرْتُ بِشَيْخِ صِدْقٍ وَقَدْ أَخَذَ الإِدَاوَةَ فَاحْتَسَاهَا
ثَأَرْتُ بِشَيْخِهِ شَيْخاً كَرِيماً شِفَاءَ النَّفْسِ إِنْ شَيءٌ شَفَاهَا

ومنهم : نَعَامَةُ وهو بيهس ، وهو الذى قال : مُكْرَهٌ أَخَاكَ لاَ بَطَلٌ . وإياه يعنى الشاعر :

وَمِنْ حَذَرِ الأَيَّامِ مَا حَزَّ أَنْفَهُ قَصِيرٌ وَلاَقَى المَوْتَ بِالسَّيْفِ بَيْهَسُ
نَعَامَةُ لَمَّا صَرَّعَ القَوْمُ رَهْطَهُ تَبَيَّنَ فِى أَثْوَابِهِ كَيْفَ يَلْبَسُ

وقال الحضرمى : أما أنا فأشهد أن تميما أكثر من محارب . وقال حيان البزار : قبح الله الباطل ، ألرطب بالسكر والله طيب .

قال أبو الحسن : سمعت أبا الضمرى الحارثى (١) يقول : كان الحجاج أحمق بنى مدينة واسط فى بادية النبط ثم قال لهم : لا تدخلوها فلما مات دلفوا إليها من قريب . مسعدة بن المبارك قال : قلت للبكراوى : أبامرأتك حمل ؟ قال : شىء ليس بشىء ! قال : بنى عبيد الله بن زياد البيضاء فكتب رجل على باب البيضاء : شىء ونصف شىء ولا شىء ، ألشىء : مهران الترجمان، ونصف الشىء : هند ابنة أسماء، ولا شىء : عبيد الله بن زياد ! فقال عبيد الله : أكتب إلى جنبه : لولا الذى زعمت أنه لا شىء، لما كان ذلك الشىء شيأ ولا ذلك النصف نصفا .

وقال هشام بن عبد الملك يوما فى مجلسه : يُعرف حمق الرجل بخصال : بطول

(١) كان بالاصول : الصغدى . وقد مضت هذه الحكاية فى ص ٢٢٦ من الجزء الاول

لحيته وشناعة كنيته و بشهوته ونقش خاتمه ! فأقبل رجل طويل الحية فقال: هذه واحدة ، ثم سأله عن كنيته فاذا هى شنعاء ، فقال : هاتان ثنتان . ثم قال : وأى نبى، أشهى إليك ؟ قال : رمانة مصاصة ! قال : أمصك الله بظر أمك . وقيل لأبى القمقام لم لا تغزو أو تخرج إلى المَصِيصَةِ ؟ قال: أمصنى الله إذاً ببظر أمى . وقالوا لأبى الاصبع بن ربعى : أما تسمع بالعدو وما يصنعون فى البحر فلم لا تخرج إلى قتال العدو ؟ قال : أنا لا أعرفهم ولا يعرفونى فكيف صاروا لى أعداء ؟ قال : كان الوليد بن القعقاع عاملا على بعض الشام وكان يستسقى فى كل خطبة وإن كان فى أيام الشعرى ، فقام إليه شيخ من أهل حمص فقال : أصلح الله الأمير ، إذاً تفسد القَطَانِى ! يعنى الحبوب واحدها قُطْنِيَّة .

وأما نفيس غلامى فإنه كان إذا صار إلى فراشه فى كل ليلة فى سائر السنة يقول فى دعائه : ألاهم حوالينا ولا علينا .

قل : وكان بالرقة رجل يحدث الناس عن بنى اسرائيل وكان يكنى أبا عقيل ، فقال له الحجاج بن حنتمة : ما كان اسم بقرة بنى إسرائيل قال : حنتمة ! فقال له رجل من ولد أبى موسى : فى أى الكتب وجدت هذا ؟ قال : فى كتاب عمرو بن العاص ! ؟

ومن اللحانين الاشراف : ابن ضحيان الأزدى ، وكان يقرأ : قل يا أيها الكافرين ، فقيل له فى ذلك ، فقال : قد عرفت القراءة فى ذلك ، ولكنى لا أجل أمر الكفرة . ! وقال حبيب بن أوس :(١)

مَا وَلَدَتْ حَوَّاء أَحْمَق لِحيَةً   مِنْ سَائِلٍ يَرْجُو الغِنَى مِن سَائِلِ(٢)

وقال أيضا :(٣)

(١) يهجو موسى بن ابراهيم الرافقى
(٢) فى الديوان : ما خلفت حواء
(٣) يهجو يوسف السراج الشاعر المصرى

أَيُوسُفُ جِئْتَ بِالْعَجَبِ الْعَجِيبِ ... تَرَكْتَ النَّاسَ فِي شَكٍّ مُرِيبِ (١)
سَمِعْتُ بِكُلِّ دَاهِيَةٍ نَآدٍ ... وَلَمْ أَسْمَعْ بِسَرَّاجٍ أَدِيبِ
أَمَا لَوْ أَنَّ جَهْلَكَ عَادَ عِلْماً ... إِذاً لَنَفَذْتَ فِي عِلْمِ الْغُيُوبِ
وَمَا لَكَ بِالْغَرِيبِ يَدٌ وَلٰكِنْ ... تَعَاطِيكَ الْغَرِيبَ مِنَ الْغَرِيبِ

وأنشدوا :

أَرَى زَمَناً نَوْكَاهُ أَسْعَدُ أَهْلِهِ ... وَلٰكِنَّمَا يَشْقَى بِهِ كُلُّ عَاقِلِ
مَشَى فَوْقَهُ رِجْلاَهُ وَالرَّأْسُ تَحْتَهُ ... فَكَبَّ الأَعَالِي بِارْتِفَاعِ الأَسَافِلِ

وهذه أبيات كتبناها في غير هذا المكان من هذا الكتاب ، ولكن هذا المكان أولى بها . وقال الشاعر :

وَلِلدَّهْرِ أَيَّامٌ فَكُنْ فِي لِبَاسِهَا ... كَلِبْسَتِهِ يَوْماً أَجَدَّ وَأَخْلَقَا
وَكُنْ أَكْيَسَ الْكَيْسَى إِذَا كُنْتَ فِيهِمُ ... وَإِنْ كُنْتَ فِي الْحَمْقَى فَكُنْ أَنْتَ أَحْمَقَا

وقال الآخر :

وَأَنْزَلَنِي طُولُ النَّوَى دَارَ غُرْبَةٍ ... إِذَا شِئْتُ لاَقَيْتُ الَّذِي لاَ أُشَاكِلُهْ
فَحَامَقْتُهُ حَتَّى يُقَالَ سَجِيَّةٌ ... وَلَوْ كَانَ ذَا عَقْلٍ لَكُنْتُ أُعَاقِلُهْ

وَقال أَبُو العَتَاهِيَة :

مَنْ سَابَقَ الدَّهْرَ كَبَا كَبْوَةً ... لَمْ يَسْتَقِلْهَا مِنْ خُطَى الدَّهْرِ
فَاخْطُ مَعَ الدَّهْرِ عَلَى مَا خَطَا ... وَاجْرِ مَعَ الدَّهْرِ كَمَا يَجْرِي
لَيْسَ لِمَا لَيْسَتْ لَهُ حِيلَةٌ ... مَوْجُودَةٌ خَيْرٌ مِنَ الصَّبْرِ

وَقال بِشْرُ بْنُ الْمُعْتَمِرِ :

حِيلَةُ مَا لَيْسَتْ لَهُ حِيلَةٌ ... حُسْنُ عَزَاءِ النَّفْسِ وَالصَّبْرِ

وقالَ صالحُ بْنُ عَبدِ القُدُّوسِ :

(١) في الديوان : تركت الناس في امر مريب

وَإِنَّ عَنَاءً أَنْ تُفَهِّمَ جَاهِلاً ... وَيَحْسَبُ جَهْلاً أَنَّهُ مِنْكَ أَفْهَمُ
مَتَى يَبْلُغُ الْبُنْيَانُ يَوْماً تَمَامَهُ ... إِذَا كُنْتَ تَبْنِيهِ وَآخَرُ يَهْدِمُ

وقال بِشْرُ بنُ الْمُعْتَمِرِ :

وإذا الْغَبِيُّ رَأَيْتَهُ مُسْتَغْنِياً ... أَعْيَا الطَّبِيبَ وَحِيلَةَ الْمُحْتَالِ

ومن المجانين : مهدى بن الملوح الجعدى وهو مجنون بنى جعدة ، وبنو المجنون قبيل من قبائل بنى جعدة ، وهو غير هذا المجنون ، وأما مجنون بنى عامر وبنى عقيل ، فهو : قيس بن معاذ ، وهو الذى يقال له : مجنون بنى عامر ، وهما شاعران ، قيل ذلك لهما لتجننهما بعشيقتين كانتا لهما ، ولهما أشعار معروفة .

رأى فيما كان يروى

وقد أدركت رواة المسجديين والمربديين ، ومن لم يرو أشعار المجانين ولصوص الأعراب ونسيب الأعراب والأرجاز الأعرابية القصار وأشعار اليهود والأشعار المنصفة فانهم كانوا لا يعدونه من الرواة ، ثم استبردوا ذلك كله ووقفوا على قصار الأحاديث والقصائد والفقر والنتف من كل شىء ، ولقد شهدتهم وما هم على شىء أحرص منهم على نسيب العباس بن الأحنف فما هو إلا أن أورد عليهم خلف الأحمر نسيب الأعراب فصار زهدهم فى نسيب العباس بقدر رغبتهم فى نسيب الأعراب ، ثم رأيتهم منذ سُنيات وما يروي عندهم نسيب الأعراب إلا حدث السن قد ابتدأ فى طلب الشعر أو فتيانى متغزل.

وقد جلست إلى أبى عبيدة والأصمعى ويحيى بن نجيم وأبى مالك عمرو بن كِرْكِرَةَ [1] مع من جالست من رواة البغداديين فما رأيت أحداً منهم قصد إلى

(١) كان ابو مالك عمرو بن كركرة اعرابيا يعلم فى البادية ويورق في البصرة وكان مولي بنى سعد ، وكان ابو البيداء زوج امه فكان هو راوية ابى البيداء ، وكان بصرى المذهب ، قال الجاحظ : كان احد الطياب يزعم ان الاغنياء عند الله اكرم من الفقراء وان فرعون عند الله اكرم من موسى ..؟!

شعر فى النسيب فأنشده ، وكان خلف يجمع ذلك كله ، ولم أر غاية النحويين إلا كل شعر فيه إعراب ، ولم أر غاية رواة الأشعار إلا كل شعر فيه غريب أو معنى صعب يحتاج إلى الاستخراج ، ولم أر غاية رواة الأخبار إلا كل شعر فيه الشاهد والمثل ، ورأيت عامتهم — فقد طالت مشاهدتى لهم — لا يقفون إلا على الألفاظ المتخيرة والمعانى المنتخبة وعلى الألفاظ العذبة والمخارج السهلة والديباجة الكريمة ، وعلى الطبع المتمكن وعلى السبك الجيد وعلى كل كلام له ماء ورونق وعلى المعانى التى إذا صارت فى الصدور عمرتها وأصلحتها من الفساد القديم وفتحت للسان باب البلاغة ودلت الأقلام على مدافن الألفاظ وأشارت إلى حسان المعانى، ورأيت البصر بهذا الجوهر من الكلام فى رواة الكتاب أعم وعلى ألسنة حذاق الشعراء أظهر ، ولقد رأيت أبا عمرو الشيبانى يكتب أشعاراً من أفواه جلسائه ليدخلها فى باب التحفظ والتذاكر ، وربما خيل إلى أن أبناء أولئك الشعراء لا يستطيعون أبدا أن يقولوا شعراً جيداً لمكان إغراقهم فى أولئك الآباء، ولولا أن أكون عياباً ثم للعلماء خاصة لصورت لك فى هذا الكتاب بعض ما سمعت من أبى عبيدة ومن هو أبعد فى وهمك من أبى عبيدة ؟

قال ابنُ المبارك : كان عندنا رجل يكنى أبا خارجة ، فقلت له : لم كنوك أبا خارجة ؟ قال : لأنى ولدت يوم دخل سليمان بن على البصرة ! وكان عندنا شيخ حارس من علوج الجبل وكان يكنى أبا خُزيمة فقلت لأصحابنا : هل لكم فى مسألة هذا الحارس عن سبب كنيته فلعل الله يفيد من هذا الشيخ علما وإن كان فى ظاهر الرأى غير مأمول ولا مُطمع ؟ وهذه الكنية كنية زُرارة بن عدس وكنية خازم بن خُزيمة وكنية حَمزة بن أدرك وكنية فلان وفلان وكل هؤلاء إما قائد متبوع وإما سيد مطاع ، ومن أين وقع هذا العلج الألكن على هذه الكنية ! فدعوته فقلت له : هذه الكنية كناك بها إنسان أو كنيت بها نفسك ؟ قال : لا ولكنى كنيت بها نفسى ! قلت : فلم أخترتها على غيرها ؟ قال : وما يدرينى ! قلت:

ألك ابن يسمى خزيمة ؟ قال : لا ، قلت : أفكان أبوك أو عمك أو مولى لك يسمى خُزيمة ؟ قال : لا ، قلت : فاترك هذه الكنية وا كتن بأحسن منها وخذ منى ديناراً ! قال : لا والله ولا بجميع الدنيا ..؟ أعطى المحلول إبنه درهما وقال : زِنْهُ ؟ فطرح و زن درهمين وهو يحسبه وزن درهم ، فلما رأى الدرهم قد شال وضع معه وزن درهم ، فلما رفعه وجده شائلا فألقى معه حبتين ، فقال له أبوه : كم فيه ؟ قال : ليس فيه شىء ؟ وهو ينقص حبتين . ! وكان عندنا قاص يقال له أبو موسى كوش فأخذ يوما فى ذكر قصر الدنيا وطول أيام الآخرة وتصغير شأن الدنيا وتعظيم شأن الآخرة فقال : إن الذى عاش خمسين سنة لم يعش شيأ وعليه فضل سنتين ! قالوا : وكيف ذاك ؟ قال : خمساً وعشرين سنة ليل هو فيها لا يعقل قليلا ولا كثيراً ، وخمس سنين قائلة ، وعشرين سنة إما أن يكون صبيا وإما أن يكون معه سكر الشباب فهو لا يعقل ، ولابد من صَبْحَةٍ بالغداة ونعسة بين المغرب والعشاء وكالغشى الذى يصيب الإنسان مراراً فى دهره وغير ذلك من الآفات ، فإذا حصلنا ذلك فقد صح أن الذى عاش خمسين سنة لم يعش شيأ وعليه فضل سنتين . ! وقال بعض الهلاك : دخل فلان على كسرى فقال : أصلحك الله ما الأمر فى كذا كذا . ؟ قال رجل من وجوه أهل البصرة : حدثت حادثة أيام الفرس فنادى كسرى : ألصلاة جامعة . ! ؟

وقلت لغلامى نفيس : بعثتك إلى السوق فى حوائج فاشتريت مالم آمرك به وتركت كل ما أمرتك به ! قال : يامولاى ، أنا ناقة وليس فى ركبتى دماغ ! وقال نفيس لغلام لى : ألناس ويلك أنت حياء كلهم أقل ؟ يريد أنت أقل الناس كلهم حياء . وقلت لقيس بن بريهة : هذا الصبى فى أى شىء أسلموه ؟ قال : فى أصحاب سند نعال . يريد فى أصحاب النعال السندية .

تأويل حديث

روى الأصمعىُّ وابنُ الأعرابى عن رجالهما أن رسول الله صلى الله عليه وسَلم قال : « إنَّا مَعشَرَ الأَنْبِيَاءِ بِكاءٌ » فقال ناس : ألبكءُ القلة ، وأصل ذلك من اللبن ،

فقد جعل صفة الأنبياء قلة الكلام ولم يجعله من إيثار الصمت ومن التحصيل وقلة الفضول، قلنا : ليس فى ظاهر هذا الكلام دليل على أن القلة من عجز فى الخلقة، وقد يحتمل ظاهر الكلام الوجهين جميعا وقد يكون القليل من اللفظ يأتى على الكثير من المعانى ، والقلة تكون من وجهين أحدهما من جهة التحصيل والإشفاق من التكلف وعلى تصديق ذلك قوله تعالى « قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ » وعلى البعد من الصنعة ومن شدة المحاسبة وحصر النفس حتى يصير بالتمرين والتوطين إلى عادة تناسب الطبيعة ، وتكون من جهة العجز ونقصان الآلة وقلة الخواطر وسوء الاهتداء إلى جياد المعانى والجهل بمحاسن الألفاظ، ألا ترى أن الله قد استجاب لموسى عليه السلام حين قال : « وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي وَاجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي هَٰرُونَ أَخِي اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيراً وَنَذْكُرَكَ كَثِيراً إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيراً قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَامُوسَى وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى »

فلو كانت تلك القلة من عجز كان النبى صلى الله عليه وسلم أحق بمسألة إطلاق تلك العقدة من موسى، لأن العرب أشد فخاراً ببيانها وطول ألسنتها وتصريف كلامها وشدة اقتدارها، وعلى حسب ذلك كانت زرايتها على كل من قصر عن ذلك التمام ونقص من ذلك الكمال ، وقد شاهدوا النبى صلى الله عليه وسلم وخطبه الطوال فى المواسم الكبار ولم يُطل التماساً للطول ولا رغبة فى القدرة على الكثير ولكن المعانى إذا كثرت والوجوه إذا أفتنت كثر عدد اللفظ وإن حذفت فضوله بغاية الحذف، ولم يكن الله ليعطى موسى لتمام إبلاغه شيأ لا يعطيه محمداً والذين بُعث فيهم أكثر مايعتمدون عليه البيان واللسن ، وإنما قلنا هذا لنحسم جميع وجوه الشغب لا أن أحداً من أعدائه شاهد هناك طرفا من العجز ! ولو كان ذلك مرئيا ومسموعا لاحتجوا به فى الملا ولتناجوا به فى الخلا ولتكلم به خطيبهم ولقال فيه شاعرهم، فقد عرف الناس كثرة خطبائهم وتسرع شعرائهم .

هذا على أننا لاندرى أقال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم أم لم يقله لأن مثل هذه الأخبار يحتاج فيها إلى الخبر المكشوف والحديث المعروف ولكنا بفضل الثقة وظهور الحجة نجيب بمثل هذا وشبهه .

وقد علمنا أن من يقرض الشعر ويتكلف الأسجاع ويؤلف المزدوج ويتقدم فى تحبير المنثور وقد تعمق فى المعانى وتكلف إقامة الوزن والذى تجود به الطبيعة وتعطيه النفس سهوا رهوا مع قلة لفظه وعدد هجائه أحمد أمراً وأحسن موقعاً من القلوب وأنفع للمستمعين من كثير خرج بالكد والعلاج ، ولأن التقدم فيه وجمع النفس له وحصر الفكر عليه لايكون إلا ممن يحب السمعة ويهوى الْفَلَجَ والاستطالة ، وليس بين حال المتنافسين وبين حال المتحاسدين إلا حجاب رقيق وحجاز ضعيف ، والانبياء ممدوحة من هذه الصفة وفى ضد هذه الشيمة .

وقال عامر بن عبد قيس : الكلمة إذا خرجت من القلب وقعت فى القلب وإذا خرجت من اللسان لم تجاوز الآذان . وتكلم رجل عند الحسن بمواعظ جمة ومعان تدعو إلى الرقة فلم يُرَ الحسن رق فقال الحسن : إما أن يكون بنا شر أو بك! يذهب إلى أن المستمع يرق على قدر رقة القائل .

والدليل الواضح والشاهد القاطع قول النبى صلى الله عليه وسلم : « نُصِرْتُ بِالصَّبَا وَأُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ » وهو القليل الجامع للكثير ، وقال الله تعالى وقوله الحق « وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ » ثم قال « وَمَا يَنْبَغِى لَهُ » ثم قال « أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ » فعم ولم يخص وأطلق ولم يقيد ، فمن الخصال التى ذمهم بها تكلف الصنعة والخروج إلى المباهاة والتشاغل عن كثير من الطاعة ومناسبة أصحاب التشديق ، ومن كان كذلك كان أشد افتقاراً إلى السامع من السامع إليه لشغفه أن يذكر فى البلغاء وصبابته باللحاق بالشعراء ، ومن كان كذلك غلبت عليه المنافسة والمغالبة وولد ذلك فى قلبه شدة الحمية وحب المحاربة . ومن سخف هذا السخف وغلب الشيطان عليه هذه الغلبة كانت حالة داعية إلى قول

الزور والفخر بالكذب وصرف الرغبة إلى الناس والإفراط فى مديح من أعطاه وذم من منعه ، فنزه الله رسوله ولم يعلمه الكتاب والحساب ولم يرغبه فى صنعة الكلام والتقيد لطلب الألفاظ والتكلف لاستخراج المعانى فجمع له باله كله فى الدعاء إلى الله والصبر عليه والمجاهدة فيه والانبتات إليه والميل إلى كل ما يقرب منه ، فأعطاه الاخلاص الذى لا يشو به رياء واليقين الذى لا يعتوره شك والعزم المتمكن والقوة الفاضلة ، فاذا رأت مكانه الشعراء وفهمته الخطباء ومن قد تعبد للمعانى وتعود نظمها وتنضيدها وتأليفها وتنسيقها واستخراجها من مدافنها و إثارتها من أماكنها علموا أنهم لا يبلغون بجميع ما معهم مما قد استفرغهم واستغرق مجهودهم و بكثير ما قد خولوه قليلا مما يكون معه على البداهة والفجاءة من غير تقدم فى طلبه واختلاف إلى أهله .

وكانوا مع تلك المقامات والسياسات ومع تلك الكلف والرياضات لا ينفكون فى بعض المقامات من بعض الاستكراه والزلل ومن بعض التعقيد والخطل ومن التفنن والانتشار ومن التشديق والإكثار ، ورأوه مع ذلك يقول : « إياى والتشادق وأبغضكم إلى الثرثارون المتفيهقون » ثم رأوه فى جميع دهره غاية فى التسديد والصواب التام والعصمة الفاضلة والتأييد الكريم وعلموا أن ذلك من ثمرة الحكمة ونتاج التوفيق وأن تلك الحكمة من ثمرة التقوى ونتاج الاخلاص .

وللسلف الطيب حكم وخطب كثيرة صحيحة ومدخولة لا يخفى شأنها على نقاد الألفاظ وجهابذة المعانى متميزة عند الرواة الخاص وما بلغنا عن أحد من جميع الناس أن أحداً ولد لرسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة واحدة .

فهذا وما قبله حجة فى تأويل ذلك الحديث إن كان حقاً .

وفى كتاب الله المنزل أن الله تبارك وتعالى جعل منيحة داود الحكمة وفصل الخطاب كما أعطاه إلانة الحديد ، وفى الحديث المأثور والخبر المشهور أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « شعيب خطيب الأنبياء وعلم الله سليمان منطق الطير

وكلام النمل ولغات الجن » فلم يكن عز وجل ليعطيه ذلك ثم يبتليه فى نفسه و بيانه عن جميع شأنه بالقلة وَالْمَعْجَزَةِ ثم لا تكون تلك القلة إلا على الإيثار منه للقلة فى موضعها وعلى البعد من استعمال التكلف ومناسبة أهل الصنعة والمشغوفين بالسمعة، وهذا لا يجوز على الله عز وجل ، فان كان الذى رويتم من قوله : « إنا معشر الأنبياء بكاء » على ما تأولتم ذلك أن لفظ الحديث عام فى جميع الأنبياء ، فالذى ذكرنا من حال داود وسليمان عليهما السلام وحال شعيب والنبي صلى الله عليه وسلم دليل على بطلان تأويلكم ورد لعموم لفظ الحديث .

وهذه جملة كافية لمن كان يريد الانصاف .

تعليل أمية النبي صلى الله عليه وسلم

وكان شيخ من البصريين يقول : إن الله إنما جعل نبيه أميا لا يكتب ولا يحسب ولا ينسب ولا يقرض الشعر ولا يتكلف الخطابة ولا يتعمد البلاغة لينفرد الله بتعليمه الفقه وأحكام الشريعة ويقصره على معرفة مصالح الدين دون ما تتباهى به العرب من قيافة الأثر وعيافة الطير ومن العلم بالأنواء وبالخيل وبالأنساب وبالأخبار وتكلف قول الأشعار ليكون إذا جاء بالقرآن الحكيم وتكلم بالكلام العجيب كان ذلك أدل على أنه من الله ، و زعم أن الله تعالى لم يمنعه معرفة آدابهم وأخبارهم وأشعارهم ليكون أنقص حظا من الحاسب والكاتب ومن الخطيب والناسب ولكن ليجعله نبيا وليتولى أمر تعليمه بما هو أزكى وأنمى ، فإنما نقصه ليزيده ومنعه ليعطيه وحجبه عن القليل ليجلى له الكثير .

رد هذا التعليل وإيراد تعليل آخر

وقد أخطأ هذا الشيخ ولم يرد إلا الخير ، وقال بمبلغ علمه ومنتهى رأيه ، ولو زعم أن أداة الحساب والكتابة وأداة قرض الشعر وجمع النسب قد كانت فيه

تامة وافرة مجتمعة كاملة ولكنه صلى الله عليه وسلم صرف تلك القوى وتلك الإستطاعة إلى ماهو أزكى بالنبوة وأشبه بمرتبة الرسالة، وكان إذا احتاج إلى البلاغة كان أبلغ البلغاء وإذا احتاج إلى الخطابة كان أخطب الخطباء وأنسب من كل ناسب وأقوف من كل قائف، ولو كان فى ظاهره والمعروف من شأنه أنه كاتب حاسب وشاعر ناسب ومتفرس قائف ثم أعطاه الله برهانات الرسالة وعلامات النبوة لما كان ذلك مانعاً من وجوب تصديقه ولزوم طاعته والانقياد لأمره على سخطهم ورضاهم ومكروههم ومحبوبهم، ولكنه أراد أن لا يكون للشاعر متعلق عما دعا إليه حتى لا يكون دون المعرفة بحقه حجاب وإن رق، وليكون ذلك أخف فى المؤنة وأسهل فى المحنة، فلذلك صرف نفسه عن الأمور التى كانوا يتكلفونها ويتنافسون فيها، فلما طال هجرانه لقرض الشعر وروايته صار لسانه لا ينطق به، والعادة توأم الطبيعه، فأما فى غير ذلك فانه إذا شاء كان أنطق من كل منطيق وأنسب من كل ناسب وأقوف من كل قائف وكانت آلته أوفر وأداته أكمل إلا أنها كانت مصروفة إلى ماهو أرد، وبين أن يضيف إليه العادة الحسنة وامتناع الشىء عليه من طول الهجران له فرق.

ومن العجب أن صاحب هذه المقالة لم يره عليه السلام فى حال معجزة قط، بل لم يره إلا وهو إن أطال الكلام قصر عنه كل مطيل وإن قصر القول أتى على غاية كل خطيب، وما عدم منه إلا الخط وإقامة الشعر، فكيف ذهب ذلك المذهب والظاهر من أمره عليه السلام غير ماتوهم!؟

تفضيل الشعر ومداراة البليغ

وسنذكر بعض ماجاء فى تفضيل الشعر والخوف منه ومن اللسان البليغ والمداراة له وما أشبه ذلك.

قال أبو عبيدة: إجتمع ثلاثة من بنى سعد يراجزون بنى جعدة، فقيل لشيخ من بنى سعد: ماعندك؟ قال أرجز بهم يوما إلى الليل لا أفثج [1]. وقيل للآخر:

(١) لا افثج: لا اعيا ولا اصاب بالبهر

ما عندك ؟ قال : أرجز بهم يوماً إلى الليل لا أنكف . فقيل للثالث : ما عندك ؟ قال : أرجز بهم يوماً إلى الليل لا أنكش ، فلما سمعت بنو جعدة كلامهم انصرفوا وخلوهم . قال و بنوضرار أحد بنى ثعلبة بن سعد لما مات أبوهم وترك الثلاثة الشعراء صبيانا وهم : شَمَّاخٌ ومُزَرِّدٌ وجَزْءٌ أرادت أمهم وهى أم أوس أن تتزوج رجلا يسمى أوساً ، وكان أوس هذا شاعراً فلما رأوه بنو ضرار بفناء أمهم للخطبة تناول شماخ حبل الدلو ثم متح وهو يقول :

أُمُّ أُوَيْسٍ نَكَحَتْ أُوَيْسَا

وجاء مزَرِّدٌ فتناولَ الحبل فقال :

أَعْجَبَها حَذَارَةً وَ كَيْسَا

وجاء جزءٌ فتناول الحبل فقال :

أَصْدَقَ مِنها لَجَبَةً وَتَيْسَا

فلما سمع أويس رجز الصبيان بها هرب وتركها .

قال أبو عبيده : كان الرجل من بنى نُمير إذا قيل له : ممن الرجل ؟ قال . نُميرى ، كما ترى ، فما هو إلا أن قال جَرِيرٌ :

فَغُضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ فَلَا كَعْبًا بلغْتَ وَلَا كِلابَا

فصار الرجل من بنى نمير إذا قيل له : ممن الرجل ؟ قال : من بنى عامر ! قال : فعند ذلك قال الشاعر يهجو قوماً آخرين :

وَسَوْفَ يَزِيدُكُمْ ضَعَةً هِجائى كما وَضَعَ الهِجاءُ بَنِى نُمَيْرٍ

فلما هجاهم أبو الردينى العكلى فتوعدوه بالقتل قال [أبو] الردينى :

أَتُوعِدُنِى لِتَقْتُلَنِى نُمَيْرٌ مَتَى قَتَلَتْ نُمَيْرٌ مَنْ هَجاهَا .!؟

فشد عليه رجل منهم فقتله . وما علمت فى العرب قبيلة لقيت من جميع ماهجيت به مالقيت نمير من بيت جرير ، و يزعمون أن امرأة مرت بمجلس من مجالس بنى نمير فتأملها ناس منهم فقالت : يابنى نمير ، لاقول الله سمعتم ولا قول الشاعر أطعتم ! قال الله تعالى « قُلْ لِلمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ » وقال الشاعر :

فَغُضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ فَلَا كَعْبًا بَلَغْتَ وَلا كِلابَا

وأخلق بهذا الحديث أن يكون مولداً ولقد أحسن من ولده . وفى نمير شرف كثير. وهل أهلك عَنزَةَ وَجَرْماً وعُكْلاً وسلول وَباهِلَةَ وَغَنِياً إلا الهجاء ؟ وهذه قبائل فيها فضل كثير وبعض النقص ، فمحق ذلك الفضل كله هجاء الشعراء ، وهل فضح الحَبَطاتِ مع شرف حسكة بن عَتَّاب وعبَّاد بن الحصين وولده إلا قول الشاعر:

رَأيتُ الحُمْرَ مِن شَرِّ المَطَايا ... كَما الحَبَطاتُ شَرُّ بَنى تَميمِ

وهل أهلك ظُلَيمُ البَراجِمِ إلا قول الشاعر :

إنَّ أبانَا فَقْحَةٌ لِدارِمِ ... كَما الظُّلَيمُ فَقْحَةُ البَراجِمِ ؟

وهل أهلك بنى العجلان إلا قول الشاعر :

إذا اللهُ عادَى أهْلَ لُؤْمٍ وَدِقَّةٍ ... فعادَى بنى العَجْلانِ رَهْطَ ابْنِ مُقْبِلِ

قُبَيِّلَةٌ لاَ يَغْدِرُونَ بِذِمَّةٍ ... وَلا يظلِمُونَ النَّاسَ حَبَّةَ خَرْدَلِ

وَلا يَرِدُونَ الماءَ إلاَّ عَشِيَّةً ... إذا صَدَرَ الوُرَّادُ عن كلِّ مَنْهَلِ

وأما قول الأخْطَلِ :

وَقَدْ سَرَّنى مِن قَيْسِ عَيْلانَ أنَّنِى ... رَأيتُ بَنى العَجْلانِ سادُوا بَنى بَدْرِ

فان هذا البيت لم ينفع بنى العجلان ولم يضر بنى بدر .

قال أبو عبيدة : كان الرجل من بنى أنف الناقة إذا قيل له : ممن الرجل ؟ قال : من بنى قُرَيْعٍ ، فما هو إلا أن قال الحُطَيئَةُ :

قَوْمٌ هُمُ الأنفُ وَالأذْنابُ غَيْرُهُمُ ... وَمَنْ يُساوِى بأنْفِ النَّاقَةِ الذَّنَبا

فصار الرجل منهم إذا قيل له : ممن أنت ؟ قال : من بنى أنف الناقة .

وناس سلموا من الهجاء بالخمول والقلة ، كما سلمت غَسَّانُ وَغَيلانُ من قبائل عمرو بن تميم ، وابتليت الحَبَطاتُ لأنها أنبه ، والنباهة التى لا يضر معها الهجاء مثل نباهة بنى بدر و بنى فزارة ، ومثل نباهة بنى عُدس بن زيد وبنى عبد الله ابن دارم ، ومثل نباهة الديان بن عبد المدان وبنى الحارث بن كعب ، فليس يسلم من

مضرة الهجاء، إلا خامل جداً أو نبيه جدا، وقد هُجيت فزارة بأكل أير الحمار وبكثرة شعر القفا لقول الحارث بن ظالم :

فما قومي بثعلبة بن سعدٍ ... ولا بفزارةَ الشُّعرِ الرِّقابِ

ثم افتخر مفتخرهم بذلك ومدحهم به الشاعر فقال مُزَرِّدُ بنُ ضِرارٍ :

مَنيعٌ بينَ ثعلبةَ بن سعدٍ ... وبينَ فزارةَ الشُّعرِ الرِّقابِ

فأمَنْ كانَ بينكما بنِكسٍ ... لعمرُكَ في الخطوبِ ولا بِكابِ

وأما قصة أير الحمار فانما اللوم على المطعم لرفيقه ما لا يعرفه، فهل كان على الفزارى فى حق الأنفة أكثر من قتل من أطعمه الجوفان من حيث لا يدرى ؟ فقد هجوا بذلك وشرفهم وافر، وقد هُجيت الحارث بن كعب وكتب الهيثم بن عدى فيهم كتابا فما ضعضع ذلك منهم حتى كأنه قد كتبه لهم .

ولولا الربيع بن خيثم وسفيان الثورى ماعلم الناس أن فى الرّباب حيا يقال لهم بنو ثور . وفى عُكل شعر وفصاحة وخيل معروفة الأنساب وفرسان فى الجاهلية والاسلام، وزعم يونس أن عكلا أحسن العرب وجوها فى غب حرب . وقال بعض فتاك بنى تميم :

خليلي الفتى العُكليُّ لم أرَ مثلَهُ ... تحلَّبُ كفاهُ ندى شائعَ القدْرُ

كأنَّ سُهيلاً حينَ أوقدَ نارَهُ ... بعلياءَ لا يخفى على أحدٍ يسْري

ولم أكتب هذا الشعر ليكون شاهداً على مقدار حظهم فى الشرف ولكن لنضمه الى قول جِرانِ العوْد :

أراقبُ لمحاً من سُهيلٍ كأنَّهُ ... إذا مابدا مِن آخرِ الَّليلِ يطرف

وربما أتيت القبيلة إذا برزت عليها أخوتها كنحو فُقَيمِ بنِ جريرِ بنِ دارِمٍ وزيد بن عبد الله بن دارم، وكنحو الحِرْمازِ ومازن، ولذلك يقال : إن أصلح الأمور لمن تكلف علم الطب أن لا يحسن منه شيئاً أو يكون من الحذاق المتطبيين

فإنه إذا أحسن منه شيأ ولم يبلغ فيه المبالغ هلك وأهلك أهله ، وكذلك العلم بصناعة الكلام وليس كذلك سائر الصناعات ، فليس يضر من أحسن باب الفاعل والمفعول به وباب الاضافة وباب المعرفة والنكرة أن يكون جاهلا بسائر أبواب النحو ، وكذلك من نظر فى علم الفرائض ، فليس يضر من أحكم باب الصُّلب أن يجهل باب الجد ، وكذلك الحساب ، وهذا كثير .

وذكروا أن حَزْنَ بنَ الحْرِثِ أحد بنى العنبر ولد محجناً ، فولد محجن شعيث ابن سهم ، فأغير على إبله فأتى أوسَ بنَ حجر يستنجده فقال له أوس : أو خير من ذلك ، أحضض لك قيس بن عاصم ؟! وكان يقال أن حزن بن الحارث هو حزن بن منقر ، فقال أوس :

سَائِلْ بها مَوْلاكَ قَيْسَ بْنَ عَاصِمٍ ... فمَوْلاكَ مَوْلَى السُّوءِ إنْ لم تُغَيِّرِ
لَعَمْرُكَ ما أدْرِى أمِنْ حَزْنِ مِحْجَنٍ ... شُعَيْثُ بن سُهْمٍ أمْ لِحَزْنِ بن منقِرِ
فمَا أنتَ بالمَوْلَى المُضَيِّعِ حقَّهُ ... وَمَا أنتَ بالجارِ الضَّعِيفِ المُسَتَّرِ

فسعى قيس فى إبله حتى ردها عن آخرها . وقال الآخر :

أَلْهَى بَنِى تَغلبٍ عَنْ كلِّ مَكْرُمَةٍ ... قَصِيدَةٌ قالَهَا عَمْرُو بنُ كُلْثُومِ

ومما يدل على قدر الشعر عندهم بُكاء سيد بنى مازن مُخارقِ بن شهابٍ حين أتاه محمد بن المُكَعْبَرِ العَنْبَرِىُّ الشاعر فقال : إن بنى يربوع قد أغاروا على إبلى فاسعَ لى فيها ؟ فقال : وكيف وأنت جار وَرْدَانِ بنِ مَخْرَمَةَ ؟ فلما ولى عنه محمد محزوناً بكى مخارق حتى بل لحيته فقالت له ابنته ما يبكيك ؟ فقال : وكيف لا أبكى واستغاثنى شاعر من شعراء العرب فلم أغثه ؟ والله لئن هجانى ليَفضَحَنِّى قوله ولئن كف عنى ليقتلنى شكره ، ثم نهض فصاح فى بنى مازن فردت عليه إبله . وذكر وَرْدَانَ الذى كان أخفره فقال :

أَقُولُ وَقد بَزَّتْ بتعْشَار بَزَّةٍ ... لِوَرْدَانَ جِدَّ الآنَ فيها أو الْعَبِ
فعَضَّ الذى أبقَى المَوَاسِى مِن آمِّهِ ... خَفيرٌ رَآهَا لم يُشَمِّرْ وَيَغْضَبِ

إذا نَزَلَتْ وَسْطَ الرِّبَابِ وَحَوْلَهَا إذَا حُصِّنَتْ أَلْفَا سِنَانٍ مُجَرَّبُ
حَمَيْتَ خزاعياً وأَفْنَاء مَازِنٍ وَوَرْدَانَ يَحْمِي عَنْ عَدِيِّ بنِ جُنْدَبِ
سَتَعْرِفُهَا وُلْدَانُ ضَبَّةَ كُلُّهَا بأَعْيَانِهَا مَرْدُودَةً لَم تُغَيَّبِ

قال : وفد رجل من بنى مازن على النعمان بن المنذر فقال له النعمان : كيف مخارقُ بنُ شِهابٍ فيكم ؟ قال : سيد كريم ، وحسبك من رجل يمدح نفسه ويهجو ابن عمه ! ذهب إلى قوله :

تَرَى ضَيْفَهَا فيها يَبِيتُ بِغِبْطَةٍ وَجَارُ ابْنِ قَيْسٍ جَائِعٌ يَتَحَوَّبُ

قال : ومن قدر الشعر وموقعه فى النفع والضر أن لَيلَى بِنْتَ النضرِ بنِ الحرْثِ ابنِ كَلَدَةَ لما عرضت للنبى صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالبيت واستوقفته وجذبت رداءه حتى انكشفت منكبه وأنشدته شعرها بعد مقتل أبيها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كنت سمعت شعرها هذا ما قتلته ! والشعر :(١)

يَا رَاكِباً إنَّ الأُثَيلَ مَظِنَّةٌ مِنْ صُبْحِ خامسةٍ وأَنْتَ مُوَفَّقُ
أَبْلِغْ بِهَا مَيْتاً بأَنَّ قَصِيدَةً مَا إن تَزَالُ بِهَا الرَّكَائِبُ تَخْفِقُ(٢)
فَلْيَسْمَعَنَّ النَّضْرُ إنْ نَادَيْتُهُ إنْ كانَ يَسْمَعُ مَيِّتٌ لَا يَنْطِقُ(٣)
ظَلَّتْ سُيُوفُ بَنِي أَبِيهِ تَنُوشُهُ لِلَّهِ أَرْحَامٌ هُنَاكَ تُشَقَّقُ

---

(١) روى أبو الفرج بسنده أن النبى أمر عاصم بن ثابت يوم بدر فضرب عنق عقبة بن ابي معيط صبرا ، ثم اقبل من بدر حتى إذا كان بالصفراء (وهو واد من ناحية المدينة وعلى مرحلة من بدر كثير النخل والزرع) امر عليا فضرب عنق النضر بن الحارث بن كلدة احد بنى عبد الدار . قال عمر بن شبة فى حديثه : بالأثيل . (وهو موضع قرب المدينة بين بدر ووادى الصفراء) فقالت قتيلة بنت الحارث اخته ترثيه .

(٢) رواية الأغانى :

ابلغ بـه ميتا بأن تحية ما إن تزال بها النجائب تخفق
منى إليك وعبرة مسفوحة جادت بدرتها واخرى تخنق

(٣) رواية الأغانى :

هل يسمعن النضر إن ناديته إن كان يسمع هالك لا ينطق

قَسْراً يُقَادُ إلى المَنِيَّةِ مُتعَباً رَسْفَ المُقَيَّدِ وَهْوَ عَانٍ مُوثَقُ (١)

أُمُحَمَّدٌ هَا أنتَ ضِنْءُ نَجِيبَةٍ في قَوْمِهَا وَالفَحْلُ فَحْلٌ مُعْرِقُ (٢)

مَا كَانَ ضَرَّكَ لَوْ مَنَنْتَ وَرُبَّمَا مَنَّ الفَتَى وَهْوَ المَغِيظُ المُحْنَقُ (٣)

قال: ويبلغ من خوفهم من الهجاء، ومن شدة السب عليهم وتخوفهم أن يبقى ذكر ذلك فى الاعقاب ويسب به الأحياء والأموات أنهم إذا أسروا الشاعر أخذوا عليه المواثيق وربما شدوا لسانه بِنِسْعَةٍ كما صنعوا بِعَبْدِ يَغُوثَ بنِ وَقَّاص الحارثى حين أسرته بنو تيم يوم الكلاب وهو الذى يقول:

أقُولُ وقَدْ شَدُّوا لِسانى بِنِسْعَةٍ أَمَعْشَرَ تَيْمٍ أَطْلِقُوا مِنْ لِسانِيَا (٤)

وَتَضْحَكُ مِنِّى شَيْخَةٌ عَبْشَمِيَّةٌ كأنْ لَمْ تَرَا قَبْلِى أسِيراً يَمانِيا

كأَنِّى لَمْ أرْكَبْ جَوَاداً وَلَمْ أقُلْ لِخَيْلِى كُرِّى كَرَّةً عَنْ رِجالِيَا (٥)

فيارَاكِباً إمَّا عَرَضْتَ فَبَلِّغَنْ نَدَامَاىَ مِنْ نَجْرَانَ أنْ لاتَلاقِيا (٦)

أبَا كَرِبٍ وَالأَيْهَمَيْنِ كِلَيْهِمَا وَقَيْساً بأعْلَى حَضْرَمَوتَ اليَمَانِيا (٧)

---

(١) رواية الأغانى: صبرا يقاد . ورسف المقيد: مشيه

(٢) رواية الأغاني: أمحمد ولأنت نسل نجيبة . ويروى: أمحمد يا خير ضنء كريمة . والضنء: النسل

(٣) بعده:

او كنت قابل فدية فلنأتين بأعز ما يغلو لديك وينفق
والنضر اقرب من اخذت بزلة واحقهم إن كان عتق يعتق

فبلغنا ان النبى قال: «لو سمعت هذا قبل ان اقتله ما قتلته». قلت: وفى نفسى من هذا القول الذى ينسب إلى النبى شىء لا استريح إليه لانى لا اصدق ان النبى كان يقتل او يمن بالهوى! اعيذه من ذلك، وارى ان هذا القول من وضع رواة الاشعار ليجعلوا لها منزلة فوق منزلتها

(٤) النسعة: السير الرقيق من الجلد

(٥) رواية المفضليات: كرى نفسى.

(٦) ويروى: فبلغا

(٧) ابو كرب: هو بشر بن علقمة بن الحارث. والايهمان: هما الاسود بن علقمة بن الحارث، والعاقب وهو عبد المسيح بن الابيض. وقيس: هو ابو الاشعث قيس بن معد يكرب الكندي، وهم جميعا من اقيال اليمن وسادات قومهم

وكان سألهم أن يطلقوا لسانه لينوح على نفسه ففعلوا فكان ينوح بهذه الأبيات، فلما أنشد قومه هذا الشعر قال قَيس : لبيك وإن كنت أخرتني .

وقيل لِعُبَيْدِ الله بن عَبدِ اللهِ بن عُتْبة بن مَسْعُودٍ : كيف تقول الشعر مع الفقه والنسك ؟ فقال : لابد للمصدور من أن ينفُث . وقال مُعاوية لِصُحَارٍ العبدى: ما هذا الكلام الذى يظهر منك ؟ قال : شىء تجيش به صدورنا فتقذفه على ألسنتنا . وقال ابن حرب : من أحسن شيأ أظهره . وفى المثل : من أحسن شيئاً أكثر ذكره . وقال : خاصم أبو الحُوَيْرِثِ السُّحَيْمِىُّ حمزةَ بن بَيْضٍ إلى المُهاجرِ بن عبدِ الله فى طَوِيٍّ له فقال أبو الحويرث :(١)

أَغْمَضْتُ فى حَاجَةٍ كانَتْ تؤرِّقُنى ... لوْلاَ الّذِى قُلْتَ فِيها قَلَّ تَغْمِيضِى

قال : وما قلت لك ؟ قال :

حَلَفْتَ باللهِ لِى أنْ سَوْفَ تُنْصِفُنى ... فَسَاغَ فى الحَلْقِ رِيقٌ بَعْدَ تَجْرِيضِ

قال : وأنا أحلف بالله لأُنصفنك ، قال :

فاسْأَلْ أُلَى عَنْ أُلَى أنْ مَاخُصُومَتُهُمْ ... أمْ كَيْفَ أنْتَ وَأَصْحَابُ المَعَارِيضِ

قال : أوجعهم ضرباً . قال :

فاسأَلْ سُحَيْماً إذا وَافَاكَ جَمْعُهُمُ ... هَلْ كَانَ بالبِئْرِ حَوْضٌ قَبْلَ تَحْوِيضِى

قال : فتقدمت الشهود فشهدت لأبى الحُويرث(٢) قال : فالتفت إلى ابن بَيْضٍ فقال:

أَنْتَ ابْنُ بَيْضٍ لَعَمْرِى لَسْتُ أُنْكِرُهُ ... حَقًّا يَقِيناً وَلَكِنْ مَنْ أَبُو بَيْضِ !؟

إنْ كُنْتَ أَنْبَضْتَ لِى قَوْساً لِتَرْمِيَنِى ... فَقَدْ رَمَيْتُكَ رَمْياً غَيْرَ تَنْبِيضِ

(١) روى ابو الفرج بسنده قال اختصم ابو الجون السحيمى وحمزة بن بيض إلى المهاجر بن عبد الله الكلابي وهو على اليمامة فوثب عليه حمزة فانشا يقول : وذكر هذه المراجعة لحمزة .

(٢) رواية الاغانى ان المهاجر قضي لحمزة فانشا السحيمى يقول :

انت ابن بيض لعمرى لست انكره ... حقا يقينا ولكن من ابو بيض

إن كنت انبضت لى قوسا لترميني ... فقد رميتك رميا غير تنفيض

اوكنت خضخضت لى وطبا لتسقينى ... فقد سقيتك محضا غير ممخوض

ولم يرو البيت الرابع الذى فيه ذكر المهاجر . ورواية الجاحظ اقرب إلى الصواب .

أَوْ كُنْتَ خَضْخَضْتَ لِي وَطْباً لِتَسْقِيَنِي   فَقَدْ سَقَيْتُكَ وَطْباً غَيْرَ مَمْخُوضِ
إِنَّ الْمُهَاجِرَ عَدْلٌ فِي حُكُومَتِهِ   وَالْعَدْلُ يَعْدِلُ عِنْدِي كُلَّ تَعْرِيضِ

قال: وتزوج شيخ من الأعراب جارية من رهطه وطمع أن تلد له غلاماً فولدت له جارية فهجرها وهجر منزلها وصار يأوى الى غير بيتها فمر بخبائها بعد حول وإذا هي ترقص بُنيتها منه وهي تقول:[1]

مَا لِأَبِي حَمْزَةَ لَا يَأْتِينَا   يَظَلُّ فِي الْبَيْتِ الَّذِي يَلِينَا
غَضْبَانَ أَنْ لَا نَلِدَ الْبَنِينَا   تَاللهِ مَا ذَلِكَ فِي أَيْدِينَا
وَإِنَّمَا نَأْخُذُ مَا أُعْطِينَا

فلما سمع الأبيات مر الشيخ نحوهما حضراً حتى ولج عليها الخباء، فقبلها وقبل بُنيتها وقال: ظلمتكما ورب الكعبة. وقال مسلم بن الوليد:

فَإِنِّي وَإِسْمَاعِيلُ عِنْدَ فِرَاقِنَا   لَكَالْجَفْنِ يَوْمَ الرَّوْعِ فَارَقَهُ النَّصْلُ
أَمُنْتَجِعاً مَرْواً بِأَثْقَالِ هَمِّهِ   دَعِ الثِّقْلَ وَاحْمِلْ حَاجَةً مَا لَهَا ثِقْلُ
ثَنَاءً كَعَرْفِ الطِّيبِ يُهْدَى لِأَهْلِهِ   وَلَيْسَ لَهُ إِلَّا بَنِي خَالِدٍ أَهْلُ[2]
فَإِنْ أَغْشَ قَوْماً بَعْدَهُمْ أَوْ أَزُورَهُمْ   فَكَالْوَحْشِ يُدْنِيهَا مِنَ الْأَنَسِ الْمَحْلُ

وقال ابن أبي عُيَيْنَةَ:

هَلْ كُنْتَ إِلَّا كَلَحْمِ مَيْتٍ   دَعَا إِلَى أَكْلِهِ اضْطِرَارُ

وقال الآخر:

لَئِنْ حَبَسَ الْعَبَّاسُ عَنَّا رَغِيفَهُ   لَمَا فَاتَنَا مِنْ نِعْمَةِ اللهِ أَكْثَرُ

وقال أبو كعب:[3] كان رجل يُجرى على رجل رغيفاً فى كل يوم فكان اذا أتاه

(١) راجع ص ١٦٣ من الجزء الاول
(٢) بنو خالد بن برمك
(٣) هو ابو كعب الصوفى . وله ذكر فى كتاب البخلاء للجاحظ وعنه يروي بعض اخبارهم

الرغيف يقول : لعنك الله ولعن من بعثك ولعننى إن تركتك حتى أصيب خيراً منك . وقال بشار :

إذا بلغ الرأىُ النصيحةَ فاستعن ... برأى نصيحٍ أو نصيحة حازمِ
ولا تحسب الشورى عليك غضاضةً ... فإن الخوافى عُدّةٌ للقوادمِ
وخلِّ الهُوَينا للضعيف ولا تكن ... نؤوماً فإن الحزم ليس بنائمِ
وأدنِ على القُربى المقرِّبَ نفسَهُ ... ولا تُشهدِ الشورى امرأً غيرَ كاتمِ
وما خيرُ كفٍّ أمسك الغُلُّ أختَها ... وما خيرُ سيفٍ لم يؤيَّدْ بقائمِ
فإنك لا تستطرِدُ الهمَّ بالمنى ... ولا تبلغُ العَلياءَ بغيرِ المكارمِ

وقال آخر :

تُعرِّفُنى هُنيدةَ مَن بنوها ... وأعرِفُها إذا اشتدَّ الغُبارُ
متى ما تلقَ منّا ذا نَماءٍ ... يَوُزّ كأنَّ رجليهِ شِجارُ
فلا تعجلْ عليه فإنَّ فيه ... منافعَ حين يبتلُّ العِذارُ
أنا ابنُ المَضرَحيِّ أبى شَليلٍ ... وهل يخفى على الناسِ النهارُ
ورثناه صُنعهُ ولكلِّ فحلٍ ... على أولادِه منه نِجارُ

وقال أعشى همدانَ فى خالدِ بنِ عتّابِ بنِ ورقاء :

تُمنِّينى إمارتَها تميمٌ ... وما أمرى وأمرُ بنى تميمِ
وكان أبو سُليمانٍ خليلى ... ولكنَّ الشِّراكَ منَ الأديمِ
أتينا أصبهانَ فهزَّلتنا ... وكنّا قبلَ ذلكَ فى نعيمِ
أتذكُرُنا ومرّةَ إذ غزونا ... وأنتَ على بغيلِكَ ذى الشُّؤمِ
ويركبُ رأسَهُ فى كلِّ وحلٍ ... ويعثُرُ فى الطريقِ المستقيمِ
وليس عليكَ إلّا طيلسانٌ ... نُصَيبىٌّ وإلّا سحقُ نيمِ (١)

---

(١) سحق نيم : خلق بال

وقال آخر: (١)

فلستُ مُسلماً ما دُمتُ حَيّاً | عَلَى زَيْدٍ بِتَسْلِيمِ الأَمِيرِ
أَمِيرٌ يَأْكُلُ الفالوذَ سِرّاً | وَيُطْعِمُ ضَيْفَهُ خُبْزَ الشَّعِيرِ
أَتَذْكُرُ إِذْ قَباؤُكَ جِلْدُ شاةٍ | وَإِذْ نَعْلاكَ مِنْ جِلْدِ البَعِيرِ
فَسُبْحانَ الَّذِي أَعْطاكَ مُلْكاً | وَعَلَّمَكَ الجُلُوسَ عَلَى السَّرِيرِ

وقال آخر:

دَعْ عَنْكَ مَرْوانَ لا تَطْلُبْ إِمارَتَهُ | فَفِيكَ رَاعٍ لَها ما عِشْتَ شُرْشُورُ
ما بالُ بُرْدِكَ لَمْ يَمْسَسْ حَواشِيَهُ | مِنْ ثَرْمِداءَ وَلا صَنْعاءَ تَحْبِيرُ

وقال ابن فنانٍ المحاربى:

أَقُولُ لَمّا جِئْتُ مَجْلِسَهُمْ | قَبَحَ الإِلهُ عَمائِمَ الخَزِّ
لَوْلا قُتَيْبَةُ ما اعْتَجَرْتَ بِها | أَبَداً وَلا أَقْعَيْتَ فِى غَرْزِ
عَجَباً لِهذا الخَزِّ يَلْبَسُهُ | مَنْ كانَ مُشْتاقاً إِلَى الخُبْزِ
مَنْ كانَ يَشْتُو فِى عَباءَتِهِ | مُتَقَبِّضاً كَتَقَبُّضِ العَنْزِ

وقال ثابتُ قُطنة فى رجل كان المهلب ولاه بعض خُراسان:

ما زالَ رَأْيُكَ يا مُهَلَّبُ فاضِلاً | حَتَّى بَنَيْتَ سُرادِقاً لِوَكِيعِ (٢)
وَجَعَلْتَهُ رَبّاً عَلَى أَرْبابِهِ | وَرَفَعْتَ عَبْداً كانَ غَيْرَ رَفِيعِ
لَوْ رَأَى أَبُوهُ سُرادِقاً أَخَذْتَهُ | لَبَكَى وَفاضَتْ عَيْنُهُ بِدُمُوعِ

وقال ابن سيخان مولى المغيرة فى بنى مطيع العدويين:

حَرامٌ كَنَّتِى مِنِّى بِسُوءٍ | وَأَذْكُرُ صاحِبِى أَبَداً بِذامِ
لَقَدْ حَرَّمْتُ وُدَّ بَنِى مُطِيعٍ | حَرامَ الدُّهْنِ لِلرَّجُلِ الحَرامِ

---

(١) يروى ان هذه الابيات قيلت فى هجاء معن بن زائدة
(٢) الظاهر ان المقصود به وكيع بن الدورقية

وَخَزَّهُمُ الَّذِى لَمْ يَشْتَرُوهُ ... وَمَجْلِسهُمْ بِمُعْتَلِجِ الظَّلَامِ
وَإِنْ جَنَفَ الزَّمَانُ مَدَدْتَ حَبْلاً ... مَتِيناً مِنْ حِبَالِ بَنِى هِشَامِ
وَرِيقٌ عُودُهُمْ أَبَدًا رَطِيبٌ ... إِذَا مَا اغْبَرَّ عِيدَانُ اللِّئَامِ

وقال آخر :

لِمَنْ جُزُرٌ يُنَحِّرُهَا سُوَيْدٌ ... أَلَا يَا مُرَّ لِلْمَجْدِ الْمُضَاعُ
كَأَنَّكَ قَدْ سَعَيْتَ بِذِمَّتَيْهِمْ ... وَكُنْتَ ثِمَالَ أَيْتَامٍ جِيَاعِ

وقال :

سُبْحَانَ مَنْ سَبَّحَ السَّبْعُ الطِّبَاقُ لَهُ ... حَتَّى لِهِرْثَمَةَ الذُّهْلِىِّ أَبْوَابُ

وأنشدنا الأُحَيْمِر :

بِأَقَبَّ مُنْصَلِتِ اللَّبَانِ كَأَنَّهُ ... سِيدٌ تَنَصَّلَ مِنْ جُحُورِ سَعَالِى

وقال خَلَفٌ : لَمْ أَرَ أجمع من بيت امرىء القيس :

أَفَادَ وَجَادَ وَسَادَ وَزَادَ ... وَقَادَ وَذَادَ وَعَادَ وَأَفْضَلْ

ولا أجمع من قوله :

لَهُ أَيْطَلَا ظَبْىٍ وَسَاقَا نَعَامَةٍ ... وَإِرْخَاءُ سِرْحَانٍ وَتَقْرِيبُ تَتْفُلِ

وقال الآخر :

رَمَى الْفَقْرُ بِالْفِتْيَانِ حَتَّى كَأَنَّهُمْ ... بِأَقْطَارِ آفَاقِ الْبِلَادِ نُجُومُ
وَإِنَّ امْرَأً لَمْ يُقْفِرِ الْعَامَ بَيْتَهُ ... وَلَمْ يَتَخَدَّدْ لَحْمُهُ لَلَئِيمُ

وقال عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ زُرَارَةَ الْكِلَابِىُّ :

وَلَيْلَةٍ مِنْ لَيَالِ الدَّهْرِ صَالِحَةٍ ... بَاشَرْتُ فِى هَوْلِهَا مَرْأًى وَمُسْتَمَعَا
وَنَكْبَةٍ لَوْ رَمَى الرَّامِى بِهَا حَجَراً ... أَصَمَّ مِنْ جَنْدَلِ الصَّمَّانِ لَانْصَدَعَا
مَرَّتْ عَلَىَّ فَلَمْ أَطْرَحْ لَهَا سَلَبِى ... وَلَا اسْتَكَنْتُ لَهَا وَهْنًا وَلَا جَزَعَا
وَمَا أَزَالُ عَلَى أَرْجَاءِ مَهْلَكَةٍ ... يُسَائِلُ الْمَعْشَرُ الْأَعْدَاءُ مَا صَنَعَا

وَلاَ رَمَيْتُ عَلَى خَصْمٍ بِفَاقِرَةٍ   إلاَّ رَمَيْتُ بِخَصْمٍ فَرَّ لِى جَذَعَا
مَاسُدَّ مُطَّلَعٌ يُخْشَى الْهَلاَكُ بِهِ   إلاَّ وَجَدْتُ بِظَهْرِ الغَيْبِ مُطَّلَعَا
لاَ يَمْلأُ الْهَوْلُ قَلْبِى قَبلَ وَقْعَتِهِ   وَلاَ يَضِيقُ لَهُ صَدْرِى إذَا وَقَعَا

وقال الآخر :

لَقَدْ طَالَ إعْرَاضِى وَصَفْحِى عَنِ الَّتِى   أُبَلَّغُ عَنْكُمْ وَالقُلُوبُ قُلُوبُ
وَطَالَ انْتِظَارِى عَطْفَةَ الرَّحْمِ مِنكُمُ   لِيَرْجِعَ وُدٌّ أَوْ يُنِيبَ مُنِيبُ
فَلاَ تَأْمَنُوا مِنِّى عَلَيْكُمْ شَبِيهَهَا   فَيَرْضَى بَغِيضٌ أَوْ يُسَاءَ حَبِيبُ
وَيَظْهَرَ مِنَّا فِى الْمَقَالِ وَمِنكُمُ   إذَا مَا ارْتَمَيْنَا فِى النِّضَالِ عُيُوبُ
فَإِنَّ لِسَانَ الْبَاحِثِ الدَّاءَ سَاخِطاً   بَنِى عَمِّنَا أَنَّى الْبَيَانُ كَذُوبُ

وقال الأَشْهَبُ بنُ رُمَيْلَةَ :

وَإِنَّ الأُلَى حَانَتْ بِفَلْجٍ دِمَاؤُهُمْ   هُمُ الْقَوْمُ كلُّ القَوْمِ يَا أُمَّ خَالِدِ
هُمُ سَاعِدُ الدَّهْرِ الذِى يُتَّقَى بِهِ   وَمَا خَيْرُ كَفٍّ لاَ تَنُوءُ بِسَاعِدِ
أُسُودُ شَرًى لاَقَتْ أُسُودَ خَفِيَّةٍ   تَسَاقَوْا عَلَى حَرْدٍ دِمَاءَ الأَسَاوِدِ

قوله : هم ساعد الدهر ، إنما هو مثل ، وهذا الذى تسميه الرواة البديع ، وقد قال الراعى :

هُمُ كَاهِلُ الدَّهْرِ الَّذِى يُتَّقَى بِهِ   وَمَنْكِبُهُ إنْ كَانَ لِلدَّهْرِ مَنْكِبُ

وقد جاء فى الحديث : موسى الله أحدّ وساعد الله أشدّ . والبديع مقصور على العرب ومن أجله فاقت لُغتُهم كل لغة وأربت على كل لسان ، والرَّاعى كثير البديع فى شعره وبَشَّار حسن البديع والعَتَّابى يذهب شعره فى البديع . وقال كعب بن عدى :

شُدَّ العِقَابَ على البرىء بِمَنْ جَنَى   حَتَّى يَكُونَ لِغَيْرِهِ تَنْكِيلاَ
وَالْجَهْلُ فِى بَعْضِ الأُمُورِ إذا اعْتَدَى   مُسْتَخْرِجٌ لِلْجَاهِلِينَ عُقُولاَ

وقال زُفَرُ بنُ الحرث :

لَئِنْ عُدتَ وَاللهِ الَّذِي فَوْقَ عَرْشِهِ ... مَنَحْتُكَ مَسْنُونَ الغِرَارَيْنِ أَزْرَقَا
فَإِنَّ دَوَاءَ الجَهْلِ أَنْ تُضْرَبَ الطُّلَى ... وَأَنْ يُغْمَسَ العِرِّيضُ حَتَّى يُغَرَّقَا

وقال مبذول العذرى :

وَمَوْلًى كَضِرْسِ السُّوءِ يُؤْذِيكَ مَسُّهُ ... وَلَابُدَّ إِنْ آذَاكَ أَنَّكَ فَاقِرُهْ
دَوِى الجَوْفِ إِنْ يُنْزَعْ يَسُؤْكَ مَكَانُهُ ... وَإِنْ يَبْقَ يُصْبِحْ كُلَّ يَوْمٍ تُحَاذِرُهْ
يُسِرُّ لَكَ البَغْضَاءَ وَهْوَ مُجَامِلٌ ... وَمَا كُلُّ مَنْ يَجْنِي عَلَيْكَ تُسَاوِرُهْ
وَمَا كُلُّ مَنْ مَدَّدْتَ ثَوْبَكَ دُونَهُ ... لِتَسْتُرَ مِمَّا قَدْ أَتَى أَنْتَ سَاتِرُهْ

وقال الآخر :

أَطَالَ اللهُ كَيْسَ بَنِى رَزِينٍ ... وَحُمْقِي إِنْ شَرِبْتُ لَهُمْ بِدَيْنِي
أَأَكْتُبُ إِبْلَهُمْ شَاءً وَفِيهَا ... بِرَيْعٍ فِصَالُهَا بِنْتَا لَبُونِ
فَمَا خُلِقُوا بِكَيْسِهِمِ دُهَاةً ... وَلَا مُلْجَاءَ بَعْدُ فَيُعْجِبُونِي

وقال آخر :

عَفَارِيتًا عَلَيَّ وَأَكْلِ مَالِي ... وَعَجْزًا عَنْ أُنَاسٍ آخَرِينَا
فَهَلَّا غَيْرَ عَمِّكُمْ ظَلَمْتُمْ ... إِذَا مَا كُنْتُمُ مُتَظَلِّمِينَا
فَلَوْ كُنْتُمْ لِكَيِّسَةٍ أَكَاسَتْ ... وَكَيْسُ الأُمِّ أَكْيَسُ لِلْبَنِينَا

وقالت رُقَيَّةُ بنت عبد المطلب فى النبى صلى الله عليه وسلم :

أُبَيَّ إِنِّى رَابَنِى حَجَرٌ ... يَغْدُو بِكَفِّكَ حَيْثُمَا يَغْدُ
وَأَخَافُ أَنْ تَلْقَى غَوِيَّهُمُ ... أَوْ أَنْ يُصِيبَكَ بَعْدُ مَنْ يَعْدُو

ولما دخل مكة لقيه جواريها يقلن :

طَلَعَ البَدْرُ عَلَيْنَا ... مِنْ ثَنِيَّاتِ الوَدَاعْ
وَجَبَ الشُّكْرُ عَلَيْنَا ... مَا دَعَا لِلَّهِ دَاعْ

يضاف الى باب الخطب والى القول فى تخليص المعانى والخروج من الأمر المشبه بغيره، قول حسان بن ثابت :(١)

إنَّ خالى خطيبُ جابيةَ الجو لانِ عِندَ النُّعمانِ حِينَ يَقُومُ
وَهُوَ الصَّقرُ عِندَ بابِ ابنِ سلمى يومَ نُعمانُ فى الكُبُولِ مُقِيمُ
وَسطتْ نِسبتى الذَّوائبَ مِنهُمْ كلُّ دارٍ فِيهَا أبٌ لى عَظِيمُ
وَأبى فى سُمَيحةَ القائلُ الفا صِلَ يومَ التفَّتْ عليهِ الخُصُومُ
يَفصِلُ القولَ بالبيانِ وذُو الرَّأْ ىِ مِنَ القومِ ظالعٌ مَكعُومُ
تِلكَ أفعالُهُ وفِعلُ الزِّبَعرَى خامِلٌ فى صَدِيقِهِ مَذمُومُ
رُبَّ حِلمٍ أضاعهُ عَدَمُ المَالِ وَجَهلٍ غطَّى عليهِ النَّعِيمُ
وَلِىَ النَّاسَ مِنكُمُ إذْ أبيتُمْ أُسرةٌ مِنْ بَنِى قُصَىٍّ صَمِيمُ
وَقُرَيشٌ يَجُولُ مِنَّا لِواذاً أنْ يُقيمُوا وَخَفَّ مِنهَا الحُلُومُ
لمْ يُطِقْ حَملَهُ العواتِقُ مِنهُمْ إنَّمَا يَحمِلُ اللِّواءَ النُّجُومُ

ولما دفن سليمان بن عبد الملك أيوب ابنه وقف ينظر إلى القبر ثم قال :

كُنتَ لنَا أُنسًا ففارَقتَنا فالعَيشُ مِنْ بَعدِكَ مُرُّ المَذاقِ

وقربت دابته فركب ووقف على قبره وقال :

وُقُوفاً عَلَى قَبرٍ مُقِيمٍ بِقَفرةٍ مَتَاعٌ قَلِيلٌ مِنْ حَبِيبٍ مُفارِقِ

ثم قال : وعليك السلام . ثم عطف رأس دابته وقال :

فإنْ صَبَرتُ فلمْ أَلفِظكَ مِنْ شبعٍ وَإنْ جَزِعتُ فَعِلقٌ مُنفِسٌ ذَهَبا

المدائنى قال : لما مات محمد بن الحجاج جزع عليه فقال : إذا غسلتموه فاعلمونى فلما نظر اليه قال :(٢)

(١) راجع ص ٢٥٨ و ٢٥٩ من الجزء الثاني

(٢) روى القالى هذه الرواية بسنده عن أبى عبيدة قال : لما هلك أبان بن الحجاج وأمه أم ابان بنت النعمان بن بشير فلما دفنه قام الحجاج على قبره فتمثل بقول زياد الأعجم :

الآنَ لَمَّا كُنْتَ أَكْرَمَ مَنْ مَشَى   وَافْتَرَّ نَابُكَ عَنْ شَبَاةِ القَارِحِ
وَتَكَامَلَتْ فِيكَ المُرُوءَةُ كُلُّهَا   وَأَعَنْتَ ذَلِكَ بِالفَعَالِ الصَّالِحِ

ثم أتاه موت أخيه محمد بن يوسف فقال :

حَسْبِي ثَوَابُ اللهِ مِنْ كُلِّ مَيِّتٍ   وَحَسْبِي بَقَاءُ اللهِ مِنْ كُلِّ هَالِكِ
إِذَا مَا لَقِيتُ اللهَ عَنِّي رَاضِيًا   فَإِنَّ شِفَاءَ النَّفْسِ فِيمَا هُنَالِكِ

تمثل مُعاوية فى عبد الله بن بُديل :

أَخُو الحَرْبِ إِنْ عَضَّتْ بِهِ الحَرْبُ عَضَّهَا   وَإِنْ شَمَّرَتْ عَنْ سَاقِهَا الحَرْبُ شَمَّرَا
وَيَدْنُو إِذَا مَا المَوْتُ لَمْ يَكُ دُونَهُ   قَدَى الشِّبْرِ يَحْمِي الأَنْفَ أَنْ يَتَأَخَّرَا

ورأى معاوية هزاله وهو متعر فقال :

أَرَى اللَّيَالِي أَسْرَعَتْ فِي نَقْضِي   أَخَذْنَ بَعْضِي وَتَرَكْنَ بَعْضِي
حَنَيْنَ طُولِي وَتَرَكْنَ عَرْضِي   أَقْعَدْنَنِي مِنْ بَعْدِ طُولِ النَّهْضِ

وتمثل عبدُ الملك حين وثب بعمرو بن سعيد الأشدق :

سَكَّنْتُهُ لِيَقِلَّ مِنِّي نَفْرُهُ   فَأَصُولَ صَوْلَةَ حَازِمٍ مُسْتَمْكِنِ
وَحَمَيْتُهُ غَضَبًا لِنَفْسِي إِنَّهُ   لَيْسَ المُسِيءُ سَبِيلُهُ كَالمُحْسِنِ

الآن لما كنت أكمل من مشى   وافتر نابك عن شباة القارح
وتكاملت فيك المروءة كلها   وأعنت ذلك بالفعال الصالح

فلما انصرف إلى منزله قال : ارسلوا خلف ثابت بن قيس الانصاري ، فأتاه . فقال : انشدنى مرثيتك فى ابنك الحسن فأنشده :

قد أكذب الله من نعى حسنا   ليس لتكذيب موته ثمن
اجول فى الدار لا اراك وفى الـــدار اناس جوارهم غبن
بدلتهم منك ليت انهم   اضحوا وبينى وبينهم عدن

قلت : والبيتان اللذان رواهما الجاحظ فى الاصل هما من قصيدة بالغة حد الاجادة قالها زياد الاعجم يرثى بها المغيرة بن المهلب بن ابي صفرة ، وهى مثبتة بأكملها فى ذيل الامالى

وسمع معاويةُ رجلا يقول :

وَمَنْ كريمٌ مَاجِدٌ سَمَيْدَعُ   يُؤْتَى فيُعْطِي مِنْ نَدًى وَيَمْنَعُ

فقال : هذا منا ، هذا والله عبدُ الله بن الزبير .

وصف معاوية لقريش

المدائنى قال: قال معاويةُ : إذا لم يكن الهاشمى جوادا لم يُشبه قومه ، وإذا لم يكن المخزومى تياهًا لم يُشبه قومه ، وإذا لم يكن الأموى حليما لم يُشبه قومه . فبلغ قوله الحسن بن على رضى الله تعالى عنهما فقال : ما أحسن ما نظر لنفسه ! أراد أن تجود بنو هاشم بأموالها فتفتقر إلى مافى يديه ، وتزهو بنو مخزوم على الناس فتُبغض وتُشنأ ، وتحلم بنو أمية فتحب . وقال بشار :

أَحْسِنْ صِحَابَتَنَا فإِنَّكَ مُدْرِكٌ   بَعْضَ اللُّبَانَةِ بِاصْطِنَاعِ الصَّاحِبِ

وَإِذَا جَفَوْتَ قَطَعْتَ عَنْكَ لُبَانَتِي   وَالدَّرُّ يَقْطَعُهُ جَفَاءُ الحَالِبِ

تَأْتِي اللَّئِيمَ وَمَا سَعَى حَاجَاتُهُ   عَدَدَ الحَصَى وَيَخِيبُ سَعْيُ الدَّائِبِ

وأنشد :

إِذَا مَا أُمُورُ النَّاسِ رَثَّتْ وَضُيِّعَتْ   وَجَدْتُ أُمُورِي كُلَّهَا قَدْ رَمَمْتُهَا

وقال أعرابى :

نَدِينُ وَيَقْضِي اللهُ عَنَّا وَقَدْ نَرَى   مَكَانَ رِجَالٍ لَا يَدِينُونَ ضُيَّعَا

وقال أعرابى :

وَلَيْسَ قَضَاءُ الدَّيْنِ بِالدَّيْنِ رَاحَةً   وَلَكِنَّهُ نَقْلٌ مُمِضٌّ إِلَى نَقْلِ

وأنشد أبو عبيدة لعبيد [بن أيوب] العنبرى وهو أحد اللصوص :

يَا رَبِّ عَفْوَكَ عَنْ ذِي تَوْبَةٍ وَجِلٍ   كَأَنَّهُ مِنْ حِذَارِ النَّاسِ مَجْنُونُ

قَدْ كَانَ أَسْلَفَ أَعْمَالًا مُقَارِبَةً   أَيَّامَ لَيْسَ لَهُ عَقْلٌ وَلَا دِينُ

وقال أعرابى :

يَارَبِّ قَدْ حَلَفَ الأَقوامُ وَاجْتَهَدُوا أَيْمَانَهُمْ أَنَّنِي مِنْ سَاكِنِي النَّارِ
أَيَحْلِفُونَ عَلَى عَمْيَاءَ وَيْلَهُمُ جَهْلاً بِعَفْوِ عَظِيمِ الْعَفْوِ غَفَّارِ

وقال أعرابى وهو محبوس :

أَسِجْناً وَقَيْداً وَاغْتِرَاباً وَوَحْشَةً وَذِكْرَى حَبِيبٍ إِنَّ ذَا لَعَظِيمُ
وَإِنَّ امْرَأً دَامَتْ مَوَاثِيقُ عَهْدِهِ عَلَى كُلِّ مَا لاقَيْتُهُ لَكَرِيمُ

وقال أعرابي :

أَبَا أُمِّ عَمْرٍو بَيِّنِي أَنتِ كُلَّمَا تَرَفَّعَ حَادٍ أَوْ دَعَا كُلُّ مُسْلِمِ
نَظَرْتُ إِلَيْهَا نَظْرَةً مَا يَسُرُّنِي وَإِنْ كُنْتُ مُحْتَاجًا بِهَا أَلْفُ دِرْهَمِ

وقال الشاعر :

وَمَا كَثْرَةُ الشَّكْوَى بِأَمْرٍ حَزَامَةٍ وَلَابُدَّ مِنْ شَكْوَى إِذَا لَمْ يَكُنْ صَبْرُ

ومثله :

وَأَبْثَثْتُ بَكْرًا كُلَّ مَا فِي جَوَانِحِي وَجَرَّعْتُهُ مِنْ مُرِّ مَا أَتَجَرَّعُ
وَلَابُدَّ مِنْ شَكْوَى إِلَى ذِي حَفِيظَةٍ إِذَا جَمَّتْ أَسْرَارُ نَفْسٍ تَطَلَّعُ

وقال الشاعر[1] :

حَسَدُوا الفَتَى إِذْ لَمْ يَنَالُوا سَعْيَهُ فَالقَوْمُ أَعْدَاءٌ لَهُ وَخُصُومُ
كَضَرَائِرِ الحَسْنَاءِ قُلْنَ لِوَجْهِهَا حَسَدًا وَبَغْيًا إِنَّهُ لَدَمِيمُ

وقال بُزُرْجُمْهِرْ : ما رأينا أشبه بالمظلوم من الحاسد[2]. وقال الأحنفُ بنُ قيس: لا راحة لحسود. وقال الشعبي : الحاسد منغّص بما فى يد غيره . وقال الله تبارك وتعالى « ومن شرِّ حاسدٍ إذا حَسَدْ »

(١) هذا الشعر ينسب إلى ابى الاسود الدؤلى

(٢) روى الجاحظ هذه الكلمة فى رسالة الحاسد والمحسود هكذا : قال بعض الاعراب : ما رايت ظالما اشبه بمظلوم من الحاسد

وقال بعضهم يمدح أقواماً:

مَنْ عَاشَ فِى النَّاسِ يَوْماً غَيرَ مَحْسُودِ مُحَسَّدُونَ وَشَرُّ النَّاسِ مَنْزِلَةً

وقال الشاعر :

الرِّزْقُ يَأْتِى قَدَراً عَلَى مَهَلْ وَالمَرْءُ مَطْبُوعٌ عَلَى حُبِّ العَجَلْ

وقالوا : من تمام المعروف تعجيله . ووصف بعض الأعراب أميراً فقال : إذا أوعد أخر واذا وعد عجَّل ، وعيده عفو ووعده إنجاز . وقال تبارك وتعالى « وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولاً »

ودخل عَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ على المنصور وهو يومئذ خليفة ، وروى هذا الحديث العتبى عن عتبة بن هرون قال: شهدته وقد خرج من عنده فسألته عما جرى بينهما فقال: رأيت عنده فتى لم أعرفه فقال لى : يا أبا عثمان ، أتعرفه ؟ فقلت : لا . فقال: هذا ابن أمير المؤمنين وولى عهد المسلمين . فقلت له : قد رضيت له أمرا يصير إليه إذا صار وقد شُغلتَ عنه ! فبكى ثم قال: عظنى يا أبا عثمان ؟ فقلت : إن الله قد أعطاك الدنيا بأسرها فاشترِ نفسك منه ببعضها ، فلو أن هذا الأمر الذى صار إليك بقى فى يدى من كان قبلك لم يصل إليك ، وتذكر يوما يتمخض بأهله لا ليلة بعده . المدائنى قال: سمعت أعرابياً يسأل وهو يقول: رحم الله امرأ لم تمج أذنه كلامى وقدم لنفسه معاذة من سوء مقامى ، فان البلاد مجدبة والحال سيئة ، والعقل زاجر ينهى عن كلامكم والفقر عارم يحملنى على إخباركم ، والدعاء أحد الصدقتين ، فرحم الله امرأ أمر بمير (١) أو دعا بخير . وقال رجل من طىء :

قَتَلْنَا بِقَتْلَانَا مِنَ القَوْمِ مِثْلَهُمْ كِرَاماً وَلَمْ نَأْخُذْ بِهِمْ حَشَفَ التَّمْرِ

وقال آخر :

قَتَلْنَا بِهِمْ مَا بَيْنَ مَثْنَى وَمَوْحِدٍ وَأَرْبَعَةً مِنهم وَآخَرُ خَامِسُ

وقال آخر :

(١) المير : العطاء

قَتَلْنا رجَالاً مِنْ تَمِيمٍ أخايِراً ... بقَوْمٍ كِرَامٍ مِنْ رجالٍ أخايِرِ

وسئل بعض العرب : ما العقل ؟ قال : الإصابة بالظنون ومعرفة مالم يكن بما قد كان . وقال جرير يعاتب المهاجر بن عبد الله :

يا قيس عيلان إني قد نصبت لكم ... بالمنجنيق ولمّا أُرسِلُ الحجرا

فوثب المهاجر فأخذ بحقوه وقال: العتبى يا أبا حزرة ، لا ترسله. وقال سويد بن صامت:

ألا رُبَّ مَن تدعُو صديقاً ولو ترى ... مَقالتَهُ بالغيبِ ساءكَ ما يفرى (١)

مَقالتُهُ كالشَّحْمِ مَادامَ شاهِداً ... وَبالغيبِ مأثُورٌ على ثغرةِ النحْرِ (٢)

تُبينُ لكَ العينانِ مَاهُوَ كاتِمٌ ... مِنَ الشرِّ والبغضاءِ بالنظرِ الشَّزْرِ

يَسُرُّكَ بادِيهِ وتحتَ أدِيمِهِ ... نَميمةُ غِشٍّ تبترى عَقبَ الظهْرِ

فرِشْني بِخَيرٍ طالما قدْ بَرَيْتَني ... وَخَيْرُ المَوالِي مَنْ يَرِيشُ ولا يَبْرِي

وقال حارثة بن بدر ، لما تحالفت الازد وربيعة :

لا تحسَبَنَّ فؤادي طائراً فزعاً ... إذا تحالفَ ضَبُّ البرِّ والنُّون

وأنشد ابن الاعرابي :

فإنْ أكُ قصْداً في الرِّجال فإنَّني ... إذا حلَّ أمرٌ ساحتي لجَليمُ

تُعيِّرُني الإعدامَ والوَجْهُ مُعرِضٌ ... وسَيفِي بأموَالِ التِّجارِ زعِيمُ

وأنشد ابن الاعرابي لعمرو بن شأس: (٣)

متى يبلغُ البُنْيانُ يوْماً تمامَهُ ... إذا كُنتَ تبْنيهِ وآخرُ يهدِمُ

وقال عَبيد بن الأبرص :

ساعِدْ بأرْضٍ إذا كُنتَ بها ... ولا تقُلْ إنّني غَرِيب

(١) يفرى: يمزق

(٢) مأثور : سيف مسلول

(٣) هو عمرو بن شاس الاسدى . كان شاعرا من شعراء المخضرمين نشا فى الجاهلية وادرك الاسلام وهو شيخ كبير . وهو ابو عرار بن عمرو الذى قال فيه:

ارادت عرارا بالهوان ومن يرد ... عرارا لعمرى بالهوان فقد ظلم

قد يُوصِلُ النَّازِحُ النَّائى وَقد ... يَقْطعُ ذُو السُّهْمَةِ القريبُ

وأنشد الاصمعى لكثير :

رَأَيْتُ أَبا الوَليدِ غَداةَ جَمْعٍ ... بهِ شَيْبٌ وَقدْ فقدَ الشَّبابا

وَلَكن تحْتَ ذَاكَ الشيْبِ حَزْمٌ ... إذا ما ظَنَّ أَمْرَضَ أَوْ أَصَابا

و يمدحون باصابة الظن ويذمون بخطائه . قال أوس بن حجر :

الْأَلْمَعِىُّ الَّذِى يَظُنُّ بكَ الظَّنَّ ... كأَنْ قدْ رَأَى وَقد سَمِعا

وفى بعض الحكمة : من لم ينتفع بظنه لم ينتفع بيقينه . وقال السموأل بن عاديا :

وإنَّا لقَوْمٌ مَا نَرَى القتلَ سُبَّةً ... إذا ما رَأَتْهُ عامرٌ وَسَلُولُ

يُقرِّبُ حُبُّ المَوْتِ آجالَنَا لَنَا ... وَتكْرَهُهُ آجالُهُمْ فتطُولُ

تَسيلُ عَلَى حَدِّ السُّيُوفِ نُفُوسُنا ... وَليْسَتْ عَلَى غَيْرِ السُّيُوفِ تَسيلُ (١)

وَمَامَاتَ مِنَّا سَيِّدٌ فى فِرَاشِهِ ... وَلاطُلَّ مِنَّاحَيْثُ كانَ قَتيلُ (٢)

وقال حسان بن ثابت :

لمْ تَفُتْهَا شَمْسُ النَّهارِ بِشَيْءٍ ... غيْرَ أَنَّ الشبابَ ليْسَ يَدُومُ

لوْ يَدِبُّ الحَوْلِىُّ مِنْ وَلَدِ الذَّرِّ ... عليْها لأَنْدَبَتْها الكُلُومُ

وقال بشار بن برد :

مِنْ فَتاةٍ صُبَّ الجمالُ عليها ... فى حَديثٍ كَلَذَّةِ النَّشْوانِ

ثمُّ فارَقْتُ ذاكَ غيرَ ذَميمٍ ... كلُّ عَيْشِ الدُّنيا وَإنْ طَالَ فانِ

وقال مزاحم العقيلى :

تَزِينُ سَنا المَاوِىِّ كلَّ عَشيَّةٍ ... عَلَى غَفلاتِ الزَّيْنِ وَالمتجمّلِ

وُجوهًا لوَ انَّ المُدْلِجينَ اعْتَشَوْا بها ... صَدَعْنَ الدُّجَى حَتى ترَى اللَّيْلَ يَنْجَلِى (٣)

وقال المسعودى :

إنَّ الكِرامَ مَنَاهِبُوكَ المَجْدَ كُلَّهُمْ فَناهِبْ

أَخْلِفْ وَأَتْلِفْ كلُّ شَيْءٍ زَعْزَعَتْهُ الرِّيحُ ذَاهِبْ

---

(١) ويروى : تسيل على حد الظباة

(٢) ويروى : وما مات منا سيد حتف أنفه

(٣) المدلجون : السائرون ليلا

خطبة شداد بن أوس

قال : قام شداد بن أوس وقد أمره معاوية أن ينتقص عليا فقال :

الحمد لله الذى افترض طاعته على عباده وجعل رضاه عند أهل التقوى آثر من رضى خلقه ، على ذلك مضى أولهم وعليه يمضى آخرهم ، أيها الناس ، إن الآخرة وعد صادق يحكم فيها ملك قادر ، و إن الدنيا عرض حاضر يأكل فيها البر والفاجر ، و إن السامع المطيع لله لاحجة عليه ، وإن السامع العاصى لله لاحجة له ، وإن الله إذا أراد بالعباد صلاحا عَمِلَ عليهم صلحاؤهم وقضى بينهم فقهاؤهم وملك المال سمحاؤهم ، وإذا أراد بهم شراً عَمِلَ عليهم سفهاؤهم وقضى بينهم جهلاؤهم وملك المال بخلاؤهم ، و إن من صلاح الولاة أن يصلح قرناؤها ، ونصح لك يامعاوية من أسخطك بالحق وغشك من أرضاك بالباطل . قال : إجلس رحمك الله قد أمرنا لك بمال ! قال : إن كان من مالك الذى تعهدت جمعه مخافة تبعته فأصبته حلالا وأنفقته إفضالا ، فنعم ، و إن كان مما شاركك فيه المسلمون فاحتجنته دونهم فأصبته اقترافا وأنفقته إسرافا فان الله يقول فى كتابه « إِنَّ الْمُبَذِّرِيْنَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِيْنِ »

شىء من أدب معاوية وسياسته

وأذن معاوية للأحنف بن قيس ، وقد وافى معاوية محمد بن الأشعث فقدمه عليه فوجد من ذلك محمد بن الأشعث وأذن له فدخل فجلس بين معاوية والأحنف فقال معاوية : إنا والله ما أذنا له قبلك إلا ليجلس إلينا دونك ، وما رأيت أحداً يرفع نفسه فوق قدرها إلا من ذلة يجدها ، وقد فعلت فعل من أحس من نفسه ذلا وضعة ، و إنا كما نملك أموركم نملك تأديبكم ، فأريدوا منا ما نريده منكم فانه أبقى لكم وإلا قصرْناكُمْ كرها فكان أشد عليكم وأعنف بكم .

وقال معاوية لرجل من أهل سبأ : ما كان أجهل قومك حين ملكوا عليهم امرأة ! فقال : بل قومك أجهل ! قالوا حين دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم

إلى الحق وأراهم البينات « ٱللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَاءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ » ألا قالوا : أللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا له ! !

قال : ولما سقطت ثنيتا معاوية لف وجهه بعمامة ثم خرج إلى الناس فقال : لئن بتليت لقد ابتلى الصالحون قبلي وإني لأرجو أن أكون منهم ، ولئن عوقبت لقد عوقب الخاطئون قبلي وما آمن أن أكون منهم ، ولئن سقط عضوان مني لما بقى أكثر ولو أتى على نفسي لما كان لي عليه خيار تبارك وتعالى ، فرحم الله عبداً دعا بالعافية ، فوالله لئن كان عتب على بعض خاصتكم لقد كنت حدباً على عامتكم

ولما بلغت معاوية وفاة الحسن بن على رضى الله تعالى عنهما دخل عليه ابن عباس فقال له معاوية : آجرك الله أبا العباس فى أبى محمد الحسن بن على — ولم يظهر حزنا — فقال ابن عباس : إنا لله وإنا إليه راجعون ، وغلبه البكاء فرده ثم قال : لا يسد والله مكانه حفرتك ولا يزيد موته فى أجلك ، والله لقد أصبنا بمن هو أعظم منه فقدا فما ضيعنا الله بعده ! فقال له معاوية : كم كانت سنه ؟ قال مولده أشهر من أن تتعرف سنه ! قال : أحسبه ترك أولاداً صغاراً ؟ قال : كلنا كان صغيراً فكبر ، ولئن اختار الله لأبى محمد ما عنده وقبضه إلى رحمته لقد أبقى الله أبا عبدالله (١) وفى مثله الخلف الصالح .

وصية اعرابية لولدها

الأصمعى عن أبان بن ثعلبة قال : مررت بامرأة بأعلى الأرض وبين يديها ابن لها يريد سفراً وهى توصيه فقالت : إجلس أمنحك وصيتى وبالله توفيقك ، وقليل إجدائه عليك أنفع من كثير عقلك : إياك والنمائم فإنها تزرع الضغائن ، ولا تجعل نفسك غرضاً للرماة فإن الهدف إذا رمى لم يلبث أن ينثلم ، ومثل نفسك

(١) ابو عبد الله هو الحسين بن على رضي الله تعالى عنهما

مثالا فما استحسنته من غيرك فاعمل به وما كرهته منه فدعه واجتنبه ، ومن كانت مودته بشره كان كالريح فى تصرفها . ثم نظرت فى فقالت : كأنك ياعراقى أعجبت بكلام أهل البدو ؟ ثم قالت لابنها : إذا هززت فهز كريما فان الكريم يهتز لهزتك ، وإياك واللئيم فانه صخرة لاينفجر ماؤها ، وإياك والغدر فانه أقبح ماتعومل به ، وعليك بالوفاء ففيه النماء ، وكن بمالك جوادا وبدينك شحيحا ، ومن أُعطى السخاء والحلم فقد استجاد الْحُلَّةَ رَيْطَتَهَا وَسِرْبَالَهَا ! إنهض على اسم الله .

وقال أعرابى لرجل مطله فى حاجة : إن مثل الظفر بالحاجة تعجيل اليأس منها إذا عسر قضاؤها ، وإن الطلب وإن قل أعظم قدرا من الحاجة وإن عظمت ، والمطل من غير عسر آفة الجود .

خطب الفضل الرقاشى إلى قوم من بنى تميم فخطب لنفسه فلما فرغ قام أعرابى منهم فقال : توسلت بحرمة وأدليت بحق واستندت إلى خير ودعوت إلى سنة ، ففرضك مقبول وما سألت مبذول ، وحاجتك مقضية إن شاء الله تعالى . قال الفضل : لو كان الأعرابى حمد الله فى أول كلامه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم لفضحنى يومئذ .

وصية الملك المنذر لولى عهده

المدائنى قال : قال الْمُنْذِرُ بنُ الْمُنْذِرِ لما حارب غَسَّانَ بالشام لابنه النُّعْمَانِ يوصيه : إياك واطّراح الاخوان واطراف المعرفة وإياك وملاحاة الملول وممازحة السفيه ، وعليك بطول الخلوة والاكثار من السمر ، والبس من القشر ما يزينك فى نفسك ومروأتك ، واعلم أن جماع الخير كله الحياء ، فعليك به ، وتواضع فى نفسك وانخدع فى مالك ، واعلم أن السكوت عن الأمر الذى يعنيك خير من الكلام فاذا اضطررت إليه فتحر الصدق والايجاز تسلم إن شاء الله تعالى .

كلام فى تعزية بعض الملوك

قال : إن الخلق للخالق والشكر للمنعم والتسليم للقادر ولا بد مما هو كائن ، وقد جاء مالا يرد ولا سبيل إلى رد ماقد فات ، وقد أقام معك ماسيذهب أو ستتركه فما الجزع مما لابد منه وما الطمع فيما لا يرجى وما الحيلة فيما سينقل عنك أو تنقل عنه ؟ وقد مضت أصول نحن فروعها فما بقاء الفرع بعد ذهاب الأصل ؟ أفضل الأشياء عند المصائب الصبر ، و إنما أهل الدنيا سفر لا يحلون الركائب إلا فى غيرها فما أحسن الشكر عند النعم والتسليم عند الغِيَرِ ، فاعتبر بمن رأيت من أهل الجزع فان رأيت الجزع رد أحداً منهم إلى ثقة من درك فما أولاك به . واعلم أن أعظم من المصيبة سوء الخلف منها ، فاتق الله فان المرجع قريب . واعلم أنه إنما ابتلاك المنعم وأخذ منك المعطى وما ترك أكثر ، فان نسيت الصبر فلا تنس الشكر وَكُلاًّ فلا تدع ، واحذر من الغفلة استلاب النعم وطول الندامة فما أصغر المصيبة اليوم مع عظم الغنيمة غداً ، فاستقبل المصيبة بالحسبة تستخلف بها نعما ، فانما نحن فى الدنيا غرض يُنتضل فيه بالمنايا ونهب للمصائب ، مع كل جرعة شَرَقٌ ومع كل أكلة غَصَصٌ ، لا تنال نعمة إلا بفراق أخرى ولا يستقبل مُعَمَّرٌ يوماً من عمره إلا بهدم آخر من أجله ، ولا تحدث له زيادة فى أكله إلا بنفاد ماقبله من رزقه ، ولا يحيى له أثر إلا مات له أثر ، ونحن أعوان الحتوف على أنفسنا وأنفسنا تسوقنا إلى الفنا، فمن أين نرجو البقاء ؟ وهذا الليل والنهار لم يرفعا من شىء شرفا إلا أسرعا الكرة فى هدم مارفعا وتفريق ماجمعا ، فاطلب الخير من أهله ، واعلم أن خيراً من الخير معطيه وشراً من الشر فاعله . وقال أبو نواس :

أَتَتَبَّعُ الظُّرَفَاءَ أَكْتُبُ عَنْهُمُ ... كَيْمَا أُحَدِّثَ مَنْ أُحِبُّ فَيَضْحَكَا

وقال آخر :

قَدَرْتَ فَلَمْ أَتْرُكْ صَلاحَ عَشِيرَتِي ... وَمَا الْعَفْوُ إلاَّ بَعْدَ قُدْرَةِ قَادِرِ

وقال آخر :

أَخُو الجِدِّ إِنْ جَدَّ الرِّجَالُ وَشَمَّرُوا وَذُو بَاطِلٍ إِنْ كَانَ فِي الْقَوْمِ بَاطِلُ

قبيصة بن عمر المهلبي إن رجلا أتى ابن أبي عُيينة فسأله أن يكتب إلى داود ابن يزيد كتاباً ففعل وكتب فى أسفله :

إِنَّ امْرأً قَذَفَتْ إِلَيْكَ بِهِ فِي الْبَحْرِ بَعْضُ مَرَاكِبِ الْبَحْرِ
تَجْرِي الرِّيَاحُ بِهِ فَتَحْمِلُهُ وَتَكُفُّ أَحْيَاناً فَلَا تَجْرِي
وَيَرَى الْمَنِيَّةَ كُلَّمَا عَصَفَتْ رِيحٌ بِهِ لِلْهَوْلِ وَالذُّعْرِ

قال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : ماوجد أحد فى نفسه كبراً إلا من مهانة يجدها فى نفسه . ودخل رجل من بنى مخزوم ، وكان زُبيريا ، على عبدالملك ابن مروان فقال له عبد الملك : أليس قد ردك الله على عقبيك ؟ قال : أو من رد إليك فقد رُد على عقبيه ؟ فاستحيي وعلم أنه قد أساء . وقال المخبل :

إِذَا أَنْتَ لَاقَيْتَ الرِّجَالَ فَلَاقِهِمْ وَعِرْضُكَ مِنْ غَثِّ الْأُمُورِ سَلِيمُ

وقال النَّضْرُ بنُ خَالِدٍ :

كِبْرُهُ يَبْلُغُ الْكَوَاكِبَ إِلَّا أَنَّهُ فِي مُرُوءَةِ الْبَقَّالِ

وقال خدَّاشُ بنُ زُهَيْر :

أَلنَّاسُ تَحْتَكَ أَقْدَامٌ وَأَنْتَ لَهُمْ رَأْسٌ فَكَيْفَ يُسَوَّى الرَّأْسُ وَالْقَدَمُ
إِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّا مَا بَقِيتَ لَنَا فِينَا السَّمَاحُ وَفِينَا الْجُودُ وَالْكَرَمُ
وَحَسْبُنَا مِنْ ثَنَاءِ الْمَادِحِينَ إِذَا أَثْنَوْا عَلَيْكَ بِأَنْ يُثْنُوا بِمَا عَلِمُوا

وقل ابن عباس رضى الله عنهما : كانت قريش تألف منزل أبى بكر رضي الله تعالى عنه لخصلتين : للعلم والطعام ، فلما أسلم أسلم عامة من كان مجالسه .

بعض كلام الاعراب

قل الأصمعى وقف أعرابى يسأل فقال :

أَلاَ فَتًى أَرْوَعُ ذُو جَمَالِ مِنْ عَرَبِ النَّاسِ أَوِ الْمَوَالِي
يُعِينُنِي الْيَوْمَ عَلَى عِيَالِي قَدْ كَثُرُوا هَمِّى وَقَلَّ مَالِي
وَسَاقَهُمْ جَدْبٌ وَسُوءُ حَالِ وَقَدْ مَلِلْتُ كَثْرَةَ السُّؤَالِ

وقال أعرابى :

يَابْنَ الْكِرَامِ وَالِدًا وَوَلَدَا لاَ تَحْرِمَنَّ سَائِلاً تَعَمَّدَا
أَفْقَرَهُ دَهْرٌ عَلَيْهِ قَدْ عَدَا مِنْ بَعْدِ مَا كَانَ قَدِيماً سَيِّدَا

وقال أعرابى : أللهم أسألك قلباً توابا أوّابا لا كافراً ولا مرتاباً . وهب رجل لأعرابى شيأ فقال : جعل الله للخير عليك دليلا وجعل عندك رفداً جزيلا وأبقاك بقاء طويلا وأبلاك بلاء جميلا . وقف أعرابى على قوم فمنعوه فقال : أللهم اشغلنا بذكرك وأعذنا من سخطك وأولجنا إلى عفوك ، فقد ضن خلقك برزقك فلا تشغلنا بما عندهم عن طلب ما عندك وآتنا من الدنيا القُنْعَانَ ، وان كان كثيرها يسخطك فلا خير فيما يسخطك . الأصمعى قال : سمعت أعرابياً يدعو وهو يقول : اللهم اغفرلى إذا الصحف منشورة والتوبة مقبولة قبل أن لا أقدر على استغفارك حين ينقطع الأمل ويحضر الأجل ويفنى العمل . وقال : سمعت أعرابياً يدعو وهو يقول : أللهم ارزقنى مالا أكبت به الاعداء ، وبنين أصول بهم على الأقوياء .

وكان منادى سعد بن عبادة يقول على أُطُمِهِ من : أراد خبزاً ولحماً فليأت أُطُمَ سعد . وخلفه قيس بن سعد ابنه وكان يفعل كفعله فاذا أكل الناس رفع يده إلى السماء وقال : أللهم إنى لاأصلح على القليل ولايصلح القليل لى ، أللهم هب لى حمداً ومجداً ، لأنه لاحمد إلا بفعال ولا مجد إلا بمال .

وقال أعرابى : أللهم إن لك على حقوقا فتصدق بها على ، وللناس على حقوقاً فأدها عنى ، وقد أوجبت لكل ضيف قرى وأنا ضيفك ، فاجعل قراى فى هذه الليلة الجنة . وقف أعرابى على قوم يسألهم فأنشأ يقول :

هَلْ مِنْ فَتًى عِنْدَهُ خُفَّانِ يَحْمِلُنِي عَلَيْهِمَا إِنَّنِي شَيْخٌ عَلَى سَفَرِ

أشكو إلى الله أهوالاً أمارسها ... من الصداع وأني سيئ البصر
إذا سرى القوم لم أبصر طريقهم ... إن لم يكن عندهم ضوء من القمر

الأخفش قال : خرج أعرابي يطلب الصدقة ومعه ابنتان له فقالت ابنته لما رأت إمساك الناس عنه :

يا أيها الراكب ذو التعريس ... هل فيكم من طارد للبوس
عن ذي هداج بين التقويس ... بفضل سربال له دريس
أو فاضل من زاده خسيس ... أثابه الرحمن بالنفيس

ووقف سائل على الحسن فقال : رحم الله عبداً أعطى من سعة أو آسى من كفاف أو آثر من قلة .

وقال الطائي [حبيب بن أوس أبو تمام] (١)

فتى كلما فاضت عيون قبيلة ... دماً ضحكت عنه الأحاديث والذكر
فتى مات بين الطعن والضرب ميتة ... تقوم مقام النصر إذ فاته النصر

وقال : (٢)

بكر إذا ابتسمت أراك وميضها ... نور الإقاح برملة ميعاس (٣)
وإذا مشت تركت بصدرك ضعف ما ... بحليها من كثرة الوسواس (٤)

---

(١) هذان البيتان من قصيدة قالها يرثي بها محمد بن حميد الطوسي أولها :

كذا فليجل الخطب وليفدح الأمر ... فليس لعين لم يفض ماؤها عذر
توفيت الآمال بعد محمد ... وأصبح في شغل عن السفر السفر
وما كان إلا مال من قل ماله ... وذخراً لمن أمسى وليس له ذخر
وما كان يدري مجتدي جود كفه ... إذا ما استهلت أنه خلق العسر
ألا في سبيل الله من عطلت له ... فجاج سبيل الله وانثغر الثغر

فتى كلما فاضت . . وبعدي :

فتى دهره شطران فيما ينوبه ... ففي بأسه شطر وفي جوده شطر

(٢) هذه الأبيات من قصيدة يمدح بها الأمير احمد بن المعتصم ، أولها :

ما في وقوفك ساعة من بأس ... نقضي ذمام الأربع الأدراس

(٣) الرملة الميعاس : اللينة التي سحها المطر

(٤) الذي في الديوان : تركت بقلبك .

قَالَتْ وَقَدْ حُمَّ الْفِرَاقُ فَكَأْسُهُ ... قَدْ خُولِطَ السَّاقِي بِهَا وَالْحَاسِي
لَا تَنْسَيَنْ تِلْكَ الْعُهُودَ فَإِنَّمَا ... سُمِّيتَ إِنْسَانًا لِأَنَّكَ نَاسِي
هَدَأَتْ عَلَى تَأْمِيلِ أَحْمَدَ هِمَّتِي ... وَأَطَافَ تَقْلِيدِي بِهَا وَقِيَاسِي
نَوْرُ الْعَرَارَةِ نَوْرُهُ وَنَسِيمُهُ ... نَشْرُ الْخُزَامَى فِي اخْضِرَارِ الْآسِ (١)
إِقْدَامُ عَمْرٍو فِي سَمَاحَةِ حَاتِمٍ ... فِي حِلْمِ أَحْنَفَ فِي ذَكَاءِ إِيَاسِ (٢)
لَا تُنْكِرُوا ضَرْبِي لَهُ مَنْ دُونَهُ ... مَثَلًا شَرُودًا فِي النَّدَى وَالْبَاسِ
فَاللهُ قَدْ ضَرَبَ الْأَقَلَّ لِنُورِهِ ... مَثَلًا مِنَ الْمِشْكَاةِ وَالنِّبْرَاسِ

وقال : (٣)

إِحْفَظْ رَسَائِلَ شِعْرٍ فِيكَ مَاذَهَبَتْ ... خَوَاطِرُ الْبَرْقِ إِلَّا دُونَ مَاذَهَبَا (٤)
يَغْدُدْنَ مُغْتَرِبَاتٍ فِي الْبِلَادِ فَمَا ... يَزَلْنَ يُؤْنِسْنَ فِي الْآفَاقِ مُغْتَرِبَا (٥)
وَلَا تُضِعْهَا فَمَا فِي الْكَوْنِ أَحْسَنُ مِنْ ... نَظْمِ الْقَوَافِي إِذَا مَاصَادَفَتْ أَدَبَا (٦)

أسر رؤبة في بعض حروب تميم فمنع الكلام فجعل يصرخ : يا صباحاه ،

---

(١) نور العرار : زهر البهار

(٢) عمرو : هو عمرو بن معدى كرب . حاتم : هو حاتم الطائى . احنف : هو الاحنف بن قيس . اياس : هو اياس بن معاوية المزنى . ولهذه الابيات حكاية طريفة . كان ابو إسحق الكندى الفيلسوف عند احمد بن المعتصم وقد دخل اليه ابو تمام فأنشده قصيدته هذه فلما بلغ إلى قوله : اقدم عمرو . البيت . قال الكندى : ماصنعت شيئا ! قال : كيف ؟ قال مازدت على ان شبهت ابن امير المؤمنين بصعاليك العرب ، وقد تجاوز شعراء دهرنا بالممدوح من كان قبله ، الا ترى الي قول العكوك فى ابى دلف :

رجل ابر على شجاعة عامر ... بأسا وغبر فى محيا حاتم

فاطرق ابو تمام ثم انشد : البيتين : لا تنكروا ضربى . ولم يكونا فى القصيدة ، فتعجب منه ، ثم طلب ان تكون الجائزة ولاية عمل ، فاستصغر عن ذلك فقال الكندى : ولوه فانه قصير العمر لان ذهنه ينحت من قلبه . فكان كما قال

(٣) من قصيدة يعاتب فيها اسحق بن ابراهيم المصعبى ، اولها :

قل للامير الذى قد نال ما طلبا ... ورد من سالف المعروف ماذهبا

(٤) فى الديوان : احفظ وسائل شعرى .

(٥) فى الديوان : يغدون

(٦) فى الديوان : ماصادفت حسبا

يا بنى تميم ، أطلقوا من لسانى .[١] وربما قال الشاعر فى هجائه قولا لا يعيب به المهجو فيمتنع من فعله المهجو وإن كان لا يلحق فاعله ذم ، وكذلك إذا مدحه بشىء أولع بفعله وإن كان لا يصير إليه بفعله مدح ، فمن ذلك تقدم كلثم بنت سُريع مولى عمرو بن حريث إلى عبد الملك بن عمير وهو على قضاء الكوفة تخاصم أهلها ، فقضى لها عبد الملك على أهلها ، فقال هذيل الأشجعى :

أتاهُ وَليدٌ بالشُّهودِ يقُودُهُمْ … عَلَى مَا ادَّعَى مِنْ صَامِتِ المَالِ والخَوَلْ
وجاءت إليهِ كلثمٌ وكلامُها … شِفاءٌ مِنَ الداءِ المُخامِرِ والخَبَلْ
فأدلى وَليدٌ عِندَ ذاكَ بحقِّهِ … وَكانَ وَليدٌ ذا مِراءٍ وَذا جَدَلْ
وَكانَ لها دَلٌّ وَعَيْنٌ كحيلَةٌ … فأدْلَتْ بحُسْنِ الدَّلِّ مِنْها وبالكَحَلْ
ففتَّنَتِ القِبْطِىَّ حَتَى قضَى لهَا … بِغيرِ قضاءِ اللهِ فى السُّوَرِ الطوَلْ
فلوْ كانَ مَنْ بالقصْرِ يَعلمُ عِلمَهُ … لَما استُعْمِلَ القِبْطِىُّ فِينا عَلَى عَمَلْ
لهُ حِينَ يقضى لِلنِّساءِ تخاوُصٌ … وَكانَ وَمافيهِ التَّخاوُصُ والحَوَلْ
إذا ذَاتُ دلٍّ كلَّمتْهُ بحاجَةٍ … فهَمَّ بأنْ يَقضِى تنَحْنَحَ أوْ سَعَلْ
وَبرَّقَ عَيْنَيْهِ وَلاكَ لِسانَهُ … يرَى كلَّ شَىْءٍ ماخَلاشَخْصَها جلَلْ

قال : فقال عبد الملك : أخزاه الله [والله] لربما جاءتنى السعلة أو النحنحة وأنا فى المتوضأ فأذكر قوله فأردها لذلك . وزعم الهيثم بن عدى عن أشياخه أن الشاعر لما قال فى شهر بن حوشب :

لقدْ باعَ شَهْرٌ دِينَهُ بخَرِيطَةٍ … فمَنْ يأمَنِ القُرَّاءَ بعْدَكَ ياشَهرُ

ماس خريطة حتى مات . وقال رجل من بنى تغلب ، وكان ظريفا : ما لقى أحد من تغلب ما لقيت أنا ! قلت : وكيف ذاك ؟ قال : قال الشاعر[٢]

(١) انظر ص ١٨٤ من الجز الاول

(٢) الشاعر هو جرير بن عطية الخطفى يهجو الاخطل ، وهى قصيدة طويلة اولها :

حي الغداة برامة الاطلالا … رسما تحمل اهله فأحالا

لا تَطْلُبَنَّ خُؤُولَةً في تَغْلِبٍ ... فالزَّنْجُ أكرمُ منهمُ أخوالا
لو أنَّ تغلبَ جَمَّعتْ أحسابَها ... يومَ التفاخُرِ لم يَزِنْ مِثقالا
تلقاهُمُ حُلَماءَ عن أعدائِهِمْ ... وعلى الصَّديقِ تراهُمُ جُهَّالا
والتَّغلبيُّ إذا تنحنحَ للقِرَى ... حكَّ اسْتَهُ وتمثَّلَ الأمثالا

والله إنى لأتوهم أن لو نهشت استى الأفاعى ما حككتها .

كلام فى مقامات الشعراء فى الجاهلية والاسلام

وكان الشاعر أرفع قدراً من الخطيب وهم إليه أحوج لرده مآثرهم عليهم وتذكيرهم بأيامهم ، فلما كثر الشعراء وكثر الشعر صار الخطيب أعظم قدراً من الشاعر، والذين هجو فوضعوا من قدر من هجوه ومدحوا فرفعوا من قدر من مدحوه وهجاهم قوم فردوا عليهم فأفحموهم وسكت عنهم بعض من هجاهم مخافة التعرض لهم وسكتوا عمن هجاهم رغبة بأنفسهم عن الرد عليهم ، وهم فى الاسلام : جرير والفرزدق والأخطل ، وفى الجاهلية : زهير وطرفه والأعشى والنابغة . هذا قول أبى عبيدة . وزعم أبو عمرو بن العلاء : أن الشعر فتح بامرىء القيس وختم بذى الرمة . ومن الشعراء من يُحكم القريض ولا يُحسن من الرجز شيئاً ، ففى الجاهلية منهم : زهير والنابغة والأعشى، وأما من يجمعهما فامرؤ القيس وله شىء من الرجز ، وطرفة وله كمثل ذلك ، ولبيد وقد أكثر ، ومن الاسلاميين من لايقدر على الرجز وهو فى ذلك يجيد القريض : كالفرزدق وجرير ، ومن يجمعهما كأبى النجم وحميد الأرقط والعمانى و بشار بن برد ، وأقل من هؤلاء يحكم القصيد والأرجاز والخطب ، وكان الكميت والبعيث والطرماح شعراء خطباء ، وكان البعيث أخطبهم ، وقال يونس إن كان مغلباً فى الشعر لقد كان غلب فى الخطب . وإذا قالوا : غلب فهو الغالب . وقال الحسين بن مطير الأسدى : (١)

(١) مضت هذه الابيات فى ص ١٥١ من هذا الجزء

فيا قبرَ معنٍ كنتَ أولَ حفرةٍ ... من الأرض خُطّت للمكارم مضجعا
فلمّا مضى معنٌ مضى الجودُ والندى ... وأصبح عِرنينُ المكارم أجدعا
فتًى عيشَ فى معروفه بعد موته ... كما كان بعدَ السيلِ مجراه مرتعا
تعزَّ أبا العبّاسِ عنه ولا يكنْ ... جزاؤك من معنٍ بأنْ تتضعضعا
فما مات من كنتَ ابنه، لا ولا الذى ... له مثلُ ما أسدى أبوكَ وما سعى
تمنّى أناسٌ شأوه من ضلالهم ... فأضحوا على الأذقانِ صرعى وظُلَّعا

وقال مسلم الأنصارى يرثى يزيد بن مزيد :(١)

قبرٌ ببرذعة استسرّ ضريحُهُ ... خطراً تقاصرُ دونه الأخطارُ
أبقى الزمانُ على معدٍّ بعده ... حزناً كعمرِ الدهرِ ليس يُعارُ
نفضت به الآمالُ أحلاسَ الغنى ... واسترجعتْ نزّاعها الأمصارُ
فاذهبْ كما ذهبتْ غوادى مزنةٍ ... أثنى عليها السهلُ والأوعارُ

وقال هِمام الرقاشى :(٢)

أبلغْ أبا مسمعٍ عنّى مغلغلةً ... وفى العتابِ حياةٌ بين أقوامِ
قدّمتَ قبلى رجالاً لم يكنْ لهمْ ... فى الحقّ أن يلجوا الأبوابَ قدّامى
لو عُدَّ قبرٌ وقبرٌ كنتُ أكرمهم ... قبراً وأبعدَهم من منزلِ الذامِ
حتّى جعلتُ إذا ما حاجةٌ عرضتْ ... ببابِ قصرِكَ أدلوها بأقوامِ

وقال الأبيرد الرياحى يرثى أخاه :(٣)

(١) مضت هذه الابيات فى ص ١٠٢ من هذا الجزء
(٢) كان بالاصول : هاشم ، فاصلحناه على ماجاء فى ص ٢٥٢ من الجزء الثانى
(٣) هو ابو المنذر بن قيس اليربوعى الرياحى ، شاعر بدوى فصيح مقل من شعراء الاسلام فى اول الدولة الاموية ، ولم يمدح احدا من خلفائها ولم يفد على احد من امرائها . وهذه الابيات من قصيدة جيدة يرثى بها اخاه بريدا .

فَتًى إنْ هُوَ استَغْنَى تَخَرَّقَ فِي الْغِنَى ... وَإنْ قَلَّ مَالٌ لَمْ يَؤُدْ مَتْنَهُ الْفقر (١)
وَسَامَى جَسِيمَاتِ الْأُمُورِ فنالها ... عَلَى الْعُسْرِ حَتَّى يُدْرِكَ الْعُسْرَةَ الْيُسْر (٢)
تَرَى الْقَوْمَ فى الْعَزَّاءِ يَنْتَظِرُونَهُ ... إذَا شَكَّ رَأْيُ الْقَوْمِ أَوْ حَزَبَ الْأَمْر (٣)
فَلَيْتَكَ كُنْتَ الْحَيَّ فى النَّاسِ بَاقِيًا ... وَكُنْتُ أنَا الْمَيْتَ الَّذِى غَيَّبَ الْقبرُ
لَقَدْ كُنْتُ أَسْتَعْفِى الْإِلٰهَ إذا اشْتَكَى ... مِنَ الْأَجْرِ لى فيهِ وَإِنْ سَرَّنى الْأَجْرُ
وَأَجْزَعُ أَنْ يَنْأَى بِهِ بَيْنُ لَيْلَةٍ ... فَكَيْفَ بِبَيْنٍ صَارَ مِيعَادَهُ الْحَشْرُ

وقال أبو عبيدة: أنشدنى رجل من بنى عجل:

وَكُنْتُ أُعِيرُ الدَّمْعَ قبلكَ مَنْ بكى ... فأَنْتَ عَلَى مَنْ مَاتَ بَعْدَكَ شَاغِلُهْ
لَقَدْ رَحَلَ الحيُّ الْمُقِيمُ وَوَدَّعُوا ... فَتًى لَمْ يَكُنْ بإِزَائِهِ مَنْ يُنَازِلُهْ
وَلَمْ يَكُ يَخْشَى الْجَارُ مِنْهُ إذا دَنَا ... أَذَاهُ وَلَا يَخْشَى الْحَرِيمَةَ سائلُهْ
فَتًى كَانَ لِلمَعْرُوفِ يَبْسُطُ كَفَّهُ ... إذا قُبِضَتْ كَفُّ الْبَخِيلِ وَنَائِلُهْ

قال: دخل مَعْنُ بنُ زَائِدَةَ على أبى جعفر المنصور فقارب فى خطوه فقال المنصور: لقد كبرت سنك! قال: فى طاعتك، قال: وإنك لجَلْدٌ! قال: على أعدائك، قال: وأرى فيك بقية! قال: هى لك.

كتاب عبد الملك الى عمرو بن سعيد الاشدق

قال: كتب عبد الملك بن مروان إلى عمرو بن سعيد الاشدق حين خرج عليه: أما بعد فان رحمى لك تصرفنى عن الغضب عليك لتمكن الخُدَع منك وخذلان التوفيق إياك، نهضت بأسباب وَهَمَتْكَ أطماعك أن تستفيد بها عزاً كنت جديراً لو اعتدلت أن لاتدفع بها ذلا، ومن رحل عنه حسن النظر واستوطنته الأمانى ملك

(١) تخرق: توسع في الكرم والجود حتى كأنه الاخرق الذى لا يحسن شيئا. ويروى: لم يضع
(٢) ويروى: حتى ادرك العسر اليسر
(٣) العزاء: الامر الخطير

الحين تصريفه واستترت عنه عواقب أمره ، وعن قليل يتبين من سلك سبيلك ونهض بمثل أسبابك أنه أسير غفلة وصريع خُدَعٍ ومغيض ندم ، والرحم تحمل على الصفح عنك ما لم تحل بك عواقب جهلك وتزجر عن الايقاع بك ، وأنت إن ارتدعت كنت فى كنف وستر، والسلام.

رد عمرو بن سعيد على عبد الملك

فكتب إليه عمرو:

أما بعد فان استدراج النعم إياك أفادك البغى ، ورائحة القدرة أورثتك الغفلة ، زجرت عما واقعت مثله وندبت إلى ما تركت سبيله ، ولو كان ضعف الأسباب يؤيس الطلاب ما انتقل سلطان ولا ذل عزيز، وعن قليل تتبين مَن أسير الغفلة وصريع الخدع ، والرَّحم تعطف على الابقاء عليك مع دفعك عما غيرُك أقوم به منك ، والسلام .

كتاب عمر بن عبد العزيز الى عمر بن الوليد

قال أبو الحسن : كتب عمر بن عبد العزيز إلى عمر بن الوليد بن عبد الملك :

أما بعد فانك كتبت تذكر أن عاملا أخذ مالك بالحَمَّة [1] وتزعم أنى من الظالمين! وإن أظلم منى وأترك لعهد الله مَن أمّرك صبيا سفيها على جيش من جيوش المسلمين لم تكن له فى ذلك نية إلا حب الوالد لولده ، وإن أظلم منى وأترك لعهد الله لأنت، فأنت عمر بن الوليد وأمك صناجة [2] تدخل دور حمص وتطوف فى حوانيتها! رويدك أن لو قد التقت خلقتا البطان لحلتك وأهل بيتك على المحجة البيضاء فطالما ركبتم ثنيات الطريق مع أنى قد هممت أن أبعث اليك من يحلق دلادلك ! فانى أعلم أنها من أعظم المصائب عليك ، والسلام .

شدة مراقبة عبد الملك لولاته

قال أبو الحسن : كان عبد الملك بن مروان شديد اليقظة كثير التعاهد

(١) الحمة : اسم مكان

(٢) صناجة : تضرب بالصنج

لولاته ، فبلغه أن عاملا من عماله قبل هدية فأمر باشخاصه اليه ، فلما دخل عليه قال له : أقبلت هدية منذ وليتك ؟ قال : ياأمير المؤمنين بلادك عامرة وخراجك موفور ورعيتك على أفضل حال ! قال : أجب فيما سألتك عنه أقبلت هدية منذ وليتك ؟ قال : نعم. قال: لئن كنت قبلت ولم تعوض إنك للئيم ، ولئن أنلت مهديك لامن مالك أو استكفيته مالم يكن يُستكفاه إنك لجائر خائن ، ولئن كان مذهبك أن تعوض المهدى إليك من مالك وقبلت ما اتهمك به عند من استكفاك وبسط لسان عائبك وأطمع أهل عملك إنك لجاهل ، وما فيمن أتى أمراً لم يخل فيه من دناءة أو خيانة أو جهل مصطنعٌ . ! نحياه عن عمله .

قال أبو الحسن : عرض أعرابى لعتبة بن أبى سفيان وهو على مكة فقال : أيها الخليفة ! قال : لستُ به ولم تبعد ، قال: ياأخاه ، قال : أسمعت فقل ، قال : شيخ من بنى عامر يتقرب إليك بالعمومة ويختص بالخؤلة ويشكو إليك كثرة العيال ووطأة الزمان وشدة فقر وترادف ضر ، وعندك ما يسعه ويصرف عنه بؤسه ! قال : أستغفر الله منك وأستعينه عليك ، وقد أمرت لك بغناك ، وليت اسراعى إليك يقوم بابطائى عنك.!وقال أعرابى يعيب قوما : هم أقل الناس ذنوبا إلى أعدائهم وأكثرهم جُرما إلى أصدقائهم،يصومون عن المعروف ويفطرون على الفحشاء .

وقال مُجّاعَةُ بنُ مُرَارٍ لأبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه : إذا كان الرأى عند من لا يُقبل منه والسلاح عند من لا يستعمله وكان المال عند من لا ينفقه ، ضاعت الأمور. الأصمعى قال : نعت أعرابى رجلا فقال : كأن الألسن والقلوب ريضت له فما تنعقد إلا على وده ، ولا تنطق إلا بثنائه . وقال أعرابى : وعد الكريم نقد وتعجيل ووعد اللئيم مطل وتعليل . أتى أعرابى عمر بن عبد العزيز فقال : رجل من أهل البادية ساقته الحاجة وانتهت به الفاقة ، والله يسألك عن مقامى غدا.! فبكى عمر . قال الشاعر :

وَمَنْ يُبْقِ مالا عُدَّةً وَصِيانةً فَلا البُخْلُ مُبْقِيهِ وَلا الدَّهْرُ وَافِرُهُ
وَمَنْ يَكُ ذا عُودٍ صَلِيبٍ يُعِدُّهُ لِيَكْسِرَ عُودَ الدَّهْرِ فالدَّهْرُ كاسِرُهُ

وقال أبان بن الوليد لإياس بن معاوية : أنا أغنى منك ! فقال إياس : بل أنا أغنى منك ! قال أبان : وكيف ولى كذا وكذا ! وعدد أموالا ، قال : إن كسبك لايفضل عن مؤنتك ، وكسبى يفضل عن مؤنتى . وكان يقال : حاجب الرجل عامله على عرضه .

وقال أبو الحسن: رأيت امرأة أعرابية غمضت ميتا وترحمت عليه ثم قالت : ما حق من ألبس العافية وأطيلت له النظِرة أن لا يعجز عن النظر لنفسه قبل الحلول بساحته والحيالة بينه وبين نفسه !؟

وقال ابن الزبير لمعاوية حين أراد أن يبايع لابنه يزيد : أتقدم ابنك على من هو خير منه ؟ قال : كأنك تريد نفسك ؟ إن بيته بمكة فوق بيتك ! قال ابن الزبير : إن الله رفع بالاسلام بيوتا فبيتى مما رفع ! قال معاوية : صدقت ، وبيت حاطب بن أبي بلتعة ! وقال: عاتب أعرابى أباه فقال : إن عظيم حقك علىَّ لا يذهب صغير حقى عليك ،والذى تمتُّ إلىَّ به أمت بمثله إليك ، ولست أزعم أنا سواء ، ولكنى أقول : لا يحل لك الاعتداء . قال: مدح رجل قوماً فقال: أدبتهم الحكمة وأحكمتهم التجارب ولم تغررهم السلامة المنطوية على الهلكة ، ورحل عنهم التسويف الذى قطع الناس به آجالهم ،فأحسنوا المقال وشفعوه بالفعال . وقال بعض الحكماء : ألتواضع مع السخافة والبخل أحب عند العلماء من الكبر مع السخاء والأدب فأعظم بحسنة عفت عن سيئتين ، وأفظِع بعيب أفسد من صاحبه حسنتين . وقيل لرجل : مات صديق لك !فقال : رحمة الله عليه ، لقد كان يملأ العين جمالا والأذن بيانًا ، ولقد كان يرجى فلا يخشى و يَعطى ولا يُعطى ، قليلا لدى الشر حضوره سليما للصديق ضميره .

وقام أعرابي ليسأل فقال : أين الوجوه الصباح والعقول الصحاح والألسن الفصاح

والأنساب الصُّراح والمكارم الرّباح والصدور الفساح تعيذنى من مقامى هذا ..؟!
ومدح بعضهم رجلا فقال : ما كان أفسح صدره وأبعد ذكره وأعظم قدره وأنفذ أمره وأعلى شرفه وأربح صفقة من عرفه ، مع سعة الفَناء ، وعظم الإتاء ، وكرم الآباء .

وقال على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه لصعصعة بن صوحان : والله ما علمتك إلا كثير المعونة قليل المؤنة ، فجزاك الله خيراً ، فقال صعصعة : وأنت فجزاك الله أحسن من ذلك ، فانك ما علمتك إلا بالله عليم والله فى عينك عظيم .

وصية عبد الملك بن صالح العباسى لابنه

قال أبو الحسن : أوصى عبد الملك بن صالح إبنا له فقال : أى بنى ، إحلم فان من حلم ساد ومن تفهم ازداد ، والق أهل الخير فان لقاءهم عمارة للقلوب ، ولا تجمح بك مطية اللجاج ، وفيك من أعتبك والصاحب المناسب لك ، والصبر على المكروه يعصم القلب ، ألمزاح يورث الضغائن ، وحسن التدبير مع الكفاف خير من الكثير مع الإسراف ، والإقتصاد يثمر القليل والاسراف يُبير الكثير ، ونعم الحظ القناعة ، وشر ما صحب المرء الحسد ، وما كل عورة تصان ، ورب ما أبصر العمىُّ رشده وأخطأ البصير قصده ، والياس خير من الطلب إلى الناس ، والعفة مع الحِرفة خير من الغنى مع الفجور ، ارفق فى الطلب واجمل فى المكسب ، فانه رب طلب قدجر إلى حَرَبٍ ، ليس كل طالب بمنجح ولا كل ملح بمحتاج ، والمغبون من غُبن نصيبه من الله . عاتب من رجوت عُتباه وفاكه من أمنت بلواه ، لا تكن مضحا كا من غير عَجب ولا مشاء إلى غير أرب ، ومن نأى عن الحق أضاق مذهبه ، ومن اقتصر على حاله كان أنعم لباله ، لا يكبرن عليك ظلم من ظلمك فانه إنما سعى فى مضرته ونفعك ، وعود نفسك السماح وتخير لها من كل خلق أحسنه ، فن الخير عادة والشر لجاجة ، والصدود آية المقت والتعلل آية البخل ، ومن الثقة كتمان السر ولقاح المعرفة دراسة العلم وطول التجارب زيادة فى العقل والقناعة راحة الأبدان

والشرف التقوى ، والبلاغة معرفة رتق الكلام وفتقه ، بالعقل تستخرج الحكمة وبالحلم يستخرج غور العقل ، ومن شمر فى الأمور ركب البحور ، شر القول ما نقض بعضه بعضا ، ومن سعى بالنميمة حذره البعيد ومقته القريب ، من أطال النظر بإرادة تامة أدرك الغاية ، ومن توانى فى نفسه ضاع ، من أسرف فى الأمور انتشرت عليه ومن اقتصد اجتمعت له ، واللجاجة تورث الضياع للأمور ، غب الأدب أحمد من ابتدائه ، مبادرة الفهم تورث النسيان ، سوء الاستماع يعقب العى ، لا تحدث من لا يقبل بوجهه عليك ولا تنصت لمن لا ينمى بحديثه إليك ، البلادة للرجل هُجنة ، قلّ مالك إلا استأثر ، وقل عاجز إلا تأخر ، الاحجام عن الأمور يورث العجز والإقدام عليها يورث اجتلاب الحظ ، سوء الطُّعمة يفسد العرض ويُخلق الوجه ويمحق الدين ، الهيبة قرين الحرمان والجسارة قرين الظفر ، وفيُّك من أنصفك وأخوك من عاتبك وشريكك من وفى لك وصفيك من آثرك ، أعدى الأعداء العقوق ، إتباع الشهوة يورث الندامة ، وفوت الفرصة يورث الحسرة ، جماع أركان الأدب التأنى للرفق ، إكرم نفسك عن كل دنية وإن ساقتك إلى الرغائب فانك لا تجد بما تبذل من دينك ونفسك عوضا ، لا تباعد النساء فيملنك واستبق من نفسك بقية فانهن إن يرين أنك ذو اقتدار خير من أن يطلعن منك على انكسار ، لا تملك المرأة الشفاعة لغيرها فتميل من شفعة لها عليك معها . أى بنى ، إنى قد اخترت لك الوصية ومحضتك النصيحة وأديت الحق إلى الله فى تأديبك فلا تغفلن الأخذ بأحسنها والعمل بها ، والله موفقك .

قال الغنوى : احتضر رجل منا فصاحت ابنته ففتح عينيه وهو يكيد بنفسه فقال :

عَزاءٍ لا أبَا لَكِ إنَّ شيئاً   تولّى لَيْسَ يُرْجِعهُ الحَنينُ

وقال بعض الشعراء :

وَما إنْ قَتلْناهُمْ بأ كْثرَ مِنهُمُ   وَلٰكِنْ بأوْفَى بالطِّعَانِ وَأكْرَما

المدائني قال: كان يقال: إذا انقطع رجاؤك من صديقك فألحقه بعدوك. وقال عبد الملك بن صالح: لا يكبرن عليك ظلم من ظلمك فإنما سعى في مضرته ونفعك. وقال مصعب بن الزبير: ألتواضع أحد مصائد الشرف.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه: إياك ومؤاخاة الأحمق فإنه ربما أراد أن ينفعك فضرك.

وكانوا يقولون: عشر في عشرة هي فيهم أقبح منها في غيرهم: ألضيق في الملوك، والغدر في ذوي الأحساب، والحاجة في العلماء، والكذب في القضاة، والغضب في ذوي الألباب، والسفاهة في الكهول، والمرض في الأطباء، والاستهزاء في أهل البأس، والفخر في أهل الفاقة، والشح في الأغنياء.

ووصف بعض الأعراب فرساً فقال: قد انتهى ضموره وذبل فريره وظهر حصيره وتفلقت غروره واسترخت شاكلته، يقبل بزبرة الأسد ويدبر بعجز الذئب

مات ابن لسليمان بن على فجزع عليه جزعا شديداً، وامتنع من الطعام والشراب، وجعل الناس يعزونه فلا يحفل بذلك، فدخل عليه يحيى بن منصور فقال: عليكم نزل كتاب الله فأنتم أعلم بفرائضه، ومنكم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنتم أعرف بسنته، ولست ممن يُعلّم من جهل ولا يقوّم من عوج، ولكني أعزيك ببيت من شعر، قال: هاته، قال:

وَهوَّنَ مَا أَلْقَى مِنَ الْوَجْدِ أَنَّنِي أُسَاكِنُهُ فِي دَارِهِ الْيَوْمَ أَوْغَدَا

قال: أعد، فأعاد، فقال: ياغلام الغداء. قال: دعا أعرابي في طريق مكة فقال: هل من عائد بفضل أو مواس من كفاف؟ فأمسك عنه فقال: أللهم لا تكلنا إلى أنفسنا فنعجز ولا إلى الناس فنضيع.

قال أبو الحسن: جاء خلف الأحمر إلى حلقة يونس حيث مات أبو جعفر فقال: قَدْ طَرَقَتْ بِبِكْرِهَا بِنْتُ طَبَقْ (١)

(١) بنت طبق: الداهية النكراء

فقال له يونس : ماذا ؟ فقال : فذمرُ وهاخبرَ اضخمَ العَنَق(١)

فقال يونس : وماهذا ؟ فقال : موْتُ الإمامِ فِلقَةٌ مِنَ الفِلَقْ

قال أبو الحسن : أراد رجل أن يكذب بلالا (٢) فقال له يوماً : يا بلال ، ماسن فرسك ؟ قال : عظم ! قال : فكيف جريه ؟ قال : يحضر ما استطاع ! قال: فأين ينزل ؟ قال: موضعاً أضع فيه رجلى . فقال له الرجل : لا أعنتك أبداً .

قال : ودخل رجل على شريح القاضى يخاصم امرأة له فقال : ألسلام عليكم، قال : وعليكم ، قال: إنى رجل من أهل الشام ، قال : بعيد سحيق ، قال : وإنى قدمت إلى بلدكم هذا ، قال : خير مقدم ، قال :وإنى تزوجت امرأة ، قال : بالرّفاء والبنين ، قال : وإنها ولدت غلاما ، قال : ليهنك الفارس ، قال : وقد كنت شرطت لها صداقها ، قال : ألشرط أملك ، قال : وقد أردت الخروج بها إلى بلدى، قال: ألرجل أحق بأهله . قال : فاقض بيننا ؟ قال : قد فعلت .

قال : وخرج الحجاج ذات يوم فأصحر وحضر غداؤه فقال : إطلبوا من يتغدى معى ؟ فطلبوا فاذا أعرابى فى شملة فأتى به ، فقال : السلام عليكم ، قال : هلم أيها الأعرابى ؟ قال : قد دعانى من هو أكرم منك فأجبته . قال : ومن هو ؟ قال: دعانى الله ربى إلى الصوم فأنا صائم ! قال: وصوم فى مثل هذا اليوم الحار ! قال : صمت ليوم هو أحر منه ، قال : فافطر اليوم وصم غداً ؟ قال : ويضمن لى الأمير أنى أعيش إلى غد ؟ قال : ليس ذاك اليه ! قال : فكيف يسألنى عاجلا بآجل ليس إليه ؟ قال : إنه طعام طيب . قال : ماطيبه خبازك ولا طباخك ! قال : فمن طيبه ؟ قال : العافية . قال الحجاج : بالله إن رأيت كاليوم ! أخرجوه .

قال أبُو عَمْرو : خرج صَعْصعةُ بنُ صوحان عائداً إلى مكة فلقيه رجل فقال له: ياعبد الله ، كيف تركت الأرض ؟ قال : عريضة أريضة ، قال : إنما عنيت السماء؟ قال: فوق البشر ومدى البصر ، قال : سبحان الله ، إنما أردت السحاب ؟ قال : تحت

(١) ذمروها : دفعوها . العنق : ضرب فى السير

(٢) بلال بن ابي بردة

الخضراء وفوق الغبراء، قال: إنما أعني المطر، قال: قد عفا الأثر وملأ القترويل الوبر ومطرنا أحيي المطر. قال: إنسي أنت أم جني؟ قال: بل إنسي من أمة رجل مهدي صلى الله عليه وسلم. وقال بشار:

وَحَمْدٍ كَبُرْدِ العَصْبِ نَمَّتْ صاحِبِي ... إلى مَلِكٍ لِلصَّالِحِينَ قَرِينُ

وقال أيضاً

وَبِكْرٍ كَنُوَّارِ الرِّيَاضِ حَدِيثُها ... تَرُوقُ بِوَجْهٍ وَاضِحٍ وَقَوامِ

كتاب من الحجاج الى عبد الملك

وكتب الحجاج بن يوسف إلى عبد الملك بن مروان:

أما بعد فانا نخبر أمير المؤمنين أنه لم يصب أرضنا وابل منذ كتبت أخبره عن سقيا الله إيانا إلا مابل وجه الأرض من الطش والرش والرذاذ (١) حتى دقعت الأرض واقشعرت واغبرّت (٢) وثارت في نواحيها أعاصير تذرو دقاق الأرض من ترابها وأمسك الفلاحون بأيديهم من شدة الأرض واعترازها (٣) وامتناعها، وأرضنا أرض سريع تغيرها وشيك تنكرها سيء ظن أهلها عند قحوط المطر، حتى أرسل الله بالقبول (٤) يوم الجمعة فأثارت زبرجا متقطعا متمصرا (٥) ثم أعقبته الشمال (٦) يوم السبت فطحطحت (٧) عنه جهامه وألفت متقطعه وجمعت متمصره حتى انتضد فاستوى وطما وطحا وكان جونا مرثعنا (٨) قريبا رواعده واعتدت

---

(١) الطش والرش والرذاذ: من صفات المطر وهي تختلف لينا وشدة

(٢) دقعت واقشعرت واغبرت: زال منها كل نبات كان عليها

(٣) اعترازها: اشتدادها

(٤) القبول: من اسماء الرياح

(٥) متمصرا: متمزقا

(٦) الشمال: من اسماء الرياح

(٧) طحطحت: فرقت ومزقت

(٨) مرثعنا: جودا دراكا

عوائده بوابل منهمل منسجل [١] يردف بعضه بعضا ، كما أردف شؤبوب [٢] ارتشفته شآبيب لشدة وقعه فى العراض [٣] . وكتبت إلى أمير المؤمنين وهى ترمى بمثل قطع القطن قد ملأ اليباب وسد الشعاب وسقى منها كل ساق . فالحمد لله الذى أنزل غيثه ونشر رحمته من بعد ما قنطوا وهو الولى الحميد ، والسلام .

وهذا أبقاك الله آخر ما ألفناه من كتاب « البيان والتبيين » ونرجو أن نكون غير مقصرين فيما اخترناه من صنعته وأردناه من تأليفه ، فان وقع على الحال التى أردنا و بالمنزلة التى أملنا فذلك بتوفيق الله وحسن تأييده ، وإن وقع بخلافهما فما قصرنا فى الاجتهاد ولكن حرمنا التوفيق ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

---

(١) منسجل : منصب منهمر

(٢) شؤبوب : دفعة من المطر

(٣) العراض : الأودية

وهذا ما امكننا الآن تعليقه وتقييده من الحواشى والشروح فان كنا اصبنا فالصواب اردنا وإليه قصدنا وإن كان فى صنيعنا بعض الخطأ فالكمال لله وحده والجزاء بيده والمرجع إليه سبحانه

« حسن السندوبى »

(انتهى الجزء الثالث من كتاب البيان والتبيين ، وبه تم الكتاب والحمد لله)

فهرس الجزء الثالث

من كتاب البيان والتبيين وشرحه

« يتلو هذا استدراكات وتصويبات وفهارس عامة للكتاب بأكمله إن شاء الله »

فهارس البيان والتبيين وشرحه

صنعها شارحه

حسن السندوبي

أعـــلام الرجال (*)

(*) من شاء البحث عن اسم فلينظر فى الصفحة بأكملها أصلا وشرحا فان الاسم كثيرا ما يتكرر فى الصفحة الواحدة

ت

ث

" ح "

« خ »

« ز »

« س »

« ص »

«ك»

« ل »

« و »

«ى»

أعـــلام النساء

الفــــرق

الأرهاط

الأمم

أسماء الحيوانات

أسماء النبات

الثياب

الأشـــياء